

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية العليا

«الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما»
في الدعوة إلى الله
في ضوء الكتاب والسنة

رسالة ماجستير

إعداد الطالب / أحمد نافع سليمان المورعي
بإشراف الدكتور / الشريف منصور بن عون العبدلي



الجزء الأول

قرع الكتاب والسنة

١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ شـكر وتقديـــر ﴾

أحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه ، وأشكره على إعانته وتيسيره وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أما بعد : فانطلاقا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله "(١) وقوله صلى الله عليه وسلم : "ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافؤونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه "(٢) .

فإني أتقدم بشكري الخالص الجزيل لفضيلة الشيخ الدكتور/ الشريف منصور بن عون العبدلي ، مشرفي على هذه الرسالة الذي لم يأل جهدا في إعانتي واقالةعثرتي وابداء ملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة وإعطائي الكثير من وقته وإنني إذ أشكره لاعترف بتقصيري في حقه ولا أملك له إلا الدعاء بالتوفيق وأن يجزيه الله عني خير الجزاء .

كما أتوجه بشكري العميق لكل من مشايخي وأساتذتي وزملائي وأصدقائي وأهل بيتي الذين ساعدوني في القيام بإنجاز هذا العمل بأفكارهم ومكتباتهم وأوقاتهم ، ولا أستطيع إيراد أسمائهم لكثرتهم ، واختلاف طبقاتهم وتنوع جهات مساعداتهم واعانتهم ، سائلا المولى تعالى أن يجزي الجميع عني خيرا وأن يجزل لهم المثوبة ، آمين إنه سميع مجيب الدعـــوات ، ...

---

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في شكر المعروف ٤/٢٥٥ ، سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن اليك ٦/٨٧ ، مسند الامام احمد وبهامشه منتخب كنز العمال ٢/٢٨٥ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٢ ، ٣/٣٢ ، ٧٤ ، ٤/٢٧٨ ، ٣٧٥ ، ٥/٢١١ ـ ٢١٢ ، قال الترمذي هذا حديث صحيح ، واللفظ له .

(٢) سنن أبي داود كتاب الزكاة باب عطية من سأل بالله ١/٣٨٩ ، سنن النسائي كتاب الزكاة باب من سأل بالله عز وجل ٥/٨٢ ، مسند الامام احمد ٢/٩٩ ، والحديث اسناده صحيح لأن رجاله ثقات وسنده متصل .

مقـــــدمة

الحمد لله علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، خلق الإنسان من سلالة من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والفؤاد والبصر لعله يشكر ، وأكرمه بما وهبه من منح وتفضل عليه بآلائه ونعمائه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا . اللهم لك الحمد شكرا ولك المن فضلا وأنت ربنا حقا ونحن عبيدك رقا وأنت لم تزل لذلك أهلا . اللهم يا ميسر كل عسير ويا جابر كل كسير ويا مغني كل فقير ويا مقوى كل ضعيف يسر علينا كل عسير فتيسير العسير عليك يسير . اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا فيسر أمورنا واهدنا سبل السلام .

رب اجعلني مفتاحا للخير وأجر الخير على يدىّ واجعلني مباركا أينما كنت . اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا . نعم الرب ربى حسبى الله ونعم الوكيل أنت يا الله تنصر من تشاء وتهدى من تشاء وأنت العزيز الرحيم نسألك العصمة فى الحركات والسكنات والكلمات والخطرات . ونسألك لسانا ناطقا وقولا صادقا وفهما صائبا وقلبا خاشعا وعقلا عاقلا وفكرا مشرقا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نعم المولى ونعم النصير بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه ربه ومولاه على حين فترة من الرسل هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده ، فهدى الله به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وهدى الله به بشرا وأناسى كثيرا . دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وجادل من جادله بالتى هى أحسن امتثالا لأمر ربه . اللهم صل وسلم تسليما كثيرا على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وورثة هديه من العلماء العاملين بشريعته المطبقين لسنته المؤتمرين بأمره المنتهين عن نهيه وزجره . الذين فهموا الاسلام

فهما حقيقيا روحا ومعنى وأدركوا مراميه وغاياته ومقاصده فدعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة فهدى الله بهم العباد وفتح على أيديهم البلاد وأخرج بهم العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . فأعز الله بهم الإسلام وأعزهم به وجعلهم قادة سادة أئمة يهتدى بهم ويهدون إلى الخير وحقق الله فيهم وعده ونصره قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفسقون ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلوة وءاتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ (٢) .

أما بعد : فلما كانت أحوال البشر لا تستقيم ولا تصلح إلا بوجود دعاة ومصلحين يقومون ما اعوج من الأخلاق ويصلحون ما فسد من المبادئ والمثل ، وكان لابد لهؤلاء الدعاة من منهج واضح ومسلك بيّن يسيرون عليه ويقتفون هديه ، وكان هذا المنهج موجودًا إجمالا فى قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجلدلهم بالتى هى أحسن ﴾ (٣) . رغبت فى أن يكون لى الشرف ببيان هذا المنهج ودراسته دراسة تبرزه بصورة واضحة جلية مستلهما إياه من كتاب الله تعالى ومن سيرة إمام الدعاة وخاتم الأنبياء والمرسلين الذى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة وأنزل عليه الذكر ليبين للناس ما نزل إليهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ليكون هذا المنهج منهجًا لى فى حياتى العملية وليكون نبراسا ومنارا للدعاة إلى الله يضئ لهم الطريق فى دعوتهم إلى الله ويجعلهم يدعون إلى الله على بصيرة .

وهناك أسباب أخرى دعتنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع — غير ما ذكرت — منها :—

---

(١) النور آية ﴿ ٥٥ ﴾ (٢) الحج آية ﴿ ٤٠ — ٤١ ﴾

(٣) النحل آية ﴿ ١٢٥ ﴾

١ ـ أنه لما كان أحب عباد الله الى الله عز وجل أنفعهم لعباده ، كان على كل عبد أن يجعل بغية قصده وغاية مراده تعميم النفع لعباد الله بقدر اجتهاده ، كل حسب ما آتاه الله من علم وأعطاه ، تقربا الى مولاه والتماسا لرضاه . ومن ثم كان دأب العلماء العاملين تدوين ما عندهم من العلوم ليعم النفع ويخلد وليتقرب به الى الله. وانى على قصر علمى وضعف موهبتى حاولت على حسب طاقتى وقدر استطاعتى أن اقتفى أثر أولئك الأعلام عسى ولعل أن أنال مثل ما نالوه من الأجر ونفع الأنام .

٢ ـ ما عليه بعض دعاة الاسلام اليوم من الشدة والقسوة فى أسلوب دعوتهم وتعاملهم مع الآخرين والذى كان نتيجته التنفير والابعاد وخسارة الدعوة بدل الترغيب والكسب. فأرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت فى بيان المراد وايضاح المقصود وابراز منهج الدعاة ابرازا غدا معه أكثر وضوحا وأوسع بيانا .

منهجى فى الرسالة :

وقد سلكت فى رسالتى هذه المنهج التالى :ـ

١ ـ أذكر قبل كل موضوع من مواضيع الرسالة مقدمة تبين أهميته وفائدته ثم أعرض النماذج عليه من الكتاب والسنة .

٢ ـ الاشارة الى مواضع الآيات القرآنية من سورها فى كتاب الله العزيز بذكر اسم السورة ورقم الآية وراعيت فى كتابتها الرسم العثمانى .

٣ ـ الرجوع فى بيان معنى الآيات ووجه الدلالة منها الى كتب التفسير المعتبرة.

٤ ـ عزو الأحاديث الشريفة الى مصادرها الأصيلة من الصحاح والسنن والمسانيد ، واذا كان الحديث موجودا فى الصحيحين أو أحدهما فانى اكتفى بعزوه اليهما واذا كان الحديث فى غير الصحيحين فانى أحكم عليه بعد دراسة رواته .

٥ ـ الرجوع فى بيان معنى الأحاديث ووجه الدلالة الى كتب شروح الحديث المعتمدة.

٦ ـ تخريج الأمثال والأشعار من مصادرها الأصيلة والتعريف بالبلدان والأماكن .

٧ — جرى بيان غريب الألفاظ وإيضاحها من الكتب المعتمدة ٠

٨ — وضعت ملحقا للرسالة أوردت فيه الأعلام الذين ورد ذكرهم فى الرسالة وقد تناولت

فى الترجمة بيان ما يلى :—

أ : نسبه وتاريخ ولادته ووفاته إن أمكن ٠

ب : شهرته العلميـــة ٠

جـ : أهم آثاره وكتبه المؤلفـة ٠

د : الإشارة إلى بعض كتب من ترجم له ٠

٩ — رتبت المراجع والمصادر التى استخدمتها فى البحث ترتيبا هجائيا باسم الكتـــاب

مراعيا ما يلى :—

أ : اعتماد الاسم الأول من الكتاب ٠

ب : اغفال أداة التعريف (أل) من الترتيب إلا إذا كانت جزءً من الاسم يصعـــب

إغفاله ٠

١٠ — قمت بوضع الفهارس العلمية ورتبتها على النحو التالـــى :—

أ : فهرس الآيات القرآنيـــة ٠

ب : فهرس الأحاديث النبوية ٠

جـ : فهرس الآثار ٠

د : فهرس الأمثال ٠

هـ : فهرس الأشعار ٠

و : فهرس الأماكن والبلدان ٠

ر : فهرس المفردات اللغوية ٠

ز : فهرس المصادر والمراجع ٠

س : فهرس الموضوعـــــات ٠

الفصل الأول : في التعريف بمفهوم الجدل ومشروعيته .

الفصل الثاني : في ذكر خصائص الجدل القرآني والنبوي . وذكر بعض آداب المجادل .

الفصل الثالث : في بيان مواطن الجدل مع ذكر النماذج وضرب الأمثلة عليها من الكتاب والسنة .

خاتمة : وفيها ذكر المميزات والنتائج التي توصل إليها البحث .

وختاما أرجو أن ينفع الله ببحثي هذا المتواضع وأن يجزيني عليه أفضل الجزاء إنه ولي ذلك والقادر عليه وأسأله عز وجل بأن له الحمد لا إله إلا الله الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام أن يجعل عملي هذا كله خالصا لوجهه الكريم وابتغاء لما عنده من الجزاء العظيم .

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾(1) ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾(2) اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ومن عذابك أستجير أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين وطهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

هذا وأرجو من أساتذتي المناقشين وإخواني المستمعين العذر إن كان في البحث خلل أو تقصير . فتلك هي طبيعة البشر وتلك هي سنة الله والكمال المطلق لله . وأرجو ممن اطلع عليه من الاخوان التنبيه الى ما فيها من قصور والدعاء بالتسديد للصواب وبالله أعتقد فيما أعتمد وهو حسبي ونعم الوكيل وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وصلى الله وسلم وبارك على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . ...

---

(1) البقرة آية ﴿286﴾ (2) آل عمران آية ﴿8﴾

هذا وقد قسمت الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة فقد تضمنت التنويه بأهمية الموضوع والباعث لي على اختياره وعن منهجي في الرسالة .

واما التمهيد فقد قسمته إلى ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : في التعريف بالدعوة في اللغة واستعمالات القرآن وعن مفهومها وأهم خصائصها وحكم تبليغها .

المبحث الثاني : في التعريف بالداعية وبيان فضله وأهم صفاته الأساسية .

المبحث الثالث : في التعريف بالمدعويين واصنافهم .

وأما الباب الأول من الرسالة فقد قسمته إلى فصلين :ـ

الفصل الأول : في التعريف بالحكمة في اللغة واستعمالات القرآن . وبيان المراد بها في موضوع الرسالة .

الفصل الثاني : في بيان مواطن الحكمة مع ذكر النماذج وضرب الأمثلة عليها من الكتاب والسنة .

وأما الباب الثاني من الرسالة فقد قسمته إلى فصلين أيضا :ـ

الفصل الأول : التعريف بالموعظة الحسنة في اللغة واستعمالات القرآن . وبيان المراد بها في موضوع الرسالة .

الفصل الثاني : في بيان مواطن الموعظة الحسنة مع ذكر النماذج وضرب الأمثلة عليها من الكتاب والسنة .

وأما الباب الثالث من الرسالة فقد جعلته في ثلاثة فصول :ـ

التمهيد ويتضمن المباحث التالية :-

المبحث الأول في الدعوة

المبحث الثاني في الداعية

المبحث الثالث في المدعوين وأصنافهم

المبحث الأول في الدعوة ويشتمل على ما يلي

١- تعريف الدعوة في اللغة واستعمالات القرآن

٢- مستلزمات الدعوة

٣- خصائص الدعوة

٤- حكم تبليغها ونشرها

تعريف الدّعوة :ـ

أولا : في اللغــة :

الدّعوة مصدر دعا يدعو دعوة ودعاءً • وقد دعا فهو داع والجمع دعاة •

وقد وردت هذه الكلمة في لغة العرب لعدة معان :ـ

١ ـ الدعوة إلى الطعام والشراب (١) •

٢ ـ الدّعوة بالكسر في النسب • يقال فلان دعيّ بين الدّعوة والدعوى في النسب (٢) •

قال ابن منظور : (والدعوة بكسر الدال ادعاء الولد الدعي غير أبيه) (٣) •

٣ ـ المداعاة بمعنى المحاجة •

قال الشاعر :

أداعيك ما مستصحبات مع السرى (٤)

حسان وما آثارها بحســان (٥) •

---

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) ٣ / ١٢١ • ط• الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) ٢ / ٢٧٩ • ط١• ١٣٦٦هـ ، دار إحياء الكتب العربية ، الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت : ٣٩٣ ٦/٢٣٣٦• ط٢ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م • دار العلم للملايين ـ بيروت •

(٢) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري المعروف بابن دريد (ت : ٣٢١) • ٢ / ٢٨٣• ط• مؤسسة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ القاهرة ، الصحاح للجوهري ٦ / ٢٣٣٦ •

(٣) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت : ٧١١) • ١٤ / ٢٦١ • ط • دار إحياء للطباعة والنشر ـ بيروت • ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م •

(٤) أي السيوف •

(٥) الصحاح للجوهري ٦ / ١٣٣٧ ، لسان العرب لابن منظور ١٤ / ٢٦٢

٤ — الاستغاثة والطلب . كقولك للرجل : إذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين .
أى : استغث بالمسلمين .[1]

٥ — المناداة . قال ابن منظور . (ودعا الرجل دعوا ودعاء : ناداه . والاسم الدعوة ، ودعوت فلانا : أى صحت به واستدعيته) .[2]

قال عنترة :

يدعون عنتر والرماح كأنها

أشطان بئر فى لبان الأدهم .[3]

معناه يقولون : يا عنتر فدلت يدعون عليها وأشطان : حبال ، ولبان : موضع اللبن ، والادهم : الفرس

٦ — دعاه إلى الأمير : ساقه .

ومنه قول ذى الرمة :

تدعو أنفه الرِّيَبُ .[4]

٧ — التسمية . قال ابن منظور : (دعوته بزيد ودعوته إياه : سميته به) .[5]

٨ — الجعل . قال الشاعر :

ألا رب من تدعو نصيحا وإن تغب

تجده بغيب غير منتصح الصدر .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهرى ٣ / ١١٩ ، لسان العرب لابن منظور ١٤ / ٢٥٧ .

(٢) الصحاح للجوهرى ٦ / ٢٣٣٧ ، لسان العرب لابن منظور ١٤ / ٢٥٨ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٤ / ٢٥٨ ، شرح ديوان عنتره بتحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبى ص ١٥٣ . طبع شركة فن الطباعة بشبرا بالقاهرة .

(٤) لسان العرب لابن منظور ١٤ / ٢٥٩ .

(٥) لسان العرب لابن منظور ١٤ / ٢٦١ .

(٦) المرجع نفسه ١٤ / ٢٦١ .

٩ ـ الدعوة : الحلف ، يقال دعوة بنى فلان فى بنى فلان .[1]

ثانيا : فى استعمالات القرآن :ـ

١ ـ الطلب والاستغاثة ، نحو قوله تعالى : ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صـٰدقين ﴾ .[2]

وقوله تعالى : ﴿ قل أرءيتكم إن أتـٰكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صـٰدقين بل إياه تدعون ﴾ .[3]

٢ ـ العبادة ، نحو قوله تعالى : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ﴾ .[4]

وقوله تعالى : ﴿ ولا تدع مع الله إلـٰها ءاخر ﴾ .[5]

٣ ـ القول ، نحو قوله تعالى : ﴿ فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا ﴾ .[6]

وقوله تعالى : ﴿ دعواهم فيها سبحـٰنك اللهم وتحيتهم فيها سلـٰم وءاخر دعواهم أن الحمد لله رب العـٰلمين ﴾ .[7]

٤ ـ النداء .

قوله تعالى : ﴿ يوم يدع الداع إلى شىء نكر ﴾ .[٦]

٥ ـ السؤال ، نحو قوله تعالى : ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ﴾ .[10]

---

(١) تهذيب اللغة للازهرى ٣ / ١٢١ ، لسان العرب لابن منظور ١٤ / ٢٦٢ .

(٢) البقرة آية ﴿٢٣﴾ .

(٣) الأنعام آية ﴿٤٠ ـ ٤١﴾ .

(٤) الأعراف آية ﴿١٩٤﴾ .

(٥) القصص آية ﴿٨٨﴾ .

(٦) الأعراف آية ﴿٥﴾ .

(٧) يونس آية ﴿١٠﴾ .

(٨) القمر آية ﴿١٠﴾ .

(٩) القمر آية ﴿٦﴾ .

(١٠) البقرة آية ﴿٦٨﴾ .

وقولـه تعالى : ﴿ وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العـــذاب ﴾ (١) ·

٦ ــ الجعـــل · نحو قوله تعالى : ﴿ أن دعوا للرحمن ولدا ﴾ (٢) ·

٧ ــ النسـبه · نحو قوله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ (٣) ·

٨ ــ من الدعوة إلى الشئ بمعنى الحث على قصده · نحو قوله تعالـــــى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســنة ﴾ (٤) ·

وقوله تعالى : ﴿ قال رب السجن أحب إلىّ مما يدعوننى إليه ﴾ (٥) ·

٩ ــ التسميـــة · نحو قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعـــاء بعضكم بعضـا ﴾ (٦) ·

١٠ ــ الرفعـــة · نحو قوله تعالى : ﴿ لا جرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ﴾ (٧) ·

١١ ــ العـــرض · نحو قوله تعالى : ﴿ ويـاقوم مالى أدعوكم إلى النجاة ﴾ (٨) أى اعرضها عليكم ·

١٢ ــ العذاب · نحو قوله تعالى : ﴿ تدعو من أدبر وتولى ﴾ (٩) · أى تعذب ·

---

(١) غافـر آيـــة ﴿٤٩﴾ ·
(٢) مريـم آيـــة ﴿٩١﴾ ·
(٣) الاحزاب آيـة ﴿٥﴾ ·
(٤) النحـل آيـة ﴿١٢٥﴾ ·
(٥) يوسـف آيـة ﴿٣٣﴾ ·
(٦) النـور آيـة ﴿٦٣﴾ ·
(٧) غافـــر آيـة ﴿٤٣﴾ ·
(٨) غافـــر آيـة ﴿٤١﴾ ·
(٩) المعارج آيـة ﴿١٧﴾

مستلزمات الدعوة : إن الدعوة إلى الله تستلزم ما يلى :ـ

١ ـ الدعوة إلى الاسلام بأركانه الخمسة :ـ

أ ـ النطق بالشهادتين والاقرار بها .

ب ـ إقامة الصلاة بالمحافظة عليها فى أوقاتها وأدائها كما أوجبها الله .

جـ ـ إيتاء الزكاة ودفعها إلى مستحقيها .

د ـ صوم رمضان .

هـ ـ حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا .

٢ ـ الدعوة إلى الايمان بأركانه الستة :ـ

أ ـ الإيمان بالله . وذلك بإفراده بالوحدانية والألوهية والعبودية ، ونفى الشريك عنه والولد والصاحبة وأنه عز وجل فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه لا إله إلا هو ولا رب غيره . وترك الإلحاد فى أسمائه وصفاته ، ووصفه بكل صفات الكمال كما وصف هو نفسه فى كتابه ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل ، وتنزيهه عن كل نقص وتبرئة ذاته من كل عيب ، والقيام بطاعته ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والحب فى الله والبغض فيه ، وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به واعتقاد أنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ، له ملك السموات والأرض وما بينهما ، يدبر الأمر ويصرفه بحكمته ، ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا يسأل عما يفعل .(١)

ب ـ الإيمان بالملائكة : بأنهم خلق من أشرف خلقه وعباد مكرمون من عباده ، خلقوا من نور . خلقهم الله لخدمته وتدبير أمره . فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ولهم وظائف عديدة يقومون بها : فمنهم من يسبح الله الليل والنهار لا يفتر ، ومنهم من هو موكل بالموت وقبض الأرواح ، ومنهم من هو موكل بالنار ، ومنهم من هو موكل بالجنة ، ومنهم

(١) أنظر شرح النووى على مسلم كتاب الإيمان باب بيان ان الدين النصيحة ٢/٣٧ ، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ص ٧٣ ـ ٧٨ ط . دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

من هو موكل بالصور ، ومنهم من هو موكل بحفظ العباد ، ومنهم من هو موكل بتسجيل أعمال العباد وإحصائها ، ومنهم من يستغفر للمؤمنين، ومنهم من هو موكل بابلاغ الوحي إلى رسل الله من الانس • إلى غير ذلك من وظائف • (١)

جـ — الإيمان بالكتب : أي التي أنزلها الله على رسله كالزبور والتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم والقرآن • وأنها منزلة من عند الله ، الموجود منها الآن عدا القرآن محرف كما أخبر القرآن : ﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ • (٢)

وأخبر أيضا أن القرآن قد هيمن على كل الكتب السابقة ، قال الله تعالى ﴿ وأنزلنا اليك الكتب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه ﴾ • (٣)

والإيمان بالقرآن يعني الإيمان بأنه كلام الله رب العالمين ، لا يشبهه شئ من كلام البشر ولا يقدر على الإتيان بمثله أحد ، وتعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وذب تأويل المنحرفين والغالين والعاطلين والطاعنين عنه ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله ، والتسليم لمتشابهه ، ونشر علومه • (٤)

د — الإيمان بالرسل : وذلك بالإيمان برسل الله أجمعين دون تفريق بينهم، لأن أصل رسالتهم واحد وأن من كفر بواحد منهم فقد كفر بهم أجمعين : ﴿ ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون • كل ءامن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ • (٥)

والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ،فلا نبي بعده ، ولا دين غير دينه ﴿ ومن يبتغ غير الإسلم دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين ﴾ • (٦) وطاعته فيما أمر واجتناب مانهى

---

(١) شرح النووي على مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ٢/ ٣٧ ، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٧٢ — ٧٨ •

(٢) المائدة آية ﴿٤١﴾ • (٣) المائدة آية ﴿٤٨﴾ •

(٤) شرح النووي على مسلم ٢/ ٣٧، جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٧٢ — ٧٨ • (٥) البقرة آية ﴿٢٨٥﴾ •

(٦) آل عمران آية ﴿٨٥﴾

عنه وزجر ، ونصرة شريعته والذب عنها ، وإحياء سنته ونفي التهمة عنها ، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، وتقديم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه بسب أو غيره (١) .

هـ — الإيمان باليوم الآخر : أي بالبعث بعد الموت ، وبالقبر وعذابه ونعيمه ، وبالحساب والجزاء ، والصراط والميزان ، والجنة والنار ، وأن الله يجازي المؤمن المحسن بالجنة والكافر الفاجر بالنار (٢) .

و — الإيمان بالقدر خيره وشره : وذلك بالإيمان بأن كل شئ يحدث في هذا الكون هو بقضاء وقدر وكتاب من الله سبق : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ (٣) . وأن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشئ لم ينفعوه إلا بشئ قد كتبه الله له وإن اجتمعوا على أن يضروه بشئ لم يضروه إلا بشئ قد كتبه الله عليه ، وأن كل شئ خلقه الله بقدر ، وأن الله قد كتب أرزاق العباد وآجالهم وأعمالهم : ﴿ وخلق كل شئ فقدره تقديرا ﴾ (٤) (٥) .

والمراد بالإيمان في كل ذلك هو التصديق الجازم المقرون بالتسليم والخضوع والقبول والاذعان وعدم التأبي .

٣ — الدعوة إلى الإحسان :

وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

---

(١) ، (٢) شرح النووي على مسلم كتاب الايمان باب بيان أن الدين النصيحة ٣٧/٢ ، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٧ — ٧٨ .

(٣) الحديد آية ٢٢ . (٤) الفرقان آية ٢ .

(٥) شرح النووي على مسلم ٣٧/٢ ، جامع العلوم والحكم ص ٣٧ — ٧٨ .

خصائص الدعـوة :ـ

١ ـ ربانية الدعـوة :

إن أهم خصيصة تتفرد بها الدعوة الاسلامية عن غيرها هي هـــذه الخصيصة وهي كونها من عند الله · كما قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنــا الذكر وانا له لحـٰفظون ﴾[1] · وقال تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العـٰلمـين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبـــين ﴾[2] · وقال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرءان تنزيلا ﴾[3] · فالله هو الذي أنزله وهو الذي تكفل بحفظه من التغيير والتبديل وقد اكسبته هذه الخاصية عـدة مـميزات :ـ

١ ـ أنه المنهج الحق البين الجلّي الذي لا مرية ولا شك فيه · قـــال تعالى : ﴿ يـٰأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فئامنوا خيرالكم ﴾[4] · وقال تعالى : ﴿ والذي أنزل إليك من ربك الحق ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ أفمن يعلم انما أنزل إليك من ربك الحق كمـــن هو أعمى انما يتذكر أولوا الألبـٰـب ﴾[6] ·

قال ابن كثير : (أي قد جاءكم محمد صلوات الله وسلامه عليـــه بالهدى ودين الحق والبيان الشافي من الله عز وجل ، فامنوا بمــا جاءكم به واتبعوه يكن خيرالكم)[7] ·

---

(١) الحجـر آيــة ﴿٩﴾ ·
(٢) الشعراء آيــة ﴿١٩٢ ـ ١٩٥﴾ ·
(٣) الإنسان آيــة ﴿٢٣﴾ ·
(٤) النســاء آيــة ﴿١٧٠﴾ ·
(٥) الرعـد آيــة ﴿١﴾ ·
(٦) الرعـد آيــة ﴿١٩﴾ ·
(٧) تفسير ابن كثير لابن كثير (ت : ٧٧٤ هـ) ١/ ٥٨٩ مطبعة ومكتبة دار التراث ـ القاهرة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م ·

٢ — أنه المنهج المحكم المفصل الذى بلغ فى التفصيل غايته وفى الإيضاح نهايته قال تعالى : ﴿ كتٰب أحكمت ءايٰته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ كتٰب فصلت ءايٰته قرءانا عربيا لقوم يعلمون ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ وكذلك نفصل الأيٰت ولتستبين سبيلُ المجرمين ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ ولقد جئنٰهم بكتٰب فصلنٰه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (٤) .

٣ — وأنه برهان ونور وموعظة وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين. يشفى أمراضهم ويعالج قلوبهم ويحيى صدورهم ويحقق لهم الحياة الطيبة. قال تعالى : ﴿ يٰأيها الناس قد جاءكم برهٰن من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ﴾ (٥) . وقال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتٰب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلٰم ويخرجهم من الظلمٰت إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم ﴾ (٦) . قال ابن كثير : (أى ينجيهم من المهالك ، ويوضح لهم أبين المسالك ، فيصرف عنهم المحذور ، ويحصل لهم أحب الأمور ، وينفى عنهم الضلالة ويرشدهم إلى أقوم حالة) (٧) . وقال تعالى : ﴿ يٰأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (٨) . أى هو زاجر عن الفواحش ، وشفاء لما فى الصدور من القلق والشبه والشكوك ، وإزالة ما فيها من رجس ودنس ونفاق وشرك وزيغ وميل . وبه تحصل

---

(١) هود آية ﴿١﴾ .
(٢) فصلت آية ﴿٣﴾ .
(٣) الأنعام آية ﴿٥٥﴾ .
(٤) الأعراف آية ﴿٥٢﴾ .
(٥) النساء آية ﴿١٧٤﴾ .
(٦) المائدة آية ﴿١٥ — ١٦﴾ .
(٧) تفسير ابن كثير لابن كثير ٢/٣٤ .
(٨) يونس آية ﴿٥٧﴾ .

الهداية والرحمة لتستقيم الحياة وتصلح الأمور .

كما قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾ [١] .

٢ — شمول الدعوة :—

إن الدعوة الاسلامية دعوة شاملة لشؤون ونواحي الحياة . ففي كل أمر من أمور الانسان ، وكل حال من احواله وعلاقاته ، يجد ما ينشده ويبتغيه دون كلفة ولا مشقة . إن المنهج الاسلامي قد جمع أصول الهداية والتوجيه الرباني في العقائد والآداب والأخلاق ، كما جمع أصول التشريع الالهي في العبادات والمعاملات ، ونظّم شؤون الفرد والأسرة والمجتمع والدولة . فهو منهج متكامل شامل يشمل جميع جوانب وشؤون الحياة من عقيدة وعبادة ، وسياسة وقيادة ، واقتصاد وادارة ، ومعاملة وأخلاق ، وتربية وفكر ، ونظم حرب ومعاهدات ، ... الخ .

قال تعالى : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [٢] .

والمراد من الكتاب في هذه الآية — كما قرره كثير من المفسرين [٣] — هو القرآن لأن السياق يقتضيه . فإنه قد ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر الدنيا والدين . بل وغير ذلك إما مفصلا وإما مجملا . قال الشافعي : (فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها) [٤] .

---

(١) الشورى آية ﴿٥٢﴾ . (٢) الانعام آية ﴿٣٨﴾ .

(٣) البحر المحيط لابي حيان (ت : ٧٥٤هـ) . ٤/١٢٠ ط . ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة ، روح المعاني للألوسي (ت : ١٢٧٠هـ) . ٧/١٤٤ . ط . ادارة الطباعة المنيرية .

(٤) الرسالة للامام الشافعي (ت : ٢٠٤) ص ٢٠ . بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر . ط . ١٣٥٨هـ — ١٩٤٠م . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه .

وقال تعالى أيضا : ﴿ ونزلنا عليك الكتٰب تبيٰنا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾[١] .

قال ابن كثير : (قال ابن مسعود : قد بين لنا فى القرآن كل علم وكل شئ . وقال مجاهد : كل حلال وكل حرام . وقول ابن مسعود أعم وأشمل فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتى وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون فى أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم)[٢] .

وقال تعالى : ﴿ إن هذا القرءان يهدى للتى هى أقوم ﴾[٣] . أى يهدى الناس كلهم لا فرقة منهم إلى الطريقة والملة التى هى أقوم الطرق وأوضحها وأسدها وأصلحها .

قال سيد قطب : (هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم . فيشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان أو يشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق وكل خير يهتدى إليه البشر فى كل زمان ومكان . يهدى للتى هى أقوم فى عالم الضمير والشعور ، بالعقيدة الواضحة البسيطة التى لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتى تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة ، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء ، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية فى تناسق واتساق ويهدى للتى هى أقوم فى التنسيق بين ظاهر الانسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فإذا هى كلها مشدودة

---

(١) النحل آية ﴿٨٩﴾ .

(٢) تفسير ابن كثير لابن كثير ٢/ ٥٨٢

(٣) الإسراء آية ﴿٩﴾ .

إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم ، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض ، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة .

ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء ، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار ، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال .

ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض : أفرادا وأزواجا وحكومات وشعوبا ، ودولا وأجناسا ، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى ، ولا تميل مع المودة والشنآن ، ولا تصرفها المصالح والأغراض . الأسس التي أقامها العليم الخبير بخلقه وهو أعلم بمن خلق وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل . فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الانسان .

ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها ، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام) (١) .

٣ — واقعية الدعوة وصلاحيتها للاستمرار :—

إن الله عز وجل هو خالق النفوس والعالم بخباياها وأسرارها . يعلم ما تحتاج إليه وما لا تحتاج ، وما يوافقها وما لا يوافقها ، وما يتلاءم مع

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٤/٢٢١٥ .

فطرتها وطبيعتها وما لا يتلاءم، ويعلم دقائق شؤونها وغوامض صالحها، كما قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسٰن ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [١] . وقال تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [٢] . ولذا فقد وضع لها منهجا متميزا بالواقعية والملاءمة للفطرة البشرية . قال تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [٣] وقال تعالى ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [٤] . وقال تعالى : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [٥] .

قال ابن كثير [٦] : (أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشئ يشق عليكم) .

وقال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [٧]

وقال صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " [٨] .

ذكر ابن حجر عن الطيبي قوله : (والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة والتهيؤ لقبول الدين فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس) [٩] .

---

(١) ق آية ﴿١٦﴾ .
(٢) الملك آية ﴿١٤﴾ .
(٣) البقرة آية ﴿١٨٥﴾ .
(٤) البقرة آية ﴿٢٨٦﴾ .
(٥) الحج آية ﴿٧٨﴾ .
(٦) تفسير ابن كثير لابن كثير ٣ / ٢٣٦ .
(٧) الروم آية ﴿٣٠﴾
(٨) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ٣ / ٢٤٦
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ١٦ / ٢٠٧ـ٢٠٨
(٩) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢) ٣ / ٢٤٩ . ط دار الفكر .

وهذا المنهج صالح للتطبيق فى كل زمان ومكان ومع جميع المستويات فردية وجماعية لأنه تنزيل الحكيم العليم العالم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم الدين . قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾[1] . ولا يقبل الله دينا غيره : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخسرين ﴾[2] . وهو الدين الذى كتب الله له البقاء والغلبة والانتشار والظهور على كل الأديان قال تعالى : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾[3] . وقال تعالى ممتنا على عباده بإكماله الدين وإتمامه لهم فلا يحتاجون إلى زيادة فيه أو نقص منه أو دين غيره : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[4] .

قال ابن كثير : (هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبى غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه)[5] .

ولقد أورد الطبرى هاهنا سؤالا وأجاب عليه قال : (فإن قال قائل : أو ما كان الله راضيا الإسلام لعباده إلا يوم أنزل هذه الآية ؟ قيل : لم يزل الله راضيا لخلقه الإسلام دينا ولكنه جل ثناؤه لم يزل يُصَرِّف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى درجات الاسلام ومراتبه درجة بعد درجة ، ومرتبة بعد مرتبة ، وحالا بعد حال ، حتى أكمل لهم شرائعه ومعالمه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم قال حين أنزل عليهم هذه الآية ﴿ ورضيت لكم الإسلام ﴾ بالصيغة التى هو بها اليوم والحال التى أنتم عليها اليوم منه ﴿ دينا ﴾ فالزموه ولا تفارقوه)[6] .

---

(١) آل عمران آية ﴿١٩﴾ .
(٢) آل عمران آية ﴿٨٥﴾ .
(٣) الصف آية ﴿٩﴾ . (٤) المائدة آية ﴿٣﴾ .
(٥) تفسير ابن كثير لابن كثير ١٢/٢ .
(٦) جامع البيان فى تفسير آى القرآن (ت : ٣١٠هـ) للطبرى ٥٢٣/٩ بتحقيق محمد محمد شاكر ط دار المعارف — مصر .

وحقا إن الاسلام هو المنهج الأوحد الملائم لاحتياجات الفطرة والتنسيق بين متطلبات الانسان الجسدية والروحية فجميع احكامه تتسم بالواقعية والمرونة وامكانية تطبيقها فى كل عصر ومكان • قال سيد قطب : (فالمنهج الإلهى — كما يبدو فى ظلال القرآن — موضوع ليعمل فى كل بيئة وفى كل مرحلة من مراحل النشأة الإنسانية وفى كل حالة من حالات النفس البشرية الواحدة وهو موضوع لهذا الإنسان الذى يعيش فى هذه الأرض آخذ فى الاعتبار فطرة هذا الإنسان وطاقاته واستعداداته وقوته وضعفه وحالاته المتغيرة التى تعتريه) [(١)] •

٤ — عالمية الدعوة :—

إن الدعوة المحمدية هى دعوة عامة لجميع البشر عربهم وعجمهم يهودهم ونصرانيهم ومجوسهم فهى رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين • وقد نوهت الآيات القرآنية بعالمية الدعوة منذ فجر الدعوة حيث أعلن عن عالمية الدعوة صريحا فى السور المكية — والدعوة لا تزال محاصرة مطاردة فى مكة — فى مثل قوله تعالى : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ [(٢)] • وفى مثل قوله تعالى : ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ [(٣)] • ليس لكم وحدكم يا معشر قريش بل هو ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون •

وقد أمر الله تعالى رسوله أن يعلم الناس كلهم أنه رسول الله إليهم جميعا : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ﴾ [(٤)] • وهذا خطاب كما قال ابن كثير : (للاحمر والأسود والعربى والعجمى) [(٥)] •

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب : المقدمة ص ١٣ • ط دار الشروق ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م •

(٢) القلم اية ﴿ ٥١ — ٥٢ ﴾ •

(٣) التكوير آية ﴿ ٢٥ — ٢٧ ﴾

(٤) الأعراف آية ﴿ ١٥٨ ﴾ •

(٥) تفسير ابن كثير : ٢/ ٢٥٤ •

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ تبارك الذى نَزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [٣] .

وروى البخارى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : (كانت بين أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما محاورة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه فى وجهه . فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أبو الدرداء — ونحن عنده — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما صاحبكم هذا فقد غامر " قال : وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر . قال أبو الدرداء : وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل أبو بكر يقول : " والله يارسول الله لأنا كنت أظلم " . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ هل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ إنى قلت : يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا فقلتم : كذبت وقال أبو بكر : صدقت " [٤] .

وقال صلى الله عليه وسلم : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض طيبة طهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة " [٥] . وفى رواية

---

(١) الأنبياء آية ﴿ ١٠٧ ﴾ .

(٢) سبأ آية ﴿ ٢٨ ﴾ .

(٣) الفرقان آية ﴿ ١ ﴾ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) الآية ٨/٣٠٣ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥/٣-٤ .

: " فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون "[١]

وان هذه الميزة والخصيصة قد تفردت بها الدعوة المحمدية عن دعوات الرسل السابقين حيث كان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة دون غيرهم يبلغهم ويخوفهم وينذرهم وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بعثة عامة إلى جميع البشر وكان هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

فقال تعالى عن نوح : ﴿ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه ... ﴾[٢] .

وقال عن هود : ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا ... ﴾[٣] .

وقال عن صالح : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صلحا ... ﴾[٤] .

وقال عن لوط : ﴿ ولوطا إذ قال لقومه ... ﴾[٥] .

وقال عن شعيب : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا ... ﴾[٦] .

وقال عن موسى : ﴿ ولقد أرسلنا موسى بـٔايتنا أنْ أخرج قومك من الظلمت إلى النور ﴾[٧] .

وقال تعالى عن محمد : ﴿ قل يـأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ﴾[٨]

وقال : ﴿ وما ارسلنك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾[٩] .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥/٥ .
(٢) الأعراف آية ﴿٥٩﴾ .
(٣) الأعراف آية ﴿٦٥﴾ .
(٤) الأعراف آية ﴿٧٣﴾ .
(٥) الأعراف آية ﴿٨٠﴾ .
(٦) الأعراف آية ﴿٨٥﴾ .
(٧) إبراهيم آية ﴿٥﴾ .
(٨) الاعراف آية ﴿ ١٥٨ ﴾ .
(٩) سبأ آية ﴿ ٢٨ ﴾ .

حكم تبليغ الدعوة ونشرها :ـ

إن الله عز وجل قد كلفنا وندبنا إلى القيام بواجب تبليغ الدعوة ونشرها حسب الاستطاعة وقدر الجهد والطاقة • وقد تضافرت الأدلة من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة على الأمر بذلك •

١ ـ فمن الآيات القرآنية ما يلي :ـ

١ ـ قوله تعالى : ﴿ يـأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسـلته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكـفرين ﴾ •(١)

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وأُوحِىَ إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ •(٢)

٣ ـ وقوله تعالى : ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجلدلهم بالتى هى أحسن ﴾ •(٣)

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وادع إلى ربك ﴾ •(٤)

فهذه الآيات فيها أمر صريح جازم من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزل إليه من ربه ودعوة الناس أجمعين إليه • وأنه لاعذر له فى التقصير : ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسـلته ﴾ •

وهذا الأمر وإن كان للرسول صلى الله عليه وسلم ـ فهو أمر لأمته من بعده وخاصة العلماء منهم لأن العلماء ورثة الأنبياء يبلغون عنهم ولأن حق الله على من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى ما دعا إليه كما قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ •(٥)

---

(١) المائدة آية ﴿٦٧﴾ •
(٢) الأنعام آية ﴿١٩﴾ •
(٣) النحل آية ﴿١٢٥﴾ •
(٤) الحج آية ﴿٦٧﴾ •
(٥) يوسف آية ﴿١٠٨﴾ •

قال القرطبي : (وهذا تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته) [١] •

وقال ابن كثير : (وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلى وشرعى) [٢] •

٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولـئك هم المفلحون ﴾ [٣] •

فالآية تأمر المؤمنين بأن تكون منهم أمة وظيفتها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر • وأخبرت أن هؤلاء هم المفلحون لا غيرهم• قال ابن كثير : (والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبا على كل فرد بحسبه ، كما ثبت فى صحيح مسلم عن ابى سعيد رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " [٤] وفى رواية :" وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" [٥] [٦] •

٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [٧] •

---

(١) جامع أحكام القرآن للقرطبي (ت : ٦٧١هـ) ٦/ ٢٤٢ ط٢ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م •

(٢) تفسير ابن كثير لابن كثير ٢/ ٤٩٦ •

(٣) آل عمران آية ﴿١٠٤﴾ •

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٢/ ٢٢ ـ ٢٥ •

(٥) المرجع نفسه ٢/ ٢٧ •

(٦) تفسير ابن كثير لابن كثير ١/ ٣٩٠ •

(٧) آل عمران آية ﴿١١٠﴾ •

فقد أبان هذا النص الكريم أن هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس وإنما نالوا هذه الخيرية لأنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله • قال الغزالي : (وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ بيّن أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس)[1] فدل هذا على أنهم إذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فإنه يزول عنهم هذا الوصف بالخيرية ويلحقهم الذم وقد يكون ذلك سببا في هلاكهم كما قال تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾[2] •

٧ — وقوله تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوٰة ويؤتون الزكوٰة ويطيعون الله ورسوله أولـئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾[3]• فقد نوهت الآية بشأن المؤمنين وأن بعضهم أولياء بعض وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون أمر الله ورسوله • وأخبرت أن هؤلاء الذين تحققت فيهم هذه الصفات سيرحمهم الله• قال القرطبي : (فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين فدل على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورأسها الدعاء إلى الاسلام)[4] • فدل ذلك على أن من هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية •

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (ت:٥٠٥) ٦/٧ وبهامشه تخريج الحافظ العراقي ط ٢ ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م دار الفكر •

(٢) الأنفال آية ﴿ ٢٥ ﴾ •

(٣) التوبة آية ﴿ ٧١ ﴾ •

(٤) جامع أحكام القرآن للقرطبي ٤٧/٤ •

٨ ــ وقوله تعالى : ﴿ وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ (١) .

ففى الآية توبيخ شديد لعلماء اليهود بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال الطبرى : (وكان العلماء يقولون : ما فى القرآن آية أشد توبيخا للعلماء من هذه الآية ولا أخوف عليهم منها) (٢) .

٩ ــ وقوله تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ (٣) .

فقد أبانت هذه الآية أن بنى إسرائيل استحقوا اللعنة والطرد من رحمة الله بسبب تركهم النهى عن المنكر وهذا غاية فى التشديد والوعيد إذ علل استحقاقهم اللعن والطرد من رحمة الله بتركهم النهى عن المنكر .

قال الزمخشرى منددا بمسلمى عصره حين تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : (فيا حسرة على المسلمين فى إعراضهم عن باب التناهى عن المناكير وقلة عبثهم به كأنه ليس من ملة الاسلام فى شىء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات فى هذا الباب) (٤) .

١٠ ــ وقوله تعالى : ﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذُكِّروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين

---

(١) المائدة آية ﴿ ٦٢ ــ ٦٣ ﴾ .

(٢) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ١٠/٤٤٩ بتحقيق ط دار المعارف بمصر

(٣) المائدة آية ﴿ ٧٨ ــ ٧٩ ﴾ .

(٤) الكشاف للزمخشرى (ت : ٥٣٨) ١/٦٣٦ ــ ٦٣٧ . ط دار المعرفة ببيروت

ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [(1)] .

فقد أبانت الآية أن بني اسرائيل انقسموا إلى ثلاث فرق : فرقة عصت الله باصطيادها يوم السبت ـ وهو محرم عليهم الصيد فيه ـ وفرقة ثانية وعظت ونصحت وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر وثالثة لم تأمر ولم تنه ولم تفعل المعصية بل قالت للفرقة الثانية : ﴿ لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ﴾ [(2)] .

فماذا كانت النهاية ؟ .

قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ [(3)] .

٢ ـ **ومن الأحاديث النبوية ما يلي :ـ**

١ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان " [(4)]

وفي رواية : " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " [(5)] .

ففي هذا الحديث أمر من رسول الله لكل من رأى المنكر أن يغيره حسب استطاعته باحدى وسائل ثلاث : بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه واخبر أن هذه المرتبة الأخيرة هي أضعف مراتب الايمان وليس وراء هذا من الإيمان مثقال حبة خردل .

---

(١) الأعراف آية ﴿ ١٦٤ ـ ١٦٦ ﴾ .

(٢) الأعراف آية ﴿ ١٦٤ ﴾ .

(٣) الأعراف آية ﴿ ١٦٥ ﴾ .

(٤/٥) سبق تخريجهما انظر ص ١٩ .

قال النووى : (وأما قوله صلى الله عليه وسلم " فليغيره " فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة • وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أيضا من النصيحة التى هى الدين ولم يخالف فى ذلك إلا بعض الرافضة ولا يعتد بخلافهم كما قال الإمام أبو المعالى إمام الحرمين لا يكترث بخلافهم فى هذا فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء) [1] •

٢ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : " بلغوا عنى ولو آية " [2] •

٣ ـ وقوله صلى الله عليه وسلم : " فليبلغ الشاهد الغائب " [3] • ولمسلم " ألا ليبلغ الشاهد الغائب " [4] •

ففى هذه الأحاديث أمر من الرسول صلى الله عليه وسلم لجميع أمته بالتبليغ عنه ولو شيئا يسيرا من شرعه وهديه • كل إنسان حسب علمه واستطاعته • ففيها وجوب نشر الدعوة وتبليغها •

٤ ـ عن زينب بنت جحش زوج النبى قالت خرج رسول الله يوما فزعا محمرا يقول : " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها • فقلت : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ • قال نعم ، إذا كثر الخبث " [5] •

---

(١) شرح النووى على مسلم للنووى (ت: ٦٧٦ هـ) ٢٢/٢ ط٢• ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م • دار إحياء التراث العربى بيروت •

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ٤٩٦/٦ •

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الحج باب الخطبة أيام منى ٥٧٤/٣ •

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب القسامه باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ١٦٩/١١ •

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الفتن باب قول النبى ويل للعرب من شر قد اقترب ١١/١٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفتن وأشراط الساعة ٢/١٨ ـ ٣ • واللفظ لمسلم •

قال ابن العربي : (فيه البيان بأن الخيّر يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه . وكذلك إذا غيّر عليه لكن حيث لا يجدي ذلك ، ويصر الشرير على عمله السيئ ، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد فيهلك حينئذ القليل والكثير ثم يحشر كل أحد على نيته)(1) .

٥ — وقوله صلى الله عليه وسلم : " مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة . فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها . فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم . فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا . وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا "(2) .

ففى هذا الحديث تشبيه رائع لحال المجتمع وأهله مع أصحاب المعاصى والمنكرات، فاذا أخذ المجتمع على أيدى هؤلاء العصاة ومنعهم من الافساد حصلت النجاة للمجتمع جميعا ، وسلم أفراده من الأمراض . وإن تركوهم وما أرادوا وقالوا : كلٌ ذنبه على جنبه ، لم يكلفنا الله إلا أنفسنا هلك الجميع . العاصى بارتكابه المعصية والساكت بالرضا عنها .

قال ابن حجر : (وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف)(3) .

٦ — عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد

---

(١) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ١٣/١٠٩ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الشركه باب هل يقرع فى القسمة؟ والاستهام فيه ٥/١٣٢ .

(٣) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٥/٢٩٦ .

فلا يمنعه ذلك ان يكون أكيله(١) وشريبه(٢) وقعيده(٣) ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ الى قوله : ﴿ فاسقون ﴾(٤) ثم قال : " كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا(٥) ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم"(٦)

٧ — وقوله صلى الله عليه وسلم : " نضر الله امرءًا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو افقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه "(٧) .

---

(١) الأكيل : الذى يصاحبك فى الأكل . فعيل بمعنى مفاعل . النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت : ٦٠٦ هـ) . ٥٨/١ .

(٢) الشريب : الذى يصاحبك فى الشرب . فعيل بمعنى مفاعل . النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الأثير ٥٨/١ .

(٣) القعيد : الذى يصاحبك فى قعودك . فعيل بمعنى مفاعل . النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٨٦/٤ .

(٤) المائدة آية ﴿ ٧٨ — ٨١ ﴾ .

(٥) أى تعطفوه عليه . النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥٣/١ . ط٢ . دار الفكر — بيروت . ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م .

(٦) سنن أبى داود لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى (ت : ٢٧٥هـ) كتاب الملاحم باب الأمر والنهى ١٢١/٤ — ١٢٢ . ط. دار الفكر ، سنن الترمذى بتحفة الأحوذى كتاب التفسير باب ومن سورة المائدة ٤١٢/٨ — ٤١٤ . ط ٣ . دار الفكر — بيروت . ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م ، سنن ابن ماجه لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (ت : ٢٧٥هـ) . كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٣٢٧/٢ — ١٣٢٨ . ط. دار احياء التراث العربى ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م . والحديث فيه أبو عبيدة بن عبد الله ابن مسعود وهو ثقة لم يسمع من أبيه على الراجح فيكون إسناده ضعيفا لكنه يرتفع بكثرة طرقه الى درجة الحسن لغيره .

(٧) سنن أبى داود كتاب العلم باب فضل نشر العلم ٣٢٢/٣ ، سنن الترمذى بتحفة الأحوذى كتاب العلم باب فى الحث على تبليغ السماع ٤١٦/٧ ، سنن ابن ماجه المقدمة باب من بلغ علما ٨٤/١ — ٨٥ . وقد ورد عن أربعة وعشرين صحابيا وقد عده العلماء من المتواتر . انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتانى ص ٢٥ . والحديث إسناده صحيح لأن رجاله ثقات وسنده متصل .

٨ — وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن الناس اذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه " .

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٢/١٣٢٧ .
والحديث إسناده صحيح لأن رجاله ثقات وسنده متصل .

وإليك قول بعض أهل العلم في بيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :—

١ — قال النووي : (ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين ، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف . ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو ، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو)(١) .

إلى أن قال : (واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيّع أكثره من أزمان متطاولة ، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً . وهو باب عظيم ، به قوام الأمر وملاكه . وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح . وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه . فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب ، فإنّ نفعه عظيم ، لاسيما وقد ذهب معظمه . ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته . فإن الله تعالى قال : ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾(٤) وقال تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾(٥) .

---

(١) شرح النووي على مسلم ٢٣/٢ .
(٢) الحج آية ﴿ ٤٠ ﴾ .
(٣) آل عمران آية ﴿ ١٠١ ﴾ .
(٤) العنكبوت آية ﴿ ٦٩ ﴾ .
(٥) العنكبوت آية ﴿ ٢ — ٣ ﴾ .

واعلم أن الأجر على قدر النصب . ولا يتاركه أيضا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه ، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا ، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته . وينقذه من مضارها . وصديق الانسان ومحبه هو من سعى فى عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص فى دنياه . وعدوه من يسعى فى ذهاب أو نقص آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع فى دنياه . وإنما كان إبليس عدوا لنا لهذا ، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين ، لسعيهم فى مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها . ونسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته ، وأن يعمنا بجوده ورحمته . والله أعلم) (١) .

٢ — قال ابن تيمية : (وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة . وهو الذى يسميه العلماء فرض كفاية ، إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقين . فالأمة كلها مخاطبة بفعل ذلك ولكن إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين . قال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (٢) فمجموع أمته تقوم مقامه فى الدعوة إلى الله) (٣) .

وقال أيضا : (وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره . فما قام به غيره سقط عنه ، وما عجز عنه لم يطالب به ، وأمّا ما لم يقم به غيره وهو قادر عليه فعليه أن يقوم به) (٤) .

---

(١) شرح النووى على مسلم ٢/٢٤ .
(٢) آل عمران آية ﴿ ١٠٤ ﴾ .
(٣) الفتاوى لابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) . ١٥/١٦٥ . ط . مكتبة المعارف — الرباط — المغرب .
(٤) الفتاوى لابن تيمية ١٥/١٦٦ .

٣ — وقال الغزالي : (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا أن يكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافي هذه الفترة ، وسد هذه الثلمه ، إما متكفلا بعملها ، أو متقلدا لتنفيذها ، مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا في إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، مستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها)(١) .

من هذا المنطلق ، وعلى هذا الأساس ، كان لابد من تبليغ الدعوة ونشرها ، كل حسب استطاعته وقدر جهده وطاقته . وبهذا نضمن انتشار الحق وبقاءه ، وخمود الباطل وزواله . إن شاء الله

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٢/ ٧.

المبحث الثاني في الداعية

ويشتمل على ما يلي

١- الداعية وفضله

٢- صفات الداعية

الداعية وفضله :—

الداعية هو من يدعو الناس إلى الخير ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويأخذ بأيديهم إلى السعادة في الدارين ، ويجنبهم أسباب الشقاء في الدارين . والدعاة كما قال ابن تيمية : (يعلمون الحق ويرحمون الخلق)(١) . وهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك ان تضل الهداة . فبهم يهتدى الحيران والضال ، ويتوب العاصي والفاسق ، وتتحقق على أيديهم السعادة للبشرية جمعاء . فهم مصدر خير وإشعاع بركة واطمئنان .

وقد جاءت الآيات البينات والأحاديث الواضحات تبينان فضل الداعية ، وترفعان من شأنه ومكانته . فمن الآيات القرآنية ما يلي :—

١ — قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾(٢) .

٢ — وقوله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني

٣ — وقوله تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله

٤ — وقوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾(٥) .

فقد نوهت الآيات بشأن الدعاة وقدرهم فأبانت ما يلي :—

١ — أنهم هم المفلحون لا غيرهم في الدنيا والآخرة .

٢ — أنهم أنبياء الله في تبليغ الدعوة وايصالها الى الناس كافة ، فهم ورثة الانبياء ، والوارث قائم مقام الموروث ، فله حكمه فيما قام مقامه فيه من جهة التبليغ .

٣ — أنهم خير خلق الله وأفضلهم عنده منزلة وأغلاهم قدرا ولا يدانيهم أحد في ذلك ، قال الحسن البصري : (هذا حبيب الله . هذا ولي الله ، هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض الى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في اجابته وقال انني من المسلمين هذا خليفة الله)(٦) .

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ١٦/٩٦ .
(٢) آل عمران آية ﴿١٠٤﴾ .
(٣) آل عمران آية ﴿١١٠﴾ .
(٤) يوسف آية ﴿١٠٨﴾ .
(٥) فصلت آية ﴿٣٣﴾ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤/١٠١ .

* ومن الأحاديث النبوية ما يلي :ـ

١ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا . ومن دعا إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا [١] . "

٢ ـ قوله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب كرّم الله وجهه : فوالله لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم [٢] " .

٣ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة [٣] : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " .

٤ ـ وقوله صلى الله عليه وسلم : "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علما علّمه ونشره ، وولداً صالحا تركه ، ومصحفا ورّثه ، أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته يلحقه من بعد موته [٤] " .

٥ ـ وقوله صلى الله عليه وسلم : " وإنه ليستغفر للعالم من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء [٥] " .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب القدر باب من سن سنة حسنة أو سيئة ١٦/ ٢٢٧

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب الجهاد باب فضل من أسلم على يديه رجل ٦/ ١٤٤ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الوصية باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته ١١/ ٨٥ .

(٤) سنن ابن ماجه المقدمة باب ثواب معلم الناس الخير ١/ ٨٨ ـ ٨٩ .
ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب وقال رواه ابن ماجه وإسناده حسن . أنظر الترغيب والتهذيب للمنذرى ١/ ١٩٢ . وذكره الدمياطى فى المتجر الرابح وقال عقبه رواه ابن ماجه بإسناد حسن وابن خزيمة . انظر المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح للحافظ شرف الدين الدمياطى (ت : ٧٠٥هـ) ص ١٦ ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بالحسن ووافقه المناوى . انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ٢/ ٥٤١ .

(٥) سنن ابى داود كتاب العلم باب الحث على طلب العلم ٣/ ٣١٧ ، سنن ابن ماجه المقدمة ثواب معلم الناس الخير ١/ ٨٧ والحديث اسناده ضعيف لان فيه داود جميل وكثير بن قيس . لكنه يرتفع الى درجة الحسن لغيره لوجود شاهد له .

فقد نوهت هذه الأحاديث بفضل الدعاة وعظيم مثوبتهم وجزيل أجرهم ورفعة قدرهم وعلو منزلتهم وحسن صيتهم وذكرهم وبيان فضلهم على سائر الناس فأبانت ما يلـــي :ـ

١ ـ لهم من الأجر مثل أجور من تبعهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ٠

٢ ـ هدايتهم لرجل واحد خير لهم من أنفس وأكرم أموالهم ٠

٣ ـ أجر دعوتهم موصول لهم حتى بعد مماتهم ٠

٤ ـ يطلب لهم من في السموات والأرض من ملائكة وأنس وجن وجبال وشـــجر ودواب حتى الحيتان المغفرة لذنوبهم والصفح والعفو عن زلاتهم ٠

نسأل الله عـز وجل أن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر إنه على كل شئ قديـر وبالإجـابة جـديـر ٠

صفات الداعية :ـ

من أهم الصفات التى ينبغى للداعية أن يتحلى بها • هى ما يلى :ـ

الصفة الاولى : الإخلاص :

الإخلاص هو أن يقصد المرء بعمله الذى كلف به وجه الله وابتغاء مرضاته ومثوبته • إذ كل عمل صالح لا يقصد به وجه الله وتحقيق مرضاته فهو مردود على صاحبه • وسيعاقب عليه أشد العقاب• فالإخلاص أساس لقبول الأعمال •

وقد ورد فى بيان ذلك نصوص كثيرة من الكتاب والسنة • فأما النصوص الواردة فى القرآن الكريم • فمنها ما يلى :ـ

١ ـ قوله تعالى : ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾ (١) •

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين﴾ (٢) •

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ (٣) •

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ (٤) •

قال ابن كثير : (وهذان ركنا العمل المتقبل ، لابد أن يكون خالصا لله ، صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٥) •

٥ ـ وقوله تعالى : ﴿قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾ (٦) •

٦ ـ وقوله تعالى : ﴿هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾ (٧) •

---

(١) الأعراف آية ﴿٢٩﴾•
(٢) الزمر آية ﴿١١﴾•
(٣) البينة آية ﴿٥﴾ •
(٤) الكهف آية ﴿١١٠﴾ •
(٥) تفسير ابن كثير لابن كثير ٣/١٠٨ •
(٦) الأعراف آية ﴿٢٩﴾ •
(٧) غافر آية ﴿٦٥﴾ •

٧ — وقوله تعالى : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ﴾ (١) .

وأما النصوص الواردة فى السنة النبوية المطهرة فمنها ما يلى :—

١ — قوله صلى الله عليه وسلم : "إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " (٢) .

٢ — وقوله صلى الله عليه وسلم حينما جاءه أعرابى فقال : " الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه . فمن فى سبيل الله ؟ . قال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله " (٣)

قال النووى : (فيه بيان أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحات) (٤) .

٣ — قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه " (٥) .

---

(١) الماعون آية (٤ — ٧) .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب بدء الوحى باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ١/٨ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٢٨/٦ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد والسير باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٤٩/١٣ .

(٤) شرح النووى على مسلم ٤٩/١٣ .

(٥) سنن النسائى كتاب الجهاد باب من غزا يلتمس الأجر والذكر ٢٥/٦ . ط المكتبة العلمية بيروت لبنان . والحديث قال عنه ابن حجر : إسناده جيد . أنظر فتح البارى ٢٨/٦ . وحسنه السيوطى فى جامعه . أنظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ٢٧٥/٢ .

٤ — قوله صلى الله عليه وسلم : "إن اول الناس يقضى يوم القيامة عليه • رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها • قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت • قال : كذبت • ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ • فقد قيل • ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار • ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها • قال : فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن • قال: كذبت • ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ • فقد قيل • ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار • ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها • قال : فما عملت فيها ؟ • قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك • قال : كذبت • ولكنك فعلت ليقال هو جواد • ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار " (١) •

٥ — قوله صلى الله عليه وسلم : "بينما ثلاثة نفر يمشون ءأخذهم المطر • فأووا إلى غار فى جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم • فقال بعضهم لبعض : " انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم • فقال احدهم : اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران وامرأتى ولى صبية صغار أرعى عليهم فاذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدىّ فسقيتهما قبل بنى • وإنه نأى بى ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما • فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب • فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقى الصبية قبلهما • والصبية يتضاغون (٢) عند قدمىّ فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم (٣) حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد والسير باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ١٣/ ٥٠ — ٥١ •

(٢) أى يصيحون ويبكون • النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣ / ٩٢ •

(٣) اى عادتى وعادتهم او شانى وشأنهم • النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ٩٥ •

وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء ·

وقال الآخر: اللهم انه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء ، وطلبت اليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فتعبت حتى جمعت مائة دينار ، فجئتها بها ، فلما وقعت بين رجليها · قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم الا بحقه ، فقمت عنها · فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ، ففرج لهم · وقال الآخر : اللهم انى كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز (١) · فلما قضى عمله · قال : اعطنى حقى ، فعرضت عليه فرقه فرغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها فجاءنى فقال : اتق الله ولا تظلمنى حقى · قلت : اذهب الى تلك البقر ورعائها فخذها · فقال : اتق الله ولا تستهزئ بى · فقلت : انى لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه ، فذهب به · فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى · ففرج الله ما بقى) (٢) ·

فاذا قام الدعاة بتحقيق الأمر بالاخلاص فى أقوالهم وأعمالهم ، وابتغوا بها وجه الله وثوابه ومرضاته ، فانهم سيجنون من وراء ذلك ثمرات طيبة مباركة تعود عليهم وعلى الأفراد الذين يربونهم ويوجهونهم وينصحونهم بالخير الكثير والنفع العميم ·

فما أحوج الدعاة الى الاخلاص ، وما أحراهم أن يتحلوا به ويجعلوه شعارا لهم فى جميع أقوالهم وأعمالهم ، وحركاتهم وسكناتهم ، عند غضبهم ورضاهم ، عند شدتهم وعفوهم · حتى يلقوا ربهم وقد فازوا باحدى الحسنيين : ﴿من المؤمنين

---

(١) الفرق هو اناء أخذ ستة عشر رطلا ، وفيه لغتان تحريك الراء وهو الفصيح وتسكينها · الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ٢ / ٢٦٤ · ط ١٣٦٦هـ ــ ١٩٤٧م ·

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب البيوع باب اذا اشترى شيئا لغيره بغير اذنه فرضى ٤ / ٤٠٨ ــ ٤٠٩ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الرقاق باب أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح العمل ١٧ / ٥٥ ــ ٥٧ · واللفظ لمسلم ·

رجال صدقوا ما عـٰهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾[1].

الصفة الثانية : التقـوى :ـ

التقوى هى أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية وحاجزاً بامتثال الأوامر وأداء الطاعات واجتناب النواهي والبعد عن المعاصى ، وهى زاد الدعاة الأصيل ، ومعينهم الـذى لا ينضب ، ومددهم الذى لا ينقطع ، وحارسهم الذى لا يغفل ولا ينام . تقيهم الزلـل والانحراف ، وتحرسهم من الرياء والعجب والغرور ، وتمنعهم من الجور والظلم . ذلك أنها تجعل المؤمن يعمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله ويترك معصية الله علـى نور من الله يخاف عقاب الله . وقد ورد فى الأمر بها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة.

فأما النصوص الواردة فى القرآن الكريم فمنها مايلى :ـ

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يـٰأولى الألبـٰب ﴾[2] .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنـتم مسـلمون ﴾[3] .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكـم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾[4] .

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكـم أعمـٰلكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾[5].

---

(١) الأحزاب آية ﴿٢٣﴾ .

(٢) البقـرة آية ﴿١٩٧﴾.

(٣) ال عمران آية ﴿١٠٢﴾.

(٤) الأنفـال آية ﴿٢٩﴾ .

(٥) الأحزاب آيـة ﴿٧٠ ـ ٧١﴾.

٥ — وقوله تعالى : ﴿ قل يا عباد الذين ءامنوا اتقوا ربكم ﴾ (١) .

٦ — وقوله تعالى : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (٢) .

والآيات فى الأمر بها كثيرة ويكفى أنها وصية الله للأولين والآخرين . قال تعالى : ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتـٰب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ (٣) .

وأما النصوص الواردة فى السنة النبوية المطهرة فمنها ما يلى :-

١ — قوله صلى الله عليه وسلم حينما سئل: من أكرم الناس ؟ قال أتقاهم " (٤) .

٢ — وقوله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " (٥) .

٣ — وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء " (٦) .

وإن الدعاة إذا حققوا مخافة الله وتقواه فى قلوبهم حصلت لهم بركات وخيرات وثمرات كثيرة منها :-

١ — محبة الله . قال تعالى : ﴿ فإن الله يحب المتقين ﴾ (٧) .

٢ — معية الله . قال تعالى : ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (٨) .

---

(١) الزمر آية ﴿١٠﴾ (٢) الحشر آية ﴿١٨﴾

(٣) النساء آية ﴿١٣١﴾

(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب المناقب باب قول الله تعالى : ﴿ يأيها الناس إنا خلقنـٰكم من ذكر وأنثى ﴾ . ٦/٥٢٥ .

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الهبة باب الاشهاد فى الهبة ٥/٢١١

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الرقاق باب بيان الفتنة بالنساء ١٧/٥٥ .

(٧) آل عمران آية ﴿٧٦﴾ .

(٨) البقرة آية ﴿١٩٤﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (١) . أى معهم بالنصر والتأييد فى الدنيا والآخرة والمعونة والهداية وهذه هى المعية الخاصة أما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم كقوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ (٢) .

٣ — أنهم يحظون برضا الله وجناته :

قال تعالى : ﴿ للذين اتقوا عند ربهم جنت تجرى من تحتها الأنهر خلدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾ (٣) .

٤ — الأمن من الخوف والحزن :—

قال تعالى : ﴿ فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٤) .

٥ — تكفير السيئات :—

قال تعالى : ﴿ ولو أن أهل الكتب ءامنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنت النعيم ﴾ (٥) .

٦ — فتح البركات من السماء والأرض :—

قال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركت من السماء والأرض ﴾ (٦) .

---

(١) النحل آية ﴿ ١٢٨ ﴾ .

(٢) الحديد آية ﴿ ٤ ﴾ .

(٣) آل عمران آية ﴿ ١٥ ﴾ .

(٤) الأعراف آية ﴿ ٣٥ ﴾ .

(٥) المائدة آية ﴿ ٦٥ ﴾ .

(٦) الأعراف آية ﴿ ٩٦ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ (١) .

٧ - حصول الفرقان لصاحبها :-

قال تعالى : ﴿ يٰأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ (٢) .

والفرقان هو الفصل بين الحق والباطل . قال ابن كثير : (من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه وهو محوها . وغفرها : سترها عن الناس وسببا لنيل ثواب الله الجزيل) (٣) .

٨ - التفريج من كل هم وضيق والنجاة من كل كرب في الدنيا والآخرة . وتيسير الأمور وإصلاحها :-

قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ يٰأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ (٦) .

٩ - انهم هم الفائزون لا غيرهم . قال تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ (٧) .

---

(١) المائدة آية ﴿٦٦﴾ .

(٢) الأنفال آية ﴿٢٩﴾ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٣٠٢ .

(٤) الطلاق آية ﴿٢﴾ .

(٥) الطلاق آية ﴿٤﴾ .

(٦) الأحزاب آية ﴿٧٠ - ٧١﴾ .

(٧) النور آية ﴿٥٢﴾ .

١٠ ـ أنهم هم أولياء الله :

قال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ (١) .

قال ابن كثير : ﴿ يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم بهم فكل من كان تقيا كان لله وليا ﴾ (٢) . وسينالون الفلاح والرحمة ويوفقون لشكر الله وستكون العاقبة لهم .

١١ ـ أنهم هم المفلحون :

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (٣) .

١٢ ـ تفضل الله عليهم برحمته :

قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ (٤) .

١٣ ـ تحقيق شكر الله :

قال تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ (٥) .

١٤ ـ حسن العاقبة في الدنيا والآخرة :

قال تعالى : ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ (٦) .

---

(١) يونس آية ﴿ ٦٢ ـ ٦٣ ﴾ .
(٢) تفسير ابن كثير لابن كثير ٢/٤٢٢ .
(٣) آل عمران آية ﴿ ٢٠٠ ﴾ .
(٤) الأعراف آية ﴿ ١٥٦ ﴾ .
(٥) آل عمران آية ﴿ ١٢٣ ﴾ .
(٦) الأعراف آية ﴿ ١٢٨ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فاصبر إن العـٰقبة للمتقين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلوٰة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعـٰقبة للتقوى ﴾ (٢) .

قال ابن كثير (أى وحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة وهى الجنة لمن اتقى الله) (٣) .

١٥ ـ قبول العمل .

قال تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ (٤) .

فليحرص الدعاه على تقوى الله فى كل همسة وفى كل حركة وفى كل سر وعلانية وفى جميع أقوالهم وأعمالهم ليؤ تى عملهم ثماره طيبة بإذن الله .

الصفة الثالثة : العلم :

إن العلم هو سلاح الداعية فى دعوته للآخرين وكيف يستطيع الداعية الدعوة إلى الله بدون هذا السلاح ؟ إن فاقد الشىء لا يعطيه والذى لا يملك النصاب كيف يزكى . لذا وجب على الداعية لزاما أن يحرص على طلب العلم والتزود منه لا سيما وقد جاء الحض عليه فى الكتاب والسنة .

فمن النصوص القرآنية ما يلى :ـ

١ ـ قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٥) .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (٦) .

---

(١) هود آية ﴿ ٤٩ ﴾ .

(٢) طه آية ﴿ ١٣٢ ﴾ .

(٣) تفسير ابن كثير لابن كثير ٣ / ١٧١ .

(٤) المائدة آية ﴿ ٢٧ ﴾ .

(٥) فاطر آية ﴿ ٢٨ ﴾ .

(٦) الزمر آية ﴿ ٩ ﴾ .

٣ — وقوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (١).

بل إن أول خمس آيات تنزل على المصطفى صلى الله عليه وسلم فيها تنويه بشأن القراءة وأهميتها قال تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (٢).

وكذلك قوله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ (٣).

ومن النصوص النبوية ما يلى :ـ

١ — قوله صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين " (٤).

٢ — قوله صلى الله عليه وسلم : " ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة " (٥).

٣ — قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من فى السموات والأرض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب " (٦).

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه وهو يبين فضل العلم وثمراته ومزاياه : (تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه

---

(١) المجادلة آية ﴿ ١١ ﴾ .
(٢) العلق آية ﴿ ١ ـ ٥ ﴾ .
(٣) القلم آية ﴿ ١ ﴾ .
(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ١/١٦٤ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب النهى عن المسألة ٧/١٢٨ .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ١٧/٢١ .
(٦) سنن أبى داود كتاب العلم باب الحث على طلب العلم ٣/٣١٧ . والحديث سبق تخريجه انظر ص ٣١

جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل اهل الجنة وهو الأنس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وائمة تقتص آثارهم ، ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم (١).

فليحرص الدعاة على العلم وليكثروا من الاتصال بكتاب ربهم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من بعده وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة . وليقرأوا بعد ذلك كتبا فى العقيدة والفقه والدعوة وكتبا فى الثقافة العامة والعلوم الأرضية حتى يردوا على شبه الحاقدين والمغرضين . وينبغى أن يكون هذا العلم مستقى من موارده الصافية ومحررا من الأباطيل والمفتريات ومصفى من البدع والخرافات .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى (ت ٤٦٣) ص ٦٦ ط دار الكتب المصرية الحديثة . قلت : وهذا القول مروى بأسانيد مرفوعة ضعيفة إلى النبى صلى الله عليه وسلم وليس فيها اسناد قوى . وروى من طرق صحيحة موقوفا على معاذ بن جبل وهو الصحيح والله اعلم .

٤ — الشعور بالمسؤولية :ـ

إن الدعاة هم ورثة الأنبياء ، ولا رتبة أعلى من رتبة النبوة ، ولا درجة أعظم من درجة الوارثين لهذه المرتبة وعلى قدر المنزلة تكون المسؤولية والمحاسبة .

والداعية متى ما استشعر مسؤوليته وواجبه المنوط به نحو عباد الله والأمانة التى تحملها لهدايتهم وإرشادهم كان ذلك دافعا له للقيام بواجبه وأداء رسالته ، أما إذا لم يستشعر مسؤوليته وواجبه فإنه لن يتحرك ويعمل كما ينبغى وكما هو مطلوب منه .

لذا وجب على القائمين بأمر الدعوة أن يربوا هذه الصفة فى الدعاة لينطلق الدعاة برغبة وهمة وإخلاص وتضحية وتفان . وإن القرآن والسنة ليركزان الانتباه على مسؤولية الانسان نحو ما أودعه الله إياه وكلفه وألزمه به .

فمن الآيات القرآنية :ـ

١ — قوله تعالى : ﴿ فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين ﴾ (١) .

٢ — قوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ (٢) .

٣ — وقوله تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ (٣) .

٤ — وقوله تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ (٤) .

---

(١) الأعراف آية ﴿ ٦ ﴾ .
(٢) الاسراء آية ﴿ ٣٦ ﴾ .
(٣) الحجر آية ﴿ ٩٢ ـ ٩٣ ﴾ .
(٤) الصافات آية ﴿ ٢٤ ﴾ .

٥ ــ وقوله تعالى : ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ (١) .

٦ ــ وقوله تعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾ (٢) .

ومن السنة :ــ

١ ــ قوله صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع ومسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته " . قال ابن عمر فسمعت هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال : " والرجل في مال أبيه راع وهو مسؤول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " (٣) .

٢ ــ وقوله صلى الله عليه وسلم : " وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم " (٤) .

٣ ــ وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما : " والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا

---

(١) التكاثر آية ﴿٨﴾ .   (٢) الأحزاب آية ﴿٧٢ ــ ٧٣﴾ .

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الاستقراض باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه ٥ / ٦٩ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق ١٢ / ٢١٣ .

(٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الأضاحي باب من قال الأضحى يوم النحر ١٠ / ٨ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ١١ / ١٦٩ .

حتى أصابكم هذا النعيم " (١) .

٥ — الثبات :—

إن الثبات على الاستمرار في الدعوة من ألزم صفات الداعية . فالداعية مطالب بالثبات على دعوته وتحمل كل شيء في سبيلها حتى يبرهن للآخرين أن ما يدعو إليه هو الحق الذي يجب أن يُتَّبَع .

ويكفي الدعاة قدوة في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الذين ضربوا أروع الأمثلة في الثبات على الحق والاستمرار عليه .

فأما عن ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم فإليك ما رواه ابن هشام حيث ذكر أن قريشا جاءت إلى عم الرسول صلى الله عليه وسلم يرجونه أن يكف محمدا عن أذاهم وسب آلهتهم وعيب أحلامهم . فلان أبو طالب لكلامهم وكلّم الرسول في ذلك . فردّ عليه صلى الله عليه وسلم بقولته المشهورة التي غدت مضرب المثل في الثبات على الحق والاستمرار عليه مهما كانت المصاعب والمشاق : " والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته " (٢) .

وأما عن صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين فقد كانت حياتهم مليئة بالجهاد ضد الباطل والصمود في وجه الطغيان والثبات على الإيمان والاستمرار على الحق كمصعب بن عمير وبلال بن رباح وخباب بن الأرت وآل ياسر وخالد بن سعيد بن العاص وحبيب بن زيد . وغيرهم كثير . ممن ضربوا أروع الأمثلة

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأشربة . باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه ١٣/٢١٤ .

(٢) سيرة ابن هشام لابن هشام (ت : ٢١٣ — ٢١٨) القسم الأول ١/٢٦٦
وهذا الحديث بهذا اللفظ ليس له اسناد صحيح بل هو ضعيف معضل وانما هو مشهور في كتب السيرة . والثابت قوله صلى الله عليه وسلم : ما انا باقدر على ان ادع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منها شعلة " يعني الشمس . انظر تاريخ ابن عساكر ١١/٣٦٣ . واسناد بن عساكر صحيح لأن رجال السند رجال مسلم وفي يونس بن بكير وطلحة بن يحيى كلام لا يضر .

فى الثبات على الحق والاستمرار عليه حتى قضوا نحبهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدلوا تبديلا .

٦ — الغيرة والغضب إذا انتهكت محارم الله :—

إن الغيرة لمحارم الله والغضب لحدود الله إذا انتهكت منزلة شريفة عالية القدر جليلة المكانة لا يلقّاها إلا ذو حظ عظيم من الاصطفاء والقرب من الله الملك العلام ، وهى من أوجب الصفات التى تدل على محبة الله العبد ومحبة العبد لله قال ابن القيم : (وغيرة العبد لربه نوعان أيضا : غيرة من نفسه وغيرة من غيره . فالتى من نفسه أن لا يجعل شيئا من أعماله وأقواله وأحواله وأوقاته وأنفاسه لغير ربه والتى من غيره أن يغضب لمحارمه إذا انتهكها المنتهكون ولحقوقه إذا تهاون بها المتهاونون) (١) .

والداعية إلى الله عز وجل أولى الناس بهذه الصفة ، فإنه إذا لم يكن متحليا بهذا الخلق الحميد فإنه لا خير فيه . وهل هناك خير فيمن يرى محارم الله تنتهك ، وحدوده تضاع ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يرغب عنها وهو بارد القلب ساكن الجوارح لا يغضب ولا يتمعر وجهه لله ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " (٢) . وفى رواية : وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " (٣) . وكان صلى الله عليه وسلم إذا رأى شيئا يكرهه عرف الغضب فى وجهه وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم الله فيغضب وينتقم أشد الانتقام .

---

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزيه (ت :٧٥١) ٣ / ٤٤ بتحقيق محمد حامد الفقى دار الكتاب العربى بيروت .

(٢) سبق تخريجه أنظر ص ١٩

(٣) سبق تخريجه أنظر ص ١٩ .

٧ — الصبر :—

إن الداعية وهو يدعو إلى الله لابد وأن يلقى الأذى والاعراض والسخرية والاستهزاء من الناس • وذلك أن الناس قد تعودت طباعهم والفت عقولهم صنفا من العقائد الواهية والأخلاق الفاسدة ومن الصعب عليهم أن يتركوها إلى غيرها • هذا بالاضافة إلى أن علية القوم ورؤساءهم وممن لهم مصلحة فى بقاء تلك العقائد الواهية والأخلاق الفاسدة سيرفضون ذلك بكل إصرار كما كان شأن الملأ فى كل قوم بعث إليهم رسول من رسل الله • فما على الداعية إلا أن يوطن نفسه على تحمل ما يلاقيه من الأذى والاعراض والاستهزاء والسخرية فتلك هى سنة الله ليبتلى الصادق من الكاذب وتلك هى طبيعة الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر • ولقد فهم لقمان هذه الحقيقة ووصّى ابنه بها فى وصيته المشهورة لولده : ﴿ يٰبنى أقم الصلوٰة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ (١) •

وقد جاء الأمر بالصبر فى القرآن والسنة فى مواضع كثيرة جدا •

فمن القرآن :—

١ — قوله تعالى : ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر والصلوٰة ﴾ (٢) •

٢ — وقوله تعالى : ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (٣) •

---

(١) لقمان آية ﴿١٧﴾ •

(٢) البقرة آية ﴿١٥٣﴾ •

(٣) آل عمران آية ﴿٢٠٠﴾ •

٣ — وقوله تعالى : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر والصلوٰة إن الله مع الصـٰبرين ﴾[1] .

٤ — وقوله تعالى : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقـٰها إلا الذين صبروا وما يلقـٰها إلا ذو حظ عظيم ﴾[2] .

٥ — وقوله تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾[3] .

٦ — وقوله تعالى : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ﴾[4] .

ومن السـنة :—

١ — قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار : " إنكم سترون بعدى أثرة[5] شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله — صلى الله عليه وسلم — على الحوض "[6] .

٢ — وقوله صلى الله عليه وسلم : " رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر "[7] .

٣ — وقوله صلى الله عليه وسلم : " من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية "[8] .

٤ — وقول أنس بن مالك رضى الله عنه للزبير بن عدى حين أتوه يشكون إليه ما يلقون من الحجاج (اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم . سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم)[9] .

---

(١) البقـرة آية ﴿ ١٥٣ ﴾ .

(٢) فصـلت آية ﴿ ٣٤ — ٣٥ ﴾ .

(٣) الأحقـاف آية ﴿ ٣٥ ﴾ .

(٤) المزمـل آية ﴿ ١٠ ﴾ .

(٥) الاثرة : بفتح الهمزة والثاء — من آثر يؤثر ايثارا إذا أعطى ، أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم فى نصيبه من الفئ . والاستئثار : الانفراد بالشئ . النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١ / ٢٢ .

(٦) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فرض الخمس باب ما كان النبى يعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ٦ / ٢٥١ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه إن لم يعط ٧ / ١٥١ .

(٧) المرجع نفسه البخارى : ٦ / ٢٥٢ ومسلم ٧ / ١٥٨ .

(٨) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الفتن باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : " سترون بعدى أمورا تنكرونها " ١٣ / ٥ .

(٩) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الفتن باب لا يأتى زمان إلا الذى بعده أشر منه ١٣ / ١٩ — ٢٠ .

قال سيد قطب وهو يصف أنواع الصبر ويوصى الدعاة به (والصبر هـو زاد الطريق فى هذه الدعوة . إنه طريق طويل شاق حافل بالعقبات والأشواك مفروش بالدماء والأشلاء وبالايذاء والابتلاء ، الصبر على أشياء كثيرة :

* الصبر على شهوات النفس ورغائبها وأطماعها ومطامحها وضعفها ونقصها وعجلتها وملالها من قريب !.
* والصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصورهم وانحراف طباعهم وأثرتهم وغرورهم والتوائهم واستعجالهم للثمار !
* والصبر على تنفج[1] الباطل ووقاحة الطغيان وانتفاش[2] الشر وغلبة الشهوة وتصعير[3] الغرور والخيلاء !
* والصبر على قلة الناصر ، وضعف المعين ، وطول الطريق ، ووساوس الشيطان فى ساعة الكرب والضيق !
* والصبر على مرارة الجهاد لهذا كله ، وما تثيره فى النفس من انفعالات متنوعة من الألم والغيظ والحنق والضيق وضعف الثقة أحيانا فى الخير وقلة الرجاء أحيانا فى الفطرة البشرية والملل والسأم واليأس أحيانا والقنوط !
* والصبر بعد ذلك كله على ضبط النفس فى ساعة القدرة والانتصار والغلبة ، واستقبال الرخاء فى تواضع وشكر وبدون خيلاء ، وبدون اندفاع إلى الانتقام ،

---

١ تنفج : أى أفتخر بأكثر مما عنده . القاموس المحيط للفيروزآبادى ٢١٨/١.

٢ النفش: تشعيث الشىء بالأصابع حتى ينتشر . وكل منتبر رخو الجوف منتفش. القاموس المحيط للفيروز ابادى ٣٠٢/٢ .

٣ صعّر خده تصعيرا وصاعره وأصعره : أماله عن النظر إلى الناس تهاونا من كبر . القاموس المحيط للفيروز آبادى ٧١/١ .

وتجاوز القصاص الحق إلى الاعتداء ! والبقاء في السراء والضراء على صلة بالله واستسلام لقدره ورد الأمر إليه كله في طمأنينة وثقة وخشوع) [١] .

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/٥٥١ ـ ٥٥٢ .

المبحث الثالث

المدعوون وأصنافهم

المدعوون وأصنافهم :ـ

المدعو هو من توجه إليه الدعوة ، وهم عموم الناس ، لأن الرسالة المحمدية عامة لجميع البشر ، كما قال تعالى: ﴿ قل يـأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾ [1].

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنـك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ [2] .

وعلى هذا فيمكننا أن نصنف المدعوين إلى عدة أصـناف :ـ

١ ـ أهل الكتـــاب :ـ

يتميز أهل الكتاب بأنهم قوم على مستوى من العلم والثقافة والحضـارة ، وأن عندهم كتابا من الله ـ وإن كانوا قد حرّفوه كما أخبر القرآن ـ وأنهـم قوم قد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وفسق أكثرهم عن أمر ربه ، ودخلهـم حب الدنيا ، وتعاملوا بالرشوة وأخذوا الربا وقد نهوا عنه كما قال تعالـى : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبـت أحلت لهم وبصدهم عـن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربـوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالبـطـل وأعتدنا للكـفرين منهم عذابا أليما ﴾ [3] .

فهؤلاء يدعون أول ما يدعون إلى افراد العبودية لله وحده ، ونفـي الشريك عنه ، كعزير عليه السلام عند اليهود وعيسى عليه السلام عنـد النصارى كما قال تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : ﴿ يا أهل الكتـب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهـدوا بأنـا مسـلمون ﴾ [4] .

---

(١) الاعراف آيـة (١٥٨) . (٢) سبأ آية (٢٨) .
(٣) النساء آيـة (١٦٠ ـ ١٦١) . (٤) آل عمران آية (٦٤) .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تجدلوا أهل الكتب إلا بالتى هى احسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ قل يٰأهل الكتب لستم على شىء حتى تقيموا التورىٰة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ (٢) . والمراد بالتوراه والانجيل قبل تحريفهما .

وقد ارشد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه حين بعثه إلى اليمن داعيا، وعلمه الطريقة المثلى لدعوة أهل الكتاب حيث قال له : " إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن اول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فاخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم . فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس " (٣) .

وهكذا حتى يبلغون أحكام الاسلام وآدابه ، وحدوده وشرائعه . مع تذكيرهم بنعم الله عليهم ، وما خصهم به من الفضل . وأنه ينبغى أن يكون هذا دافعا لهم لشكر الله والاقرار به وأنه واحد لا شريك له مع الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لا سيما وأن كتبهم كذلك قد بشرت به كما قال تعالى : ﴿ الذين ءاتينهم الكتب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ (٤) . وقال تعالى : ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يٰبنى إسراءيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدىّ من التورىٰة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ (٥) .

---

(١) العنكبوت آية ﴿٤٦﴾ . (٢) المائدة آية ﴿٦٨﴾ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس فى الصدقة ٣/٣٢٢ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الاسلام ١/١٩٩ — ٢٠٠

(٤) البقرة آية ﴿١٤٦﴾ . (٥) الصف آية ﴿٦﴾ .

فإن لم يستجيبوا فيفضح أمرهم وأمر علمائهم ، وتذكر طباعهم السيئة وأخلاقهم الذميمة وصفاتهم القبيحة ليحذرهم الناس مثل قوله تعالى فاضحا لهم : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة ﴾[1] . وقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثٰق الذين أوتوا الكتٰب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ﴾[2] . إلى غير ذلك من الآيات التي تفضح شأنهم وتبين طبائعهم . مع الرد على شبههم شبهة شبهة ليظهر كذبهم وزيغهم وضلالهم وإفكهم .

٢ — أهل الشرك :—

يتميز هؤلاء بأنهم قوم ليس عندهم كتاب من الله ، وأن عقائدهم عقائد موروثة عن الآباء والأجداد ، قد استحكمت بها نفوسهم وأشربتها قلوبهم — مع وهنها وزيغها وضلالها — . فهؤلاء يعرفون بالله عز وجل عن طريق آياته في ملكوته وسمائه وأرضه . وتوجه أنظارهم إلى السموات والأرض . ويؤمرون بتحرير عقولهم وفك قيودها وإسارها ويحذرون من التقليد ، لتنطلق عقولهم فتعرف الحق وتهتدى إليه . فإذا ما عرفوا الله وأيقنوا به وصدقوا بوحدانيته ، عند ذلك توجه إليهم شرائع الاسلام وآدابه وأخلاقه وأحكامه . مع الرد على شبههم ردا محكما بالحجة اليقينية الدامغة والبرهان القوى الساطع والمنطق الفطرى الواضح .

---

(١) البقرة آية ﴿٩٦﴾ .

(٢) آل عمران آية ﴿١٨٧﴾ .

٣ ـ المنافقـــون :ـ

وهذا الصنف لا يظهر إلا عندما تكون دولة الاسلام قوية مهابة الجانب .
ومن صفاتهم أنهم يظهرون خلاف ما يبطنون ، وأنهم لا يثبتون على حالـــة
واحدة . فهم مع المؤمنين إن انتصروا ، وعليهم إن هزموا وغلبوا . فهـــؤلاء
يوعظون ويخوفون ويذكرون وينصحون باللطف واللين والرفق . ويؤمرون بالرجوع
والانابـة والتوبة والاستغفار . وتسأل لهم الهداية من الله ويوكل أمر سرائرهم
اليه كما قال تعالى : ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهـــم
وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغـا ﴾ (١) . فإن لم يرتدعوا ويكفوا أيديهم
وألسنتهم عن المؤمنين فحينئذ يستعمل معهم أسلوب التهديد والوعيد المصحوب
بالقسوة والشدة . ويعاقبون إن ازداد ضررهم . وتفضح صفاتهم وبعض أفعالهم ،
ليحذرهم المؤمنون ولعلهم يرتدعون كما قال تعالى :﴿ لئن لم ينته المنـٰفقون
والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا مـــن
قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ (٢) .

---

(١) النسـاء آية ﴿ ٦٣ ﴾ .
(٢) الأحزاب آية ﴿ ٦٠ ـ ٦٢ ﴾ .

٤ — المسلم الفاسق العاصي :—

فهذا يوعظ ويخوف ويذكر بالله ، وعقابه للعاصين وثوابه للطائعين ، وإقباله ورحمته لهم ٠ وتورد عليه الأخبار والقصص الواردة في ذلك ٠ وتذكر له سيرة السلف الصالح من عباد الله المتقين ليعتبر ويتأسى بهم ٠

٥ — المتأثرون بالحركات الهدامة :

وهم الناس المضللون بإحدى التيارات والحركات الهدامة كالقاديانية والبهائية والعلمانية والشيوعية والرأسمالية وغيرها ٠ فهؤلاء يبين لهم حقيقة هذه الفرق الضالة والفرق بينها وبين الاسلام ٠ ويرد على شبههم ردا محكما بالدليل والحجة والبرهان والسلطان ٠ ويزاح ماغطى قلوبهم من الافك والضلال ، وما غشى أبصارهم من الجهل والظلام ، ويعرفون بحقيقة إسلامهم ومزاياه ٠

****

الباب الأول

الفصل الأول

الحكمة وبيان المراد منها

تعريف الحكمة :

أولا : في اللغة :

الحكمة مصدر حكم يحكم حكما وحكمة • وقد وردت هذه الكلمة في لغة العرب لعدة معان :—

١ — الاصابة والاتقان :

قال الأزهري : (الحكيم : المتقن للأمور• ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها هو حكيم• فهو فعيل بمعنى مفعل أي محكم) (١) •

قال النابغة الذبياني :—

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت (٢) إلى حمام سراع (٣) وارد الثمد (٤)

ومعناه : كن حكيما كفتاة الحي • أي إذا قلت فأصب كما أصابت هذه المرأة • إذ نظرت إلى الحمام فأحصتها ولم تخطئ عددها • ويدلك على أن معنى احكم : كن حكيما • قول النمر بن تولب :

وابغض بغيضك بغضا رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما (٥)

٢ — منع الرجل ورده عن الظلم والفساد :—

يقال : أحكمت الرجل عن كذا وكذا وأحكمته : إذا منعته منه •

قال الأصمعي : (قرأت في بعض الكتب للخلفاء الأول : (فاحكم بني فلان عن كذا وكذا أي امنعهم • ومن هذا اشتقاق حكمة الدابة لأنها ترد الدابة عن

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٤ / ١١١ — ١١٢ ، الصحاح للجوهري ٥ / ١٩٠١ ، لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٤٠ •

(٢) أي سريع من السرعة نقيض البطء • القاموس المحيط للفيروز أبادي ١ / ٢٨٠ ط• دار الفكر — بيروت •

(٣) الثمد ويحرك : الماء القليل • القاموس المحيط للفيروز أبادي ١ / ٢٨٠ ط• دار الفكر — بيروت •

(٤) ديوان النابغة الذبياني (ت : ٦٠٢م) تحقيق وشرح كرم البستاني ص ٣٤ • من قصيدة مطلعها :—

يا دارمية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

(٥) شعر النمر بن تولب ص ١٠٢ صنعه الدكتور نور جمودي القيسي مطبعة المعارف — بغداد •

كثير من الجهــــل •

ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم ، لأنه يمنع الظالم عن الظلم •

ومنه قولهم حكّم اليتيم كما تحكّم ولدك •أى امنعه من الفساد وأصلحه كمـــا تصلح ولدك ، وكما تمنعه من الفساد (١) •

قال جرير بن عطية الخطفى :

أبنى حنيفة أحكموا ســـفهاءكم

إنى أخاف عليكم أن أغضـــبا

وقال حسان بن ثابت :

فنحكم بالقوافى من هجانا ونضرب حين تختلط الدمـــاء (٣)

٣ ــ كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة •

قال ابن دريـــد : (فكل كلمة وعظتك أوزجرتك ،أو دعتك إلى مكرمة ، أو نهتك عن قبيح ، فهى حكمة وحكم • وهو تأويل قول الرسول صلى الله عليه وسلـــم : "إن من الشعر لحكما (٤) وإن من البيان لسحرا (٥) ") •

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ٢/١٨٦ ، تهذيب اللغة للأزهرى ٤/١١١ــ١١٣ ، لسان العرب لابن منظور ١٢/١٤١ •

(٢) ديوان جرير (ت: ١١٤هـ) ص ٤٧ • مطبعة صادر بيروت ١٣٧٩ ــ ١٩٦٠م •

(٣) ديوان حسان بن ثابت (ت:٥٠هـ) ص ٦ بتحقيق عبد الرحمن البرقوقى مطبعة المكتبة التجارية بمصر •

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداد وما يكره منه ١٠/٥٣٧ ، سنن الترمذى بتحفة الأحوذى كتاب الأدب باب ماجاء إن من الشعر حكمه ٨/١٣٥ ، سنن أبى داود كتاب الأدب باب ماجاء فى الشعر ٤/٣٠٢ ــ ٣٠٣ ، مسند الإمام أحمد بهامشه منتخب كنز العمال ١/٢٦٩ •

(٥) الجمهرة لابن دريد ٢/١٨٦ •

٤ ـ العلم والفقه [١] .

٥ ـ العدل والقضاء به :

قال ابن منظور : (الحكيم فعيل بمعنى فاعل أى حاكم وهو القاضي) [٢] .

٦ ـ وضع الشيء موضعه وصواب الأمر وسداده [٣] .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهرى ٤ / ١١١ ، الصحاح للجوهرى ٥ / ١٩٠١ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٤٠ .

(٣) الكليات " معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية " لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسينى الكفوى (ت : ١٠٩٤ هـ ٢ / ٢٢٢ . ط٢ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى دمشق ١٩٨١ م .

ثانيا : فى استعمالات القرآن :

وردت الحكمة فى القرآن لعدة معانى :ـ

١ ـ الإصابة فى القول والفعل . نحو قوله تعالى نحو﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألبـب﴾ (١) .

قالــه مجاهد (٢) والطبرى (٣) والاصفهانى (٤) والرازى (٥) .

٢ ـ العقل فى الدين .

نحو قوله تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألبـب ﴾ (٦).

قالــه ابن زيــد (٧) .

٣ ـ المعرفة بالدين والفقــه فيــه .

نحو قوله تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألبـب ﴾ (٨) .

---

(١) البقــرة آية ﴿ ٢٦٩ ﴾ .

(٢) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٣ / ٩٠ ، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى (ت : ٥٩٧ هـ) ٣٢٤/١٠ .

(٣) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٥ / ٥٧٦ .

(٤) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ص ١٢٦ .

(٥) التفسير الكبير للرازى (ت : ٦٠٦هـ) ٤ / ٧٤ و ٦ / ٢٠٢ .

(٦) البقرة آية ﴿ ٢٦٩ ﴾.

(٧) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٣ / ٨٦ ــ ٨٧ .

(٨) البقرة آية ﴿ ٢٦٩ ﴾.

قاله : ابن عباس (١) ومالك (٢) وابن زيد (٣) والحسن (٤) ومقاتل (٥) .

٤ - تفسير القرآن والفقه به ومعرفة محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه .

نحو قوله تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ (٦) .

قاله : ابن عباس (٧) وابن مسعود (٨) وقتادة (٩) ومجاهد (١٠) والضحاك (١١) وابو العالية (١٢) ومقاتل (١٣) والدامغانى (١٤) .

٥ - الخشية :

نحو قوله تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ (١٥) .

وبه قال الربيع بن أنس (١٦) .

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١/ ٢٦٨ .
(٢، ٣) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٣/ ٩٠ .
(٤) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٧/ ١١١ .
(٥) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخى ص ١١١ . (٦) البقرة آية ﴿٢٦٩﴾ .
(٧) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٣/ ٨٩ ، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١/ ٣٢٤ . (٨) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٣/ ٨٩-٩٠
(٩) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١/ ٣٢٤ .
(١٠) المرجع نفسه ٣/ ٩٠ ، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١/ ٣٢٤ .
(١١) زاد المسير فى علم التفسير ١/ ٣٢٤ .
(١٢) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٣/ ٩٠ .
(١٣) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخى (ت : ١٥٠هـ) ص ١١٢ .
(١٤) الوجوه والنظائر للدامغانى ص ١٤٢ .
(١٥) البقرة آية ﴿٢٦٩﴾ .
(١٦) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٣/ ٩١ ، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١/ ٣٢٤ .

٦ ـ المقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة نحـو قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ (١) .

قاله الزمخشرى (٢) وأبو السعود (٣) والنسفى (٤) والبيضاوى (٥) والرازى (٦) .

٧ ـ توفيق العمل بالعلم :

نحو قوله تعالى : ﴿ ويعلمه الكتب والحكمة والتوريـة والإنجيل ﴾ (٧) .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد ءاتينا لقمن الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد ﴾ (٨) .

قاله الطبرى (٩) وابن قتيبة (١٠) والزمخشرى (١١) .

٨ ـ السنـه .

نحوقوله تعالى : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم ءايتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (١٢) .

---

(١) النحل آية ﴿ ١٢٥ ﴾ .

(٢) الكشاف للزمخشرى ٤٣٥/٢ .

(٣) تفسير أبى السعود (ت : ٩٥١هـ) ١٥١/٥ .

(٤) تفسير النسفى (ت :) ٣٠٥/٢ .

(٥) تفسير البيضاوى (ت :) ص ٣٦٩ .

(٦) مفاتيح الغيب للرازى ١٣٠/٢٠ .

(٧) آل عمران آية ﴿ ٤٨ ﴾ .

(٨) لقمان آية ﴿ ١٢ ﴾ .

(٩) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٥٧/٨ ، ١٤٥/٢٥ .

(١٠) غريب القرآن لابن قتيبه (ت : ٢٧٦هـ) ص ٣٢ .

(١١) الكشاف للزمخشرى ٣٩٦/١ .

(١٢) البقرة آية ﴿ ١٢٩ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم ءايٰته ويزكيهم ويعلمهم الكتٰب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلٰل مبين ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتٰب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من ءايٰت الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم ءايٰته ويزكيهم ويعلمهم الكتٰب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلٰل مبين ﴾ (٤) .

قاله : ابن عباس (٥) وقتادة (٦) والحسن (٧) ومقاتل بن حيان (٨) وأبو مالك (٩) والشافعى (١٠) .

٩ـ النبوة :

نحو قوله تعالى : ﴿ وءاتٰه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ﴾ (١١) .

---

(١) آل عمران آية ﴿١٦٤﴾ .

(٢) النساء آية ﴿١١٣﴾ .

(٣) الأحزاب آية ﴿٣٤﴾ .

(٤) الجمعة آية ﴿٢﴾ .

(٥) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٤٦/١ .

(٦) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٥٥٧/١ ، ١٣٩/٢ .

(٧) ، (٨) ، (٩) تفسير ابن كثير لابن كثير ١٨٤/١ .

(١٠) الرسالة للشافعى ص ٣٢ ، ٧٦ ـ ٧٩ ، ٩٣ ـ ١٠٣ .

(١١) البقرة آية ﴿٢٥١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ فقد ءاتيناءال إبراهيم الكتـٰب والحكمة وءاتينـٰهم ملكا عظيما ﴾ .(١)

وقوله تعالى : ﴿ وشددنا ملكه وءاتينـٰه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ .(٢)

وقوله تعالى : ﴿ ولما جاء عيسى بالبيـنـٰت قال قد جئتكم بالحكمة ﴾ .(٣)

قاله ابن عباس (٤) والسدى (٥) ومقاتل (٦) والطبرى (٧) والدامغانى (٨) وابن كثير (٩) .

١٠ ــ الإنجيــــل :

نحو قوله تعالى : ﴿ ولما جاء عيسى بالبيـنـٰت قال قد جئتكم بالحكمة ﴾ .(١٠)

قاله مقاتـل (١١) .

١١ ــ المواعظ التى فى القرآن من الأمر والنهى :

نحو قوله تعالى : ﴿ وما أنزل عليكم من الكتـٰب والحكمة يعظكم به ﴾ .(١٢)

وقوله تعالـــى : ﴿ حكمــة بـٰلغة فما تغـن النـذر ﴾ .(١٣)

قالــه مقاتــل (١٤) والدامغانــى (١٥) .

---

(١) النساء آية ﴿٥٤﴾ .

(٢) ص آية ﴿٢٠﴾ .

(٣) الزخرف آية ﴿٦٣﴾ .

(٤) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١/٣٠٠

(٥) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٢٣/١٣٩ ، ٢٥/٩٢ ، زاد المسير فى علم التفسير ٢/١١١ .

(٦) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخى ص ١١٢ ، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١/٣٠٠ ، ٢/١١١ .

(٧) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ١/ ٦٣٢ .

(٨) الوجوه والنظائر للدامغانى ص ١٤١ .

(٩) تفسير ابن كثير لابن كثير ١/٣٠٣ .

(١٠) الزخرف آية ﴿٦٣﴾ .

(١١) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٧/٣٢٦ .

(١٢) البقـرة آية ﴿٢٣١﴾ .

(١٣) القمــر آية ﴿ ﴾ .

(١٤) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخى ص ١١١ .

(١٥) الوجوه والنظائر للدامغانى ص ١٤١ .

١٢ — القرآن نحو قوله : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾(١) .

قاله : مقاتل(٢) والدامغاني(٣) والماوردي(٤) والطبرسي(٥) .

---

(١) النحل آية ﴿١٢٥﴾ .

(٢) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخي ص ١١٣ .

(٣) الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٤٢ .

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي لأبي الحسن علي حبيب الماوردي البصري ٢/٤١٧ .

(٥) مجمع البيان لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت : ٥٥٢هـ) ١٤/١٣٨ . دار مكتبة الحياة بيروت ط٠ ١٣٨٠هـ .

ولو انعمنا النظر فى تلك الأقوال جميعها لوجدنا أنهـا ترجع إلـى القول الأول وهو الإصابة فى القول والفعل لأن جميع الأقوال التى قيلت فى تعريف الحكمة ترجع إلى هذا القول وتدخل ضمن معناه .

قال الطبرى بعد تعريفه الحكمة أنها الإصابة فى القول والفعل ، وأن تعريفه هذا يشمل جميع تلك الأقوال : (قد بينا فيما مضى معنى الحكمة وأنها مأخوذة من الحكم وفصل القضاء وأنها الإصابة بما دل على صحته فأغنى ذلك عن تكريره فى هذا الموضع وإذا كان كذلك معناه كان جميع الأقوال التى قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم فى ذلك داخلا فيما قلنا لأن الإصابة فى الامور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة ، وإذا كان كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب فى أموره مفهما خاشيا لله فقيها عالما . وكانت النبوة من اقسامه لأن الأنبياء مسددون مفهمون وموفقون لإصابة الصواب فى الأمور والنبوة بعض معانى الحكمة فتأويل الكلام : يؤتى الله إصابة الصواب فى القول والفعل من يشاء ومن يؤته الله ذلك فقد أوتى خيرا كثيرا)[1] .

قلت : بل النبوة أعلى درجة من الحكمة وليست جزءا منها لأنها أعلى المراتب ولا يختار لها إلا من علم الله استحقاقه لها وإذا وردت الحكمة فى القرآن بمعناها فلا يدل ذلك على أنها جزء منها بل كما قال الشهاب الخفاجى (الحكمة ما أحكم من قول أو فعل أو عمل ولا أشد احكاما فى جميع الأمور من النبوة فلذا أوردت فى القرآن بمعناها . وقيل هى كل صواب وإذا فسرت بالثانى فهى أعم)[2] .

---

(١) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٥ / ٥٧٦ — ٥٧٩ بتحقيق شاكر .

(٢) عناية القاضى للشهاب الخفاجى ٧ / ٣٠٤ فى قوله تعالى ((وءاتينـه الحكمة وفصل الخطـاب)) .

وقال الأصفهاني : (وإذا وصف به القرآن أي قيل انه حكيم فلتضمنه الحكمة) (١) •

وقال الطبرسي (وسمى القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح وأصل الحكمة المنع) (٢) •

قال ابن العربي : (قد اختلف الناس في الحكمة على أقوال يكثر تعدادها ، جماعها خمسة عشر قولا :

الأول منها : إنها العقل •

الثاني : العلم •

الثالث : أشرف العلوم •

الرابع : الفهم •

الخامس : العلم (٣) •

السادس : علم الله •

السابع : علم السنة •

الثامن : الإيمان •

التاسع : النبوة •

العاشر : اجتماع العلم والعمل •

الحادي عشر : صواب الأمر •

الثاني عشر : القضاء بالحكم •

الثالث عشر : ما يمنع من الجهل •

الرابع عشر : الكلام الموجز الدال على المعنى الكثير •

---

(١) المفردات في غريب القرآن للاصفهاني ص ١٢٨

(٢) مجمع البيان لابي على الفضل بن الحسن الطبرسي ١٤/ ١٣٨ •

(٣) أقول لعله أراد العمل • والله أعلم •

الخامس عشر : ما وقع بقصد فاعله .

وبعد أن عدد رحمه الله هذه المعانى ذكر المختار منها فقال : (اعلموا أن بعض المحققين من علمائنا قالوا إن حروف (ح ك م) كيف ما تصرفت إنما ترجع الى العلم ، والعقل نوع من العلم ، والسنة نوع من العلم ، والعلم بالله والنبوة علم شريف ، واجتماع العلم والعمل علم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن "(١) وقول المتكلم : الحكمة ما وقع بقصد فاعله إشارة إلى أن الفعل الواقع على وفق الارادة يسمى حكمة لأنه لا يقع كذلك إلا موافقا للعلم)(٢) .

قلت : والاصابة فى الأمور لا تكون إلا عن علم وفهم ومعرفة . وعلى هذا يتبين ان المراد بالحكمة ـ والله أعلم ـ هى الإصابة فى القول والفعل . وتتجلى هذه الإصابة فى عدة أمور منها :ـ

١ ـ الدعوة بالحجج اليقينية والبراهين العقلية .

٢ ـ الاستدلال بالمقابلة .

٣ ـ استعمال المقدمات المشهورة المسلمة .

٤ ـ القدوة .

٥ ـ النصح فى السر دون العلانية .

٦ ـ النصح بالتعريض دون التصريح .

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب النهى عن النهبه ١٢٩٩/٢ . وهو صحيح .
(٢) الأمد الأقصى لابن العربى لوحة ٩٨/أ نقلا عن كتاب الجوانب العقدية فى كتاب قانون التأويل للقاضى أبى بكر بن العربى مع تحقيقه والتعليق عليه . اعداد الطالب : محمد بن الحسين السليمانى رسالة ماجستير ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

٧ ـ استعمال اللين موضع اللين .

٨ ـ استعمال الشدة موضع الشدة .

٩ ـ مخاطبة الناس على قدر عقولهم وذلك بما يلي :ـ

أ ـ اختيار طريقة العرض المناسبة .

ب ـ مراعاة الظروف والأحوال والبيئة .

جـ ـ مراعاة الوقت المناسب ومقداره .

١٠ ـ البدء بالأهم فالأهم .

****

الفصل الثاني

مناهج الحكمة وهي

١- الدعوة بالحجج اليقينية والبراهين العقلية

٢- الإستدلال بالمقابلة

٣- استعمال المقدمات المشهورة

٤- القدوة

٥- النصح في السر دون العلانية

٦- النصح بالتعريض دون التصريح

٧- استعمال اللين موضع اللين

٨- استعمال الشدة موضع الشدة

٩- مخاطبة الناس على قدر عقولهم

١٠- البدء بالأهم فالأهم

١ — الدعوة بالحجج اليقينية والبراهين العقلية :—

إن أى دعوة من الدعوات ، وأى فكرة من الأفكار ، إذا لم تصاحبها حكمة فى كيفية دعوة الناس إليها ، وحسن عرضها عليهم بإقامة الحجج اليقينية والبراهين العقلية التى تدل على سلامتها وموضوعيتها وأحقيتها بالقبول ، فإن الناس لن يستجيبوا أو يذعنوا لها .

لذا وجب على الداعية أن يقيم من الحجج اليقينية والبراهين العقلية ما يثبت بها صدق دعوته وفكرته ، لتؤتى دعوته ثمارها على الوجه المطلوب .

والحجة كلما كانت قوية ومحكمة ومتقنة ومدعمة بالأدلة القاطعة ، كان وقعها أعمق ، وأثرها أوقع ، ودحضها أشد . إن الحجة القاطعة توجب اليقين والقبول ، وفيها معنى الالزام للخصم ، والافحام للمعاند وإسكاته ، وقطع عذره ، وقصم ظهره ، وبيان إفكه ، وظهور كذبه ، وجعله مبهوتا حائرا مدهشا . كما قال تعالى فى بيان أثر الحجة ووقعها :﴿ ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾(١) .

والدعوة بالحجج اليقينية والبراهين العقلية استعملها القرآن كثيرا فى الاستدلال على وجود الله وإثبات وحدانيته وإبطال ألوهية ما عبد من دون الله وفى إثبات نبوة رسولنا صلى الله عليه وسلم وسأكتفى بذكر نماذج فى الموضوعات التالية :—

أولا : الحجج والبراهين فى إثبات وحدانية الله .

ثانيا : الحجج والبراهين فى إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) البقــرة آية ﴿ ٢٥٨ ﴾ .

أولا : الحجج والبراهين فى إثبات وحدانية اللـه :ـ

نماذج منها من الكتاب والسنة :ـ

١ ـ قال تعالى :﴿ يـٰأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾(١)

فقد أوضحت هاتان الآيتان أن القادر على الخلق هو الرّب وهو الذى يستحق العبادة دون سواه . وأن الذى لا يخلق شيئا لا يستحق العبادة . قال ابن كثير : (شرع تبارك وتعالى فى بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود ، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، بأن جعل لهم الأرض فراشا . أى مهدا كالفراش مقرره موطأه مثبته بالرواسى الشامخات ، والسماء بناءً وهو السقف كما قال فى الآية الأخرى : ((وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن ءايـٰتها معرضون))(٢) ، ﴿ وأنزل من السماء ماءً ﴾ . والمراد به السحاب هـٰهنا فى وقته عند احتياجهم اليه . فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقا لهم ولأنعامهم ، كما قرر هذا فى غير موضع من القرآن . ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى :﴿ الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء

---

(١) البقرة آية ﴿ ٢١ ـ ٢٢ ﴾ .
(٢) الأنبياء آية ﴿ ٣٢ ﴾ .

بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات . ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ﴾ .(١)

ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم ، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره)(٢) .

فقد عاب الله على المشركين عبادتهم لآلهة عاجزة قاصرة لا تستطيع أن تخلق شيئا ، حتى لو كان ذلك المخلوق أضعف موجود وأحقره وهو الذباب فقال تعالى : ﴿ يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ﴾ .

بل بين أنه إن سلبهم الذباب شيئا مما هو بأيديهم لما استطاعوا إنقاذه منه ولو اجتمعوا كلهم له . وكفى بذلك دليلا على عجزهم وضعفهم وعدم استحقاقهم العبادة : ﴿ وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز ﴾ .(٣)

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك بالله وجعل الأنداد له أعظم الذنوب عند الله . إذ كيف يخلقهم الله ويعبدون غيره فعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : " سألت النبى صلى الله صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله

---

(١) غافر آية ﴿ ٦٤ ﴾ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٧ .

(٣) الحج آية ﴿ ٧٣ — ٧٤ ﴾ .

نـدا وهو خلقك · قلت : إن ذلك لعظيم · قلت : ثم أى ؟ قال : وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك · قلت ثم أى ؟ قال : أن تزانى حليلة جارك " (١) ·

٢ — وقال تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمٰن الرحيم إن في خلق السمٰوٰت والأرض واختلٰف الّيل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الريٰح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيٰت لقوم يعقلون ﴾ (٢) ·

فقد أثبت الله لنفسه الوحدانية فى الألوهية ، وأنه لا شريك له ولا عديل ، بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، ثم ذكر الدليل على تفرده بالألوهية فجعل من هذه الأعيان الحادثة كخلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وجريان السفن فى البحار ، ونزول المطر من السماء ، وإحياء الأرض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب التى يدركها الإنسان إدراكا مباشرا آيات ودلائل على وحدانيته سبحانه حيث قال : ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ·

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ · ١٦٣/٨ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ٧٩/٢ — ٨٠ ·

(٢) البقرة آية (١٦٣ — ١٦٤) ·

وهذا كقوله تعالى : ﴿ خلق السموات بغير عَمَدٍ ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظـٰلمون فى ضلـٰل مبين ﴾ (١)

فقد بين سبحانه وتعالى فى هذه الآية قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض . كما بين أنه هو الرازق لجميع مخلوقاته ، وإذا كان الخلق كلهم إليه ولا رازق لهم سواه ، فعبادة المشركين لهذه الأصنام التى ليس لها من الأمر شىء ظلم واعتداء على حق خالقهم . إذ يخلق ويعبد غيره ويرزق ويشكر سواه ، فأى جهل وعمى أوضح من ذلك : ﴿ بل الظـٰلمون فى ضلـٰل مبين ﴾ .

٣ — قال تعالى : ﴿ لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا فسبحـٰن الله رب العرش عما يصفون ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إلـه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض . سبحـٰن الله عما يصفون عـٰلم الغيب والشهـٰدة فتعـٰلى عما يشركون ﴾ (٣) .

قال شارح الطحاوية : (لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته . فإما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما . والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم

---

(١) لقمان آية (١٠ — ١١) .
(٢) الأنبياء آية (٢٢) .
(٣) المؤمنون آية (٩١ — ٩٢) .

عن الحركة والسكون وهو ممتنع ، ويستلزم أيضا عجز كل منهما والعاجز لا يكون الها • وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجزا لا يصلح للإلهية) (١) •

وقال أيضا : (فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر • فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة ، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل ، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه • فلابد من أحد ثلاثة أمور: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه ، وإما أن يعلو بعضهم على بعض ، وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه ، بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه • وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره من أدل دليل على أن مدبره إله واحد وملك واحد ورب واحد لا اله للخلق غيره ولا رب لهم سواه) (٢) •

٤ — وقال تعالى : ﴿ الله الذى رفع السموات بغير عَمَدٍ ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للعز بن أبى العز ص ٧٨ — ٧٩ بتخريج الألبانى المكتب الاسلامى ط ٦ ١٤٠٠ هـ بيروت •

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للعز بن أبى العز ص ٨٥ — ٨٦ •

الآيـٰت لعلكم بلقاء ربكم توقنون • وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسىَ وأنهـٰـرا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الّيل النهار إن فى ذلك لأيـٰت لقوم يتفكرون وفى الأرض قطع متجـٰورات وجنـٰت من أعنـٰب وزرع ونخيل صنـوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لأيـٰت لقوم يعقلون (١)) •

فقد أبانت هذه الآيات الكريمة عن كمال قدرة الله وعظيم سلطانه ، وأنه هو الذى بإذنه وأمره رفع السموات بغير عمد • بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بعدا لا تنال ولا يدرك مداها ، وأنه سخر الشمس والقمر كل منهما يجرى لأجل مسمى وأنه ما حصل ذلك إلا بتدبيره وتقديره وعلمه وحكمته : ﴿ يفصل الأيـٰت لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ • أى يوضح الآيات ويسوق الدلائل ويقيم الحجج والبراهين ليوقنوا بأن الله سيحاسبهم ويجازى كل واحد بعمله •

ثم أبانت عن قدرته فى خلق الارض وأنه هو الذى مدها وبسطها لأهلها ليعيشوا عليها ، وجعل فى هذه الأرض رواسى شامخات تثبتها وتحفظها لئلا تميد بأهلها فتضطرب حياتهم ولا تستقر • كما أنه جعل فى هذه الأرض أنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها صنفين اثنين ، وأخبر أن من آياته الدالة على قدرته ووحدانيته تقلب الليل والنهار يغشى أحدهما الآخر إذ يغطى الليل النهار بظلمته ليستريح الناس ويسكنوا ثم يخلفه النهار بنوره ليبتغى الناس من فضله وقد ختم هذه الآية بقوله : ﴿ إن فى ذلك لأيـٰت لقوم يتفكرون ﴾ •

---

(١) الرعد آية م ٢ ـ ٤) •

فى آلاء الله وحكمه ودلائله لأنه لا يدرك تلك الآيات إلا من أعمل فكره فيها .

اما الآية التى بعدها فقد شملت أيضا أنواعا من الآيات الدالة على وجود الله ووحدانيته ، وهى آيات تحرك الحس والشعور بما تضمنته من دلائل حسية وعقلية ووجدانية ﴿ وفى الأرض قطع متجاورت وجنت من أعنب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماءٍ واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لأيت لقوم يعقلون ﴾ فمن الذى أعطى كل مخلوق فى القطعة شكله ولونه غير القدرة الالهية التى منحت الحلو حلاوته وأعطت الحامض حموضيته . اذ لو كان الأمر أمر طبيعة لما وجد هذا الاختلاف الواسع ، والبون الشاسع بين تلك الأصناف من الفواكه والثمار والزروع ، مع أنها تسقى بماء واحد ان فى ذلك لآيات لمن كان واعيا فألقى سمعه وهو شهيد . بل أن هذه الآيات من أعظم الدلائل على وجود الله الصانع الحكيم القدير العليم الذى بقدرته وارادته فاوت بين الأشياء ونوّع . ولذا فقد ختمت الآية بالاشارة الى أن هذه الآيات لا يفهمها ولايعقلها الا العاقلون ﴿إن فى ذلك لأيت لقوم يعقلون ﴾ حجج الله وآياته .

٥ — وقال تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلٰم على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون . أمن خلق السموت والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمّن جعل الأرض قرارا وجعل خلٰلها أنهٰرا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حجزا ءاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون . أمّن يهديكم فى ظلمٰت البر والبحر ومن يرسل

الريح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهنكم إن كنتم صدقين ﴾ (1) .

بعد أن أمر الله بحمده على نعمه وأن يسلم على عباده الذين اصطفاهم واختارهم ، أنكر على المشركين عبادتهم مع الله آلهة أخرى ثم شرع بعد هذا فى بيان أنه هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى : ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾ أى من خلق تلك السموات فى ارتفاعها وصفائها وما جعل فيها من الكواكب المنيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة ، وخلق الأرض فى استفالها وكثافتها وما جعل فيها من الجبال والسهول والفيافى والقفار والزروع والأشجار والثمار والبحار على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به حدائق وبساتين ذات منظر حسن وشكل بهى : ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ أى لم تكونوا تقدرون على إنبات أشجارها وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق والمستقل بذلك المتفرد به دون سواه من الأصنام والأنداد . : ﴿ أإله مع الله ﴾ أى بل هو المتفرد دون سواه . فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ؟ .

ومن الذى جعل الأرض قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم . فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساطا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك . وجعل فيها الأنهار العذبة الطيبة وشقها فى خلالها وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار ووزعها شرقا

---

(1) النمل آية ٥٩، ٦٤ .

وغربا وجنوبا وشمالا بحسب مصالح عباده فى أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم[1] فى أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون اليه . وجعل لها جبالا رواسى شامخات ترسى الأرض وتثبتها لئلا تميد بأهلها وجعل بين بحارها العذبة والمالحة حاجزا يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا .

ومن الذى يجيب دعاء المضطر ويكشف السوء ، ويجعل العباد يخلف بعضهم بعضا . : ﴿ أءله مع الله ﴾ يقدر على ذلك ؟ أو أءله مع الله يعبد ؟ وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده ، لا شريك له : ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ أى ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم . ومن الذى يهديكم فى ظلمات البر والبحر بما خلق من الدلائل والارشادات ، ويرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، فينزل مطرا يغيث به عباده المجدبين ؟ .

ومن الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده ؟ ويرزقكم من السماء والأرض ؟ أإله مع الله : ﴿ قل هاتوا برهـٰنكم ﴾ على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى : ﴿ إن كنتم صـٰدقين ﴾ فى ذلك ، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان كما قال تعالى : ﴿ ومن يدع مع الله إلـٰها ءاخر لا برهـٰن له به فإنما حسـٰبه عند ربه إنه لا يفلح الكـٰفرون ﴾[2] .

قال ابن كثير : (: ﴿ أمن ﴾ فى هذه الآيات كلها تقديره : أمن يفعل

---

(١) أى خلقهم . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٦ ط . دار الكتب العلمية بيروت . ٩٨هـ — ٧٨م .

(٢) المؤمنون آية ﴿ ١١٧ ﴾ .

هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها ؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك وقد قال تعالى : ﴿ آلله خير أما يشركون ﴾ ثم قال في الآية الأخرى : ﴿ بل هم قوم يعدلون ﴾ أي يجعلون لله عدلا ونظيرا) (١) .

٦ ــ وقال تعالى : ﴿ حمٓ تنزيل الكتٰب من الله العزيز الحكيم إن في السمٰوات والأرض لأيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ءايٰت لقوم يوقنون واختلٰف الّيل والنهٰر وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الريٰح ءايٰت لقوم يعقلون تلك ءايٰت الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وءايٰته يؤمنون ﴾ (٢) .

قال الشيخ محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي : (ذكر جل وعلا في هذه الآيات الكريمة من أول سورة الجاثية ستة براهين من البراهين الدالة على عظمته وجلاله وكمال قدرته وأنه المستحق للعبادة وحده تعالى : الأول منها : خلقه السمٰوات والأرض .

والثاني : خلقه للناس .

والثالث : خلقه للدواب .

والرابع : اختلاف الليل والنهار .

والخامس : إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به .

والسادس : تصريف الرياح .

وذكر أن هذه الآيات والبراهين إنما ينتفع بها المؤمنون الموقنون الذين يعقلون

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٦٩ .
(٢) الجاثية آية ١ ــ ٦ .

عن الله حججه وآياته فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم ولذا قال : ﴿ لآيات للمؤمنين ﴾ ثم قال : ﴿ آيات لقوم يوقنون ﴾ ثم قال : ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ (١) .

٧ — وقال تعالى : ﴿ أفرءيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون . أفرءيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون . أفرءيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم ﴾ (٢) .

إن القرآن الكريم وهو يدعو لقضية التوحيد التى استغرقت من القرآن أكثره ، لم يعرضها مكررة بنفس الأسلوب وبنفس طريقة العرض . وإنما غاير فى التعبير وطريقة الأسلوب ليوجه الأنظار ويفتح العقول ويطلقها من إسار القيود التى استحكمت فيها . فهذه الآيات قد تضمنت أشياء محسوسة مشاهدة بل هى ألصق شئ بحياة المخاطبين بها : الزرع ، الماء ، النار : ﴿ أفرءيتم ما تحرثون ﴾ وما تزرعون من الأشجار والحدائق ﴿ أأنتم تزرعونه ﴾ وتنبتونه . أم نحن الذى فعلنا ذلك بقدرتنا وإرادتنا ؟ . أما

---

(١) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الشنقيطى ٧ / ٣٢٩ . مطبعة المدنى .

(٢) الواقعة آية ﴿ ٦٣ — ٧٤ ﴾ .

أنتم فلم يكن لكم من عمل فى ذلك إلا الحرث وهو شق الأرض والقاء البذور فيها فذلك هو عملكم وهو دوركم . ثم بعد هذا ينقطع عملكم وتتركون زرعكم مسلمين أمركم لله القادر المبدع العليم الحكيم الذى بمشيئته ينبته لكم حتى يظهر زرعا أخضر فيه طعامكم وطعام حيواناتكم . ولو شاء الله بدلا من هذا لجعله حطاما هشيما قبل أن يؤتى ثماره فظلتم تفكهون أى تلونون فى الحديث فتارة تقولون : ﴿ إنا لمغرمون ﴾ وأخرى : ﴿ بل نحن محرومون ﴾ .

ثم ينتقل إلى آية أخرى تدل على عظمته وقدرته وبديع صنعه وإتقانه : ﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء لجعلناه أجاجا فلولا تشكرون ﴾ . إن الماء أصل من أصول الحياة ويحتاج إليه كل حى كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حى ﴾ (١) . من الذى أنزل هذا الماء من السماء عذبا زلالا لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ؟ : ﴿ ءأنتم أنزلتموه من المزن ﴾ أى السحاب : ﴿ أم نحن المنزلون ﴾ أى بل نحن أنزلناه بقدرتنا وارادتنا ومن رحمتنا بكم جعلناه عذبا زلالا ، ولو شئنا لجعلناه ملحا أجاجا فهلا تشكرون الله الذى أنعم به عليكم عذبا زلالا مستساغ الطعم والشراب ، فتتوجهون إليه بالعبادة وحده دون ما سواه من الأصنام والأنداد . ثم ينتقل السياق إلى الدليل الأخير وهو النار :﴿ أفرأيتم النار التى تورون ﴾ أى توقدون : ﴿ ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾ لها لطفا بكم حيث إنه لا تقوم حياتكم إلا بها كما أننا جعلناها تذكرة لكم بنار الآخرة . ليتذكر المتذكر ويعتبر المتعظ حيث إنه

---

(١) الأنبياء آية ﴿ ٣٠ ﴾

لا طاقة له بنار الآخرة . وفى الأخير يتجه الخطاب بأمرهم بتنزيه الله عن كل عجز ونقص وتسبيحه وتوحيده : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ . الذى بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحا أجاجا كالبحار وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم فى معاشهم دنياهم وزاجرا لهم فى معادهم .

٨ — قال تعالى : ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وخلق كل شئ فقدره تقديرا ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ صنع الله الذى أتقن كل شئ ﴾ (٣) .

إن من الأدلة التى تثبت وحدانية الله هو ذلك النظام والاتقان والابداع والتقدير فى خلق هذا العالم وما حواه من مخلوقات . فالكون كله منظم ومنسق ، وانتظامه مرتبط بإرادة الله وقدرته . كما أن استمراره على هذه الحال منوط بقدرة الله ومشيئته أيضا . كما قال تعالى : ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً ﴾ (٤) .

إن الانسان لو نظر فى عالم الافلاك والكواكب لرأى عجائب الخلق متجلية ، ودلائل النظام والاتقان واضحة ، فهى تسير على نظام ثابت لا يختل ، كل كوكب منها يسير فى مدار محدد لا يتعداه ، وفى زمن معين لا يتجاوزه ، كل ذلك بحساب دقيق مقدر لا يزيد ولا ينقص ، وذلك كله بتقدير العزيز العليم الذى خلق كل شئ فقدره تقديرا . كما قال تعالى : ﴿وآية لهم الّيل نسلخ منه النهار

---

(١) القمر آية ﴿٤٩﴾ .
(٢) الفرقان آية ﴿٢﴾ .
(٣) النمل اية ﴿٨٨﴾ .
(٤) فاطر آية ﴿٤١﴾ .

فإذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌ فى فلك يسبحون ﴾ (١) .

عن أبى هريره رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : " يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار " (٢) .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كذبنى ابن ادم ولم يكن له ذلك . وشتمنى ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياى فقوله : لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون عَلَىَّ من إعادته . وأما شتمه إياى فقوله : اتخذ الله ولدا . وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد " (٣)

ومما يذكر عن بعض العلماء فى استدلالهم بآية النظام والابداع والتقدير على وجود الله ووحدانيته .

١ ـ يذكر عن أبى حنيفة أنه حاج قوما من الملاحدة الدهريين فقال لهم: ما تقولون فى رجل يقول لكم : إنى رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة من الأثقال قد احتوشها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهى من بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها هل يجوز

---

(١) يس آية ﴿ ٣٧ ـ ٤٠ ﴾ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب سورة الجاثية ٨ / ٥٧٤

صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب النهى عن سب الدهر ١٥ / ٢ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب سورة قل هو الله أحد ٨ / ٧٣٩ .

ذلك فى العقل؟ قالوا : لا هذا شىء لا يعقله العقل . فقال أبو حنيفه : يا سبحان الله! إذا لم يجز فى العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير متعهد ولا مجرى ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟ فبهت القوم وأفحموا)" (١) .

٢ — وقال أعرابى : البعرة تدل على البعير والروث على الحمير وآثار الأقدام على السير . فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أما تدل على الصانع الحليم العليم القدير ؟ (٢) .

٣ — قال العلماء :

أ — لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هى عليه بمقدار بضع أقدام ، لنقص ثانى أكسيد الكربون والأكسجين ولما أمكن وجود حياة ؟ فمن الذى جعل سمك قشرة الأرض على ما هى عليه الآن لم تزد ولم تنقص ؟ أمصادفة هى أم طبيعة ؟ كلا إنه تدبير العزيز العليم (٣) .

ب — لو أن شمسنا أعطت نصف اشعاعها الحالى لكنا تجمدنا ولو أنها زادت بمقدار النصف لكنا رمادا منذ زمن بعيد . فمن الذى جعل حرارتها ثابتة ؟ ومن الذى جعل تلك الحرارة بهذا المقدار الذى هى عليه ؟ أمصادفة هى أم طبيعة ؟ كلا إنه تقدير العليم الحكيم (٤) .

---

(١) مفاتيح الغيب للرازى ٢/ ٩٩ ، شرح العقيدة الطحاوية للعز بن أبى العز ص ٣٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٨ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازى ٢/ ٩٩ — ١٠٠ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ١/ ٥٨ .

(٣) ، (٤) الله لسعيد حوى ، الموسوعة العلمية الميسرة لنقولا شاهين ود . يوسف دياب واحمد الخطيب ص ٢٠ ، ص ١٠ — ١١ . ط مكتبة لبنان ١٩٨٤م .

جـ — لو كان الاكسجين بنسبة ٥٠٪ أو أكثر فى الهواء بدلا من ٢١٪ فإن جميع المواد القابلة للاحتراق فى العالم تصبح عرضة للاشتعال لدرجة أن أول شرارة فى البرق تصيب شجرة لابد أن تلهب الغابة كلها فمن الذى قدره بهذه النسبة الموجودة عليها الآن ؟ أوجدت عن طريق المصادفة أم أوجدتها الطبيعة ؟ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .[1]

د — لولا قوانين الحرارة لما تبردت الأرض ولما كانت صالحة للحياة ولولا الجبال لتناثرت الأرض ولما كان لها مثل هذه القشرة الصالحة للحياة أصدفة هى أم طبيعة؟[2] ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[3]

٤ — وقال مرت ستانلى كونجدن : (كيف يتسنى لنا أن نفسر هذه العمليات المعقدة المنظمة تفسيرا يقوم على أساس المصادفة والتخبط العشوائى ؟ وكيف نستطيع أن نفسر هذا الانتظام فى ظواهر الكون والعلاقات السببية والتكامل والغرضية والتوافق والتوازن التى تنتظم سائر الظواهر وتمتد آثارها من عصر إلى عصر ؟ كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدبر هو الذى خلقه وأبدعه ودبر سائر أموره ؟ إن جميع ما فى الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته . وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادى الله وعظمته . وذلك هو الله الذى لانستطيع أن نصل اليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته فى أنفسنا ، وفى كل ذرة من ذرات هذا الوجود ، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته) .[4]

٥ — وقال بول كلارنس أبرسولد : (إن الأمر الذى نستطيع أن نثق به كل الثقة هو أن

---

(١)، (٢) الله لسعيد حوى ، الموسوعة العلمية الميسرة ص ٢٨ . (٣) النمل آية ٦٤ .

(٤) الله يتجلى فى عصر العلم للفيف من العلماء ص ٢٠ .

الإنسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ هكذا نشأة ذاتية من العدم المطلق ، بل إن لهما بداية ، ولابد لكل بداية من مبدئ ، كما أننا نعرف أن هذا النظام الرائع المعقد الذى يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان ، وأن معجزة الحياة فى حد ذاتها لها بداية كما أن وراءها توجيها وتدبيرا خارج دائرة الإنسان ، إنها بداية مقدسة ، وتوجيه مقدس ، وتدبير إلهى محكم) (١) .

٦ — وقال جون وليام كلونس : (إن هذا العالم الذى نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة . إنه ملىء بالروائع والأمور المعقدة التى تحتاج إلى مدبر ، والتى لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى . ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة ، وهى بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده) (٢) .

٧ — وقال دونالد روبرت كار (يتجلى التوافق بين العلوم والدين فى ذلك النشيد الدينى الذى استمع اليه تتغنى به الملايين فى أمريكا والذى ربما كان تأليفه من وحى الكشوف العلمية الحديثة التى تمت فى السنوات الأخيرة . ويقول هذا اللحن : يا إلهى العظيم!! عندما أنظر بعجب ورهبة إلى كل العوالم التى صنعتها يداك . وأبصر النجوم وأسمع هدير الرعد وزمجرته . عندئذ تتجلى لى قوتك فى كل أرجاء الكون عندئذ تغنى روحى وتناجى إلهى الكبير: ما أعظم ابداعك!! ما أعظم ابداعك) (٣) .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم للفيف من العلماء ص ٣٨

(٢) المرجع نفسه ص ٤٦ .

(٣) المرجع نفسه ص ٨٧ .

قال الشيخ موزون : (وهكذا يا حيران يتناول القرآن الذى نزل على الإنسان الأمى نزل على الانسان الأمى فى الجزيرة الأمية جميع الحجج العقلية البالغة والبراهين الساطعة الدامغة التى قضى العلماء والحكماء أعمارهم حتى توصلوا إليها وتلاقوا عليها — بهدى القرآن وبهدى الله الذى أنار عقولهم — فيقررها بابلغ عبارة وأوجز اشارة وألطف تنبيه وأصدق تشبيه تقريرا معجزا يبرز فيه من تلك الحجج والبراهين ما يصلح لإدراك الجاهل ويخفى منها تحت الأعماق للأجيال ما لا يستطيع الغوص فيه إلا العالمون) (١) ٠

أكل هذا الابداع والاتقان والنظام والانتظام والتدبير والتقدير وجد مصادفة أو عن طريق الطبيعة أو وجد من غير موجد ؟ قتل الانسان ما اشد كفره وجحوده وانكاره ٠

إن هذه الحجج التى وردت فى الكتاب والسنة هى ابلغ الحجج ولا شئ ابلغ منها ٠ وتلك البراهين هى استطع البراهين ولا شئ أسطع منها فإذا لم يخضع المخلوق لهذه الحجج وتلك البراهين فقد خاب وخسر : ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ (٢) ٠

---

(١) قصة الايمان للشيخ نديم الجسر ص ٢٨٦ ٠

(٢) النور آية ٤٠ ٠

ثانيا : الحجج والبراهين فى إثبات الرسالة :ـ

ما أكثر الحجج وأصدق البراهين فى إثبات نبوة خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه • وعلى رأس تلك الحجج ما يلى :ـ

١ ـ القرآن .

٢ ـ المعجزات .

٣ ـ إخباره عن غيوب وقعت كما أخبر .

٤ ـ سيرته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة •

٥ ـ البشارة به فى الكتب السابقة •

أولا : القران :

إن القرآن كلام الله رب العالمين • نزل به الروح الأمين على قلب نبيه محمد الصادق الكريم بلسان عربى مبين ليبلغه للناس ، ولينذر به العالمين ، وليكون حجة ودليلا على نبوته • فهو أبهر وأظهر وأقوى الأدلة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى نبوته • عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ • فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " (١) •

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحى واول ما نزل ٩/٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الايمان باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ٢/١٨٦ •

قال ابن حجر : (عند قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى " : (أى أن معجزتى التى تحديت بها • الوحى الذى أنزل على وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح (١)) • وقال أيضا : (ومعنى الحصر فى قوله : " إنما كان الذى أوتيته وحيا " أن القرآن أعظم المعجزات وأفيدها وأدومها لاشتماله على الدعوة والحجة ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر (٢)) •

إن نبوة نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بنيت على معجزة القرآن ، وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات أخرى حسية كثيرة • إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل القرآن فى بداية أمره الدليل المطلق على صحة نبوته •

قال الباقلانى : (فأما الذى يبين ما ذكرناه من أن الله تعالى حين ابتعثه جعل معجزته القرآن وبنى أمر نبوته عليه • سور كثيرة وآيات كثيرة نذكر بعضها وننبه بالمذكور على غيره • فليس يخفى بعد التنبيه على طريقه • فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ الر كتب أنزلنه إليك لتخرج الناس من الظلمت إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (٣) • فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به ، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة ، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة • وقال عز وجل : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلم الله ﴾ (٤) • فلولا أن سماعه إياه حجة عليه ، لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجزة (٥)) • ثم

---

(١) فتح البارى لابن حجر العسقلانى • ٦/٩ •

(٢) المرجع نفسه ١٣/٢٤٨ •

(٣) ابراهيم آية ١ •

(٤) التوبة آية ٦ •

(٥) اعجاز القرآن للباقلانى (ت : ٤٠٣) ص ١١ — ١٢ •

ذكر أمثلة أخرى الى أن قال : (فبان بهذا ونظائره ما قلناه من أن بناء نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومعجزته)[1] .

وقال ابن تيمية : (وهذا الكلام الذى أنزل عليه هو آية وبرهان على نبوته)[2] .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتج على المشركين فى اثبات نبوته بالقرآن ليل نهار ويدعوهم صباحا ومساء الى أن يعارضوه ان كان كاذبا بمثل القرآن أو بعشر سور مثله مفتريات أو بسورة واحدة من مثله فلم يستطيعوا بل انه كلما ازداد تحديا لهم بها وتقريعا لعجزهم عنها ، تكشف عن نقصهم ما كان مستورا ، وظهر منه ما كان خفيا . تحداهم بمثله فقالوا له حين لم يجدوا حيلة ولا حجة : أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك لا يمكننا أن نأتى بمثل الذى تقول . قال لهم متحديا ايضا : " فهاتوا عشر سور مثله مفتريات . فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر سخفه وضلاله فظهر بذلك للعاقل عجز القوم عن الاتيان بمثله ، مع أنهم أرباب الفصاحة والبلاغة ، وكانوا شديدى العداوة له . فلو جاؤا بسورة واحدة لكانت أنقض لقوله ، وأفسد لأمره ، وأبلغ فى تكذيبه ، وأفعل فى اطفاء أمره ، وأنجع فى تحطيم دعوته ، وتفريق الناس عنه . فدل هذا على أنه اختص بالقرآن ليكون دلالة على نبوته .

قال الزرقانى : (ومن عجيب أمر هذا القرآن ، وأمر هؤلاء العرب ، أنه طاولهم فى المعارضة ، وتنازل لهم عن التحدى بجميع القرآن الى التحدى بعشر سور مثله ثم الى التحدى بسورة من مثله . وهم على رغم هذه المطاولة ينتقلون من

---

(١) المرجع نفسه ص ١٩ .

(٢) الفتاوى لابن تيمية ٢٦٦/١٦ .

عجز إلى عجز ، ومن هزيمة إلى هزيمة . وهو فى كل مرة من مرات هذا التحدى ، وهذه المطاولة ، ينتقل من فوز إلى فوز ، ويخرج من نصر إلى نصر . تصوّر انه قال لهم فى سورة الطور أول ما تحداهم : ﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ (١) . فلما انقطعوا مدّ فى الحبل وقال فى سورة هود : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سوره مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴾ (٢) . فلما عجزوا عن هذه أيضا طاولهم مرة أخرى وأرخى لهم الحبل إلى آخره وقال فى سورة البقرة : ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ (٣) فكان عجزهم أشنع وأبشع . وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر . فلم يفعلوا ولن يفعلوا . ودحضت حجتهم ، وافتضح أمرهم ، وظهر أمر الله وهم كارهون) (٤) .

والحكمة من هذا التحدى هو أن يشهد التاريخ فى كل عصر وزمان ، عجز العرب وضعفهم عن الاتيان بمثله ، أو بسورة منه . ومنهم الخطباء والشعراء والفصحاء وأصحاب الألسن والبيان . وليقيم الحجة عليهم وعلى من يأتى بعدهم إلى قيام الساعة أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو رسول مرسل من عند رب العالمين .

---

(١) الطور آية ٣٣ — ٣٤ .
(٢) هود آية ١٣ — ١٤ .
(٣) البقرة آية ٢٣ — ٢٤ .
(٤) مناهل العرفان للزرقانى ٢/٢٢٩ — ٢٣٠ .

حقا ان القرآن هو المعجزة الكبرى ، والبرهان القاطع على صحة نبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . فهو حين تحدى العرب ند منهم بالحجة فلم يقدروا على الاتيان بمثله أو بسورة من مثله عجزا منهم ووهنا ، لا تهاونا ولا تغافلا ولا ضعفا ، لأن الاتيان بمثل سورة منه كان كفيلا بأن يكفيهم شر قتل أنفسهم واولادهم خاصة اذا علمنا أن التقريع بالعجز أشد على نفس العربى والبدوى خاصة من أى أمر آخر ، لما فى طباعهم من الأنفة والكبرياء فكيف ومحمد صلى الله عليه وسلم يتحداهم فى أخص خصائصهم وافضل مميزاتهم وهو البيان ، وهم أئمة الفصاحة وفرسان البلاغة . بضاعتهم الكلام ، والتفنن فى اجادته ، وصناعتهم التنافس فى النثر وديباجته ، والشعر ورونقه ، وكرامتهم مرتبطة بما يجيدون فى هذا الباب ، حتى بلغوا فى هذا الميدان شأوا لا يبارى ، وغاية لا تدرك . ان صدور هذا التحدى من الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم مع استخذاء(١) هؤلاء وانصرافهم عن الرد عليه وعن اسكاته ، مع توفر دواعى المعارضة كما أسلفنا لهو من أدل الأدلة وأقوى

(١) أى استرخاء . القاموس المحيط ٣٢٢/٤ .

البراهين . وأعمق الحجج على أن هذا القرآن الكريم هو كلام علام الغيوب قاهر الألسنة ومقلب القلوب . وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يكون مصدر هذا الكتاب . ولا منبع هذا الفيض ، بل قصاراه أنه مهبط هذا التنزيل وأنه رسول من رب العالمين يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ليبلغه للعالمين[(١)] . وصدق الله حين قال : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ءايـٰت من ربه قل إنما الأيـٰت عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتـٰب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾[(٢)] . قال ابن كثير : (ثم قال تعالى مبينا كثرة جهلهم وسخافة عقلهم ، حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم ، وقد جاءهم ، بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . الذي هو أعظم من كل معجزة . إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته ، بل عن معارضة عشر سورة من مثله ، بل عن معارضة سورة منه فقال تعالى : ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتب يتلى عليهم ﴾ . أي أو لم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبأ ما بعدهم ، وحكم ما بينهم ، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ، ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلي)[(٣)] .

---

(١) انظر كتب علوم القرآن واعجازه وعلى رأسها اعجاز القرآن للباقلاني والرافعي .
(٢) العنكبوت آية ﴿ ٥٠ ـ ٥١ ﴾ .
(٣) تفسير ابن كثير : ٣/ ٤١٨ .

٢ ـ المعجزات :

ما أكثر المعجزات التي أظهرها الله على يد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لقد بلغت حداً من الكثرة فاق كل ما أيد الله به الرسل السابقين ، وكانت تلك المعجزات بمثابة الدليل الأكبر والبرهان الأتم على نبوته صلى الله عليه وسلم. فمن تلك المعجزات : حادثة انشقاق القمر (١) ، وإظهار بيت المقدس (٢) ، وابراؤه لعين على ابن أبي طالب يوم خيبر (٣) ، ونعيه لجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثه وعبد الله بن رواحه في معركة مؤته قبل أن يجيء خبر وفاتهم (٤) ، ونبع الماء بين أصابعه (٥) . وإسلام أم أبي هريره رضي الله عنه ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم لها (٦) ، ونزول الغيث ببركة دعائه (٧) ، وحنين جذع النخلة (٨) ، وتسبيح الطعام بين يديه (٩) ، وتكثير الطعام ببركته (١٠) .

---

(١) أنظر سورة القمر آية ١ ـ ٥ ، صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية فأراهم انشقاق القمر ٦٣١/٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر ١٤٤/١٧ ـ ١٤٥ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب مناقب الأنصار باب حديث الإسراء ١٩٦/٧ .

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب على ابن أبي طالب ٧٠/٧ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب من فضائل على ابن أبي طالب ١٧٧/١٥ ـ ١٧٨ .

(٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٦٢٨/٦ .

(٥) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٥٨٠/٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب في معجزات النبي ٣٨/١٥ ـ ٣٩ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب فضائل أبي هريره ٥١/١٦ ـ ٥٢ .

(٧) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٥٨٨/٦ .

(٨) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٦٠١/٦ ـ ٦٠٢ .

(٩) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٥٨٧/٦ .

(١٠) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٥٨٦/٦ ـ ٥٨٧ .

وسداده لدين جابر بن عبد الله مع بقاء تمر جابر كما هو أو أكثر (١) وغوص قوائم فرس سراقه ابن مالك بن جعشم حين اتباعه للرسول فى الهجرة (٢) واستجابة دعائه حينما جاءه اعرابى فقال: يا رسول الله هلكت القراع هلكت الشاء فادعو الله أن يسقينا فسقوا ببركة دعائه (٣) ودعاؤه لعروة بن الجعد بالبركة فى بيعه وغرفه فى رداء أبى هريره بيديه فلم يعد ينسى (٤) شيئا (٥) إلى غير هذا من المعجزات الكثيرة التى تدل دلالة واضحة بينة على أن محمدا (٦) رسول حقا من عند الله ٠

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/ ٥٨٧
(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/ ٦٢٢
(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/ ٥٨٨
(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب ٦/ ٦٣٢ ٠
(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب ٦/ ٦٣٣ ٠
(٦) للمزيد من معجزاته أنظر الكتب التالية :–

الطبقات الكبرى لابن سعد (ت : ٢٣٠) ط ٠ دار صادر بيروت ٠
دلائل النبوة لأبى نعيم الأصبهانى (ت : ٤٣٠) ٠
دلائل النبوة للبيهقى (: ٤٥٨) ط ٠ ٨٩ هـ – ٦٩م دار النصر للطباعة
الشفا للقاضى عياض (ت : ٥٤٤) ط ٠ دار الكتب العلمية بيروت ٩٩هـ – ٧٩م
الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى (ت : ٥٩٧) ط ١ مطبعة السعادة بمصر ٨٦هـ – ٦٩م
شمائل الرسول لابن كثير ط دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ٠
الخصائص الكبرى للسيوطى (ت : ٩١١) ط دار الكتب الحديثة ٠
المعجزات المحمدية إعداد وترتيب وليد الأعظمى ط ٢ ٠ ٩٧ هـ – ٧٧م ٠ بيروت ٠
وغيرها من الكتب المؤلفة فى هذا الفن وعلى رأسها الكتب الستة ٠

٣ ـ الأخبار عن بعض الغيوب :

إن أي انسان كائنا ما كان ، بالغا مهما بلغ من النبوغ والذكاء والعبقرية والفطنة والكياسة لن يتجرأ على التنبوء بالمستقبل ان كان صادقا فيما يدعيه ، لأن المستقبل بالنسبة له غيب وحجاب مستور ، وقد يخبر بالشئ فيقع عكسه ، فيظهر كذبه في ادعائه وعدم صدقه ، وتتضح حقيقة أمره وينجلي افكه وبهتانه . أما محمد بن عبد الله الرسول العربي الأمي الذي لا ينطق عن الهوى فقد كشف الله له حجاب الغيب المستور وأعلمه بما شاء لتظهر حقيقة نبوته وصدق رسالته كما قال تعالى : ﴿ عٰلم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسٰلٰت ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا ﴾ . لهذا السبب وحده ـ وهو كون محمد رسولا من عند الله مؤيدا بالوحي من عند الله ـ أخبر عن بعض الغيوب القريبة والبعيدة ، فحدثت ووقعت كما أخبر ، فظهر بذلك صدقه في نبوته وأنه رسول رب العالمين .

فمن تلك الأخبار التي وردت في القرآن ما يلي :ـ

١ ـ إخباره عن غلبة الروم بعد هزيمتهم من فارس وقد وقع الأمر كما أخبر (١) .

٢ ـ إخباره عن اليهود وأنهم لا يتمنون الموت مع ادعائهم أنهم أولياء الله وقد وقع الأمر كما أخبر (٢) .

---

(١) أنظر جامع البيان في تفسير أي القرآن للطبري ٢١/١٦ ـ ٢١ ، الكشاف للزمخشري ٣/٢١٤ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٦/٢٨٦ ـ ٢٨٩ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/١ ـ ٧ ، مفاتيح الغيب للرازي ٢٥/٩٦ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٣/٤٢٢ ـ ٤٢٧ .

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٢/٣٦١ـ٣٧٠ ، الكشاف للزمخشري ١/٢٩٧ ـ ٢٩٨ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/١١٦ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٣٢ ـ ٣٣ ، مفاتيح الغيب للرازي ٣/١٨٨ ـ ١٩٢ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ١/١٢٧ ـ ١٢٨ ، إثبات نبوة النبي لأحمد بن الحسين بن هارون الهاروني الحسني الزيدي . ط . المكتبة العلمية .

٣ — دعاؤه النصارى للمباهلة ونكوصهم عنها .(١)

٤ — إخباره عن عصمة الله له من الناس وقد وقع الأمر كما أخبر .(٢)

٥ — إخباره عن هزيمة يهود بني قينقاع بعد هزيمة قريش في بدر وقد وقع الأمر كما أخبر .(٣)

٦ — إخباره عن هزيمة قريش يوم بدر . وقد وقع الأمر كما أخبر .(٤)

٧ — إخباره عن قول وموقف المنافقين من يهود بني النضير حين حاصرهم رسول الله وقد وقع الأمر كما أخبر .(٥)

---

(١) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن للقرطبي ٤٧٣/٦ — ٤٧٥ ، الكشاف للزمخشري ٤٣٤/١ — ٤٣٥ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٩٩/١ — ٤٠٠ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٤/٤ ، مفاتيح الغيب للرازي ٧٨/٨ — ٨٣ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٦٨/١ — ٣٧١ ، صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المغازي باب قصة أهل نجران ٣/٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي عبيده ابن الجراح ١٩٢/١٥ .

(٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن ٤٦٧/٩ — ٤٧٢ ، الكشاف للزمخشري ٦٣٠/١ — ٦٣١ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٩٦/٢ — ٣٩٧ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٣/٦ — ٢٤٤ ، مفاتيح الغيب للرازي ٥٠/١٢ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٧٨/٢—٧٩ ، صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الجهاد باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ٩٦/٦ .

(٣) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٢٢٦/٦ — ٢٤٣ ، الكشاف للزمخشري ٤١٤/١— ٤١٥ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٥٥/١ — ٣٥٨ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤/٤ — ٢٧ ، مفاتيح الغيب للرازي ١٨٧/٧ — ١٩٣ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٥٠/١ .

(٤) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ١٠٨/٢٧ — ١٠٩ ، الكشاف للزمخشري ٤١/٤ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٠٠/٨ ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٤٥/١٧ — ١٤٦ ، مفاتيح الغيب للرازي ٦٧/٢٩ — ٦٨ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٢٦٦/٤ .

(٥) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٤٥/٢٨ — ٤٦ ، الكشاف للزمخشري ٨٥/٤ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢١٧/٨ — ٢١٨ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٤/١٨ ، مفاتيح الغيب للرازي ٢٨٨/٢٩ — ٢٨٩ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٤٠/٤ .

٨ ـ إخباره عن انفاق المشركين أموالهم لتجهيز الجيش الذاهب إلى معركة أحد وان الدائرة ستكون عليهم وقد وقع الأمر كما أخبر (١) ٠

ومن تلك الأخبار التي وردت في السنة ما يلي :ـ

١ ـ إخباره عن الكتاب الذى بعث به حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرهم بعزم رسول الله على فتح مكة ٠ وقد وقع كما أخبر (٢) ٠

٢ ـ إخباره عن فتح مصر ومقاتلة رجلين فى موضع لبنه فيها ٠ وقد وقع الأمر كما أخبر (٣) ٠

٣ ـ إخباره عن ركوب ابنة ملحان البحر وقد وقع الأمر كما أخبر (٤) ٠

٤ ـ إخباره عن فتح فارس وغيرها من الأمور وقد وقع الأمر كما أخبر (٥) ٠

---

(١) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ١٣/١٢٩ ـ ١٣٠ ، الكشاف للزمخشرى ٢/١٥٦ ـ ١٥٧ ، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٥٥ ـ ٣٥٦ ، مفاتيح الغيب للرازى ١٥/١٦٠ ـ ١٦١ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٢٠/٣٠٧ ٠

(٢) أنظر كتب التفاسير فى تفسير سورة الممتحنة عند قوله تعالى : ﴿ يـأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ٠٠ ﴾ الآيــة ٠
وأنظر صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب فضائل حاطب بن أبى بلتعة وأهل بدر ١٦/٥٦ ٠

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب فضائل الصحابة باب وصية النبى صلى الله عليه وسلم بأهل مصر ١٦/٩٦ ـ ٩٧ ٠

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب غزو المرأة فى البحر ٦/٧٦ ٠

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الاسلام ٦/٦١٠ ـ ٦١١ ، السنن الكبرى للبيهقى كتاب السير باب إظهار دين النبى على الأديان ٩/ ١٧٧ ٠

٥ ـ إخباره عن الخوارج وأن آيتهم رجل أسود إحدى عضديه (١) مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة (٢) تدردر (٣) • وقد وقع الأمر كما أخبر (٤) •

٦ ـ إخباره عن الحسن أنه سيد ويصلح الله به بين فئتين من المسلمين وقد وقع الأمر كما أخبر (٥) •

٧ ـ إخباره عن قتال على ومعاوية رضى الله عنهما • وقد وقع الأمر كما أخبر (٦) •

٨ ـ إخباره عن خروج مسيلمة الكذاب والأسود العنسى وقد وقع الأمر كما أخبر (٧) •

٩ ـ إخباره عن حدوث قتل بأصحابه يوم أحد • وانتصاره على قريش فى يوم الفتح وقد وقع الأمر كما أخبر (٨) •

١٠ ـ إخباره أن فاطمة رضى الله عنها هى أول الناس لحوقا به بعد وفاته • وقد وقع الأمر كما أخبر (٩) •

---

(١) العضد ما بين الكتف والمرفق • النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣ / ٢٥٢ •

(٢) أى قطعة اللحم • النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ١ / ١٣٣ •

(٣) أى ترجرج تجىء وتذهب • النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ١١٢ •

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الاسلام ٦ / ٦١٨ •

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الاسلام ٦ / ٦٢٨ •

(٦) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الاسلام ٦ / ٦١٦ ـ ٦١٧ •

(٧) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الاسلام ٦ / ٦٢٧ •

(٨) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الاسلام ٦ / ٦٢٧ •

(٩) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الاسلام ٦ / ٦٢٨ •

١١ — إخباره عن حصول الأنماط للصحابة[١] ووقع الأمر كما أخبر[٢] .

ولهذه الآيات والأحاديث في الكتاب والسنة نظائر وأشباه ، وفيما ذكرنا كفاية وبلاغ لمن نصح نفسه وأنصف عقله وثاب الى رشده ، ليعلم من خلالها وعلى ضوئها أن محمدا رسول حقا من عند الله .

---

(١) الأنماط : ضرب من البسط له خمل رقيق واحدها : نمط . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥/١١٩ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام ٦/٦٢٩ .

٤ — سيرته قبل البعثة :—

إن أى ناظر وباحث ومطلع على سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته ، يجد كيف كان صلى الله عليه وآله وسلم متحليا بالأخلاق الفاضلة متجملا بالآداب السامية . لم تؤثر عنه كذبة واحدة ، أو نقض للعهد واخلاف للوعد ، بل كان مثال الأمانة والصدق والوفاء والحلم والشجاعة. حتى إنه كان يلقب قبل الرسالة بالصادق الأمين .

لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم مثالا عاليا وقدوة سامقة فى كل مجال من مجالات الحياة . كان معروفا برجاحة عقله ورزانة رأيه . لم يسجد لصنم قط وما شرب خمرا قط . ما عاهد فغدر ، ولا خاصم ففجر ، ولا حدث فكذب ، ولا أؤتمن فخان . كان كل من رآه أحبه ، ومن عاشره عرف أنه ليس بكذاب . كان مشهورا بين قومه بالشرف والمروءة والكرامة . لم يشارك قومه فى لهوهم ولا لعبهم ولا مجونهم وفسقهم . لم تعرف له هفوة أو زلة ، بل كانت تبدو عليه ملامح النجابة والذكاء والفطنة .

إن سيرته صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته تدل دلالة واضحة كاملة قاطعة جازمة على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم . وقد استدل صلى الله عليه وآله وسلم على نبوته بسيرته قبل البعثة . وذلك عندما طلب المشركون منه أن يأتيهم بقرآن غير الذى جاءهم به أو يبدله فأجابهم : « قل مايكون لى أن أبدله من تلقاءى نفسى إن اتبع إلا ما يوحى إلىّ إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » (١) . أربعون عاما لبثت فيكم خبرتم فيها حالى وعرفتم فيها شأنى ،

---

(١) يونس آية « ١٥ ــ ١٦» .

فهل كان من شأنى الكذب ؟ وهل كان من حالى الافك والبهتان ؟ أفلا تعقلون ؟ فتعرفون أنى رسول من عند الله رب العالمين • وقد ذكرهم الله عز وجل بصحبته لهم — حين رموه بالجنون والسحر والكهانة — فقال مذكرا لهم : ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ (١) أى وما صاحبكم الذى عرفتموه وعاشرتموه ، وعرفتم رجاحة عقله ورزانة رأيه ، وحكمتموه فيما بينكم فى وضع الحجر الأسود حين اختلفتم ، وقلتم حين رأيتموه : هذا الصادق هذا الأمين رضينا به حكما • أيكون من عرف بهذا مجنونا أو كاهنا أو ساحرا ؟ سبحانك ربى هذا بهتان عظيم!! وقال تعالى : ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون﴾ (٢) • قال ابن كثير: (أى أنهم لا يعرفون محمدا وصدقه وأمانته وصيانته التى نشأ بها فيهم :أى أفيقدرون على إنكار ذلك والمباهتة فيه) (٣) •

وقد استدلت زوجته خديجة رضى الله عنها على نبوته بسيرته قبل البعثة حيث قالت له لما أخبرها بما حدث له فى غار حراء : (كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق) (٤) •

كذلك أبو بكر الصديق وغيره من الأصحاب آمن برسول الله لما عرف من سيرته وصدقه وأمانته وعفته •

وكذلك هرقل ملك الروم استدل على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم من سيرته حيث قال لأبى سفيان فى المحاورة التى جرت بينه وبين أبى سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث سأله عدة أسئلة عن حاله وسيرته ثم قال

---

(١) التكوير آية ﴿٢٢﴾ •

(٢) المؤمنون آية ﴿٦٩﴾ •

(٣) تفسير ابن كثير لابن كثير ٣/٢٥٠ •

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب سورة اقرأ ٨/٧١٥ •

مخاطبا لأبى سفيان : (إن يكن ما تقول فيه حقا فانه نبى) (١) .

قال القاضى عياض : (وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر فى صحة نبوته وصدق دعوته) (٢) .

واليك الآن شهادة الخصوم قبل الأتباع والأعداء قبل الأصدقاء عن سيرته لترى وتوقن من خلالها أن محمدا رسول حقا من عند الله وأنه لم يكن له غرض شخصى أو ذاتى أو غير ذلك من المصالح والمطامح الدنيوية :ـ

١ ـ لقد كانت قريش كلها تسمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل نبوته وبعثته بالصادق الأمين فعندما اختلفت قريش فى وضع الحجر الأسود واتفقوا على أن يحكّموا أول داخل عليهم فإذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أول داخل عليهم فقالوا مباشرة : (هذا الأمين رضينا هذا محمد) (٣) .

٢ ـ ولما أراد إنذار قومه وتبليغهم أمر الله صعد على جبل الصفا وقال لهم: "أرأيتم لو اخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟"
قالوا : نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط (٤) .

٣ ـ وقال أبو جهل عليه لعنة الله للأخنس بن شريق حين سأله عن رأيه فى محمد

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الجهاد باب دعاء النبى الناس إلى الاسلام والنبوة ٦/١٠٩ ـ ١١١ .
صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد والسير باب كتب النبى صلى الله عليه وسلم ١٢/١٠٣ ـ ١١١
(٢) الشفاء للقاضى عياض ١/٢٤٦ ـ ٢٤٧ دار الكتب العلمية بيروت ط ٩٩/٧٩م.
(٣) سيرة ابن هشام لابن هشام القسم الاول ص ١٩٧ ، تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٢/٢٠١.
(٤) الطبقات لابن سعد ١/٢٠٠ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ٢/٢١٦ ، وانظر الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى ١/١٨٣ .

وهل محمد صادق أم كاذب ؟ : (والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط)(١) .

٤ — وقال الوليد بن المغيرة لقريش : (إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا . فقالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ، ما هو بزمزمته ولا سجعه . قالوا : مجنون . قال : ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر . قال : ما هو بشاعر . قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه ، وقريضه ومبسوطه . ومقبوضه ، ما هو بشاعر . قالوا : فنقول ساحر . قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده . قالوا : فما نقول ؟ قال : ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل ، وان أقرب القول أنه ساحر ، فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه ، والمرء وأخيه ، والمرء وزوجه ، والمرء وعشيرته . فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس)(٢) .

٥ — وقال أنيس أخو أبي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بعثه أخوه أبو ذر ليأتيه بخبره : (إنه لصادق وإنهم لكاذبون)(٣) .

أفبعد ظهور هذا الكلام وبيان رأيهم فيه بمثل هذه الصراحة والنزاهة التي عرف بها العرب يشك إنسان عاقل في نبوته ؟ أو يمترى من يمحص الحق في رسالته ؟ كلا-إن محمدا رسول حقا من عند الله وما أحسن ما قاله عبد الله بن رواحه :—

لو لم تكن فيه آيات مبينه ... لكان منظره ينبيك بالخبر(٤)

---

(١) الشفاء للقاضي عياض ١/ ٣٤٩ .

(٢) سيرة ابن هشام لابن هشام ١/٢٧٠ — ٢٧١ ، وانظر الشفاء للقاضي عياض ١/ ٢٦٥، الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/ ٢٠٤ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٦١ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ٢٢٠ .

(٤) الشفاء للقاضي عياض ١/ ٢٤٩ .

٥ — البشارة به فى الكتب السابقة :—

ما أكثر ما وردت العبارات فى الكتب السابقة كالتوراة والانجيل فى التبشير به صلى الله عليه وآله وسلم . وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة فى أكثر من سورة ، فهو قد أخبر أن الله قد اخذ الميثاق على جميع الأنبياء إن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وهم أحياء أن يؤمنوا به ويصدقوه ، وأن يأمروا أتباعهم باتباعه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ واذ أخذ الله ميثٰق النبيين لما ءاتيتكم من كتٰب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذٰلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشٰهدين فمن تولى بعد ذٰلك فأولٰئك هم الفٰسقون ﴾(١).

وأخبر أن عيسى عليه السلام قد بشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال على لسان عيسى مخاطبا بنى إسرائيل : ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يٰبنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدىّ من التورىٰة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينٰت قالوا هذا سحر مبين ﴾(٢). وأخبر كذلك أيضا أنهم يجدون صفته صلى الله عليه وآله وسلم مكتوبة فى كتبهم قال تعالى : ﴿ ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوٰة والذين هم بٰايٰتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورىٰة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهٰهم عن المنكر ويحل لهم الطيبٰت ويحرم عليهم الخبٰئث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين ءامنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولٰئك هم المفلحون ﴾(٣) .

---

(١) آل عمران آية ﴿ ٨١ — ٨٢ ﴾ .

(٢) الصف آية ﴿ ٦ ﴾ .

(٣) الأعراف آية ﴿ ١٥٦ — ١٥٧ ﴾ .

وأخبر عن اليهود أنهم كانوا يستفتحون به على الأوس والخزرج حينما تقوم بينهم معركة ويهزمون يقولون لهم : سيبعث نبي وسنتبعه ونقاتلكم به قال تعالى : ﴿ ولما جاءهم كتب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (١) .

وانك لتجد أن البشارة به صلى الله عليه وآله وسلم قد وردت ايضا في كتبهم فمن ذلك ما يلي :-

١ ـ (جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير واستعلن من جبل فاران) (٢) . ومعلوم أن سينا مهبط الوحي على موسى عليه السلام وانزال التوراة عليه وأن ساعير مهبط الوحي على عيسى عليه السلام وانزال الإنجيل عليه وبقيت فاران والمقصود بها مكة كما دل على ذلك ما جاء في الفصل الحادي والعشرين من سفر التكوين في بيان حال اسماعيل عليه السلام هكذا (وكان الله مع الغلام حتى كبر فأقام بالبرية وكان راميا بالقوس وأقام ببرية فاران واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر) (٣) . ولا شك أن إسماعيل كانت سكناه بمكة .

٢ ـ جاء عن إشَعْياء وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل (لأنه قد ولد لنا ولد اعطى لنا ابنا فصارت الرئاسة على كتفه ودعى اسمه عجيبا مشيرا . الها جبارا أبا الأبد رئيس

---

(١) البقرة آية ﴿ ٨٩ ﴾ .

(٢) الكتاب المقدس طبع بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٨٠م ط ٣ . سفر تثنية الاشتراع ٣٤٣/١ . الفصل الثالث والثلاثين .

(٣) الكتاب المقدس سفر التكوين ٣٣/١ ، وانظر في تفسير النص كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله ابن خليل الرحمن العثماني الكيراونوي ط. دار إحياء التراث الإسلامي . ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨ .

السلام لنمو الرئاسة ولسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته ليقرها ويوطدها بالانصاف والعدل من الآن الى الأبد) والمقصود به هو الرسول صلى الله عليه وسلم. (١)

٣ — وجاء عنه أيضا : (لتفرح أرض البادية العطشى ، ولتبتهج البراري والفلوات ولتزه لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان وكمال حسن الدساكر والرياض) (٢) .

٤ — وجاء عن حبحوق وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل : (الله يأتي من الجنوب والقدوس من جبل فاران سلاه ، جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه (٣) .

٥ — وجاء في إنجيل يوحنا : (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم المعزى ليثبت معكم إلى الأبد ، روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله ، لأنه ليس يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم ، والمعزى الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شيء ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم ، والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون) .

٦ — وجاء عنه أيضا : (فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا اليكم ، روح الحق الذي من الأب ينبثق ، هو يشهد لأجلي وأنتم تشهدون لأنكم معي من الابتداء) (٥) .

---

(١) الكتاب المقدس نبؤه أشعيا ٢/٣٣٥ الفصل التاسع

(٢) الكتاب المقدس نبوءه أشعياء ٢/٣٦٦ الفصل الخامس والثلاثون.

(٣) الكتاب المقدس ٢/٧٠٩ ، نبوء حبقوق الفصل الثالث. وانظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣/٣٠٠ — ٣٠١ ، اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ٢/٣٦٣ .

(٤) الكتاب المقدس ٣/١٨٦ — ١٨٨ الفصل الرابع عشر ، الفصل الخامس عشر من انجيل يوحنا . وانظر تفسير النص في كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي. ص ٥٤٨ — ٥٤٩ .

٧ ـ وجاء في صفة النبي في الزبـــور :

: (الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار راس الزاوية) (١) وفى انجيل متى من كلام سيدنا عيسى عليه السلام : (قال لهم يســوع : أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب ، كـــان وهو عجيب فى اعيننا لذلك أقول لكم : أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمتــه تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقــه) (٢)

وهذا اشارة الى الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه عن جابر بـــن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وســلم : " مثلى ومثـــال الانبياء كرجل بنى دارا فاكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون : لولا موضع اللبنة " (٣) وفى رواية هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين " (٤) .

---

(١) الكتاب المقدس صفر المزامير المزمور ١١٨ وانظر تفسير النص فى كتاب اظهـــار الحق ص ٥٤٦ .

(٢) الكتاب المقدس انجيل متى ٢١ من ٤٢ ـ ٤٤ وانظر تفسير النص فى اظهـــار الحق ص ٥٤٦ ـ ٥٤٧ .

(٣، ٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ٦/ ٥٥٨ .

وبناء على هذا فقد كان الناس عموما والأحبار والرهبان والكهان خصوصا يترقبون بعثة هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فلما بعث آمن به من كتب الله له الهداية والتوفيق وإليك بعض القصص التى تبين ذلك :ـ

١ ـ قصة سلمان الفارسى فى بحثه عن الحق وتنقله من بلد إلى بلد من عالم إلى آخر فى النصرانية حتى دله آخرهم على نبى مرتقب يبعث فى جزيرة العرب وأخبره بعلامات تدل عليه منها أنه لا يأكل الصدقة ويقبل الهدية وبين كتفيه خاتم النبوة فجاء سلمان إلى جزيرة العرب والى المدينة المنورة فسمع بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فذهب إليه ليختبر تلك العلامات فوجدها كما قال ذلك العالم النصرانى فآمن برسول الله وصدقه) (١) .

٢ ـ قصة حيى بن أخطب وأخيه :

ذكرت صفية بنت حى أم المؤمنين عن أبيها وعمها اليهوديين اللذين سمعا بمقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذهبا إليه ثم عادا فى المساء متعبين مجهدين فسمعت صفية عمها أبا ياسر يقول لأبيها : أهو هو ؟ أى هل هو الرسول المبشر به فى التوراة ؟ قال : نعم والله . قال : أتثبته وتعرفه ؟ قال : نعم . قال : فما فى نفسك منه . قال : عداوته والله ما بقيت أبدا . (٢)

---

(١) سيرة ابن هشام لابن هشام ٢٢٨/١ ـ ٢٣٤ بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى . ط. مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٥/٤ ـ ٧٩ ، الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى ٥٥/١ ـ ٥٦ ، السيرة الحلبية ٣٠٣/١ ـ ٣٠٨ .

(٢) سيرة ابن هشام لابن هشام ١٦٥/٢ ـ ١٦٦ بتحقيق السقا والأبيارى والشلبى ، الوفاء بأحوال المصطفى ٥٧/١ .

وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظلمين بئايت الله يجحدون ﴾(١)•

وقال : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾(٢)•

٣ ـ قصة عبد الله بن سلام واسلامه وهو حبر يهود وعالمها وفى القصة أنه قال : (يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراه باسمه وصفته فإنى أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه)(٣)•

٤ ـ قصة إسلام النجاشى وفيها أنه قال : (أشهد أنه رسول الله فإنه الذى نجد فى الإنجيل وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم)(٤)•

٥ ـ قصة إسلام سلمة بن سلامه وأنه كان يسمع من حبر من أحبار اليهود أنه سيبعث نبى من مكة • فسأله الأنصار : ومتى يبعث ؟ فنظر إلى سلمه بن سلامه فقال : (إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه) . فلما بعث الرسول كفر ذلك الحبر اليهودى وجحد)(٥)•

---

(١) الأنعام آية ﴿٣٣﴾ •

(٢) النمل آية ﴿١٤﴾ •

(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب مناقب الانصار باب مسائل عبد الله بن سلام النبى ٧/ ٢٥٢ ، سيرة ابن هشام لابن هشام ٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤ بتحقيق السقا وزملائه ، الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى ١/ ٧٣ •

(٤) سيرة ابن هشام لابن هشام القسم الأول ١/ ٣٦٠ ، والوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى ١/ ١٩٧ ، السيرة الحلبية ٢/ ٢٩ •

(٥) سيرة ابن هشام لابن هشام ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى ١/ ٤٧ ـ ٤٨ ، السيرة الحلبية لعلى بن برهان الدين الحلبى (ت : ١٠٤٤ هـ) ط • ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م •

٧ — قصة بحيرى الراهب مع أبي طالب وفيها أنه قال لأبي طالب : (ما هذا الغلام منك ؟

قال : ابني • قال له : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيـــا •

قال : فإنه ابن أخي • قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به قال صدقت •

فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه

شرا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم) (٢) •

وغير هذا من القصص كثير وكلها تدل دلالات واضحات على أن محمدا رسول حقا مـــن

عنـــد الله •

---

(١) سيرة بن هشام لابن هشام ١/١٩٣ — ١٩٤ ، بتحقيق السقا وزملاؤه ، الطبقات الكبرى لابن سعد ١/١٥٥ ، تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٢/١٩٥ ، الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى ١/١٣٣ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٢٩ — ٢٣٠ •

ثانيا : الاستدلال بالمقابلة :ـ

إن من الأساليب الرائعة الحكيمة التى استخدمها الكتاب والسنة لعرض حقائقهما بشكل مثير جذاب ، يأخذ بالألباب والعقول ، ويفتح القلوب ، ويشرح الصدور ، ويجعل النفوس مهيأة لتلقى الحق وقبوله والرضا به هو الاستدلال بالمقابلة بين الضدين والنقيضين • ليعرف الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، والهدى من الضلال ، والخير من الشر • وذلك أن النفوس الطيبة والقلوب السليمة إذا عرضت عليها الحقائق بطريق الاستدلال بالمقابلة ، فإنها لا تملك إلا أن تذعن للمعانى التى قررها من الحق والصواب والهدى والخير ، وترفض الباطل والخطأ والضلال •

إن أسلوب المقابلة بين الأشياء يكون أدعى للاستجابة وأقرب للفهم ، وأدنى للاعتبار والاتعاظ • فهو أسلوب رصين قوى ، يعرض الحقائق بشكل ناصع واضح • وان النفوس متى ما وضح لها الحق من الباطل ، واستبان لها طريق الرشد والهداية من الغى والضلالة ، فإنها تبادر للاستجابة ، وتتجه نحو الحق والخير• فعلى الداعية الحكيم أن يستخدم هذا المنهج القويم فى عرض حقائق التوحيد والإيمان والخير والمعروف والفضيلة •

نماذج على الاستدلال بالمقابلة :ـ

أولا : من الكتـاب :ـ

١ ـ قال تعالى :﴿ أو من كان ميتا فأحيينـه وجعلنا له نـورا يمشى به فى النـاس كمن مثـله فى الظـلمـت ليس بخارج منها كذلك زين للكـفرين ما كانـوا يعملون ﴾ (١)

ففى هذه الآية تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين قال الطبرى : (وهذا الكلام من الله جل ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم فى أكل الميتة) (٢) •فقد ضرب الله مثلا لمن هداه بعد الضلالة ، ومنحه التوفيق والهداية ،ليميز بين الحق والباطل ، وبين الطيب والخبيث ، بمن كان ميتا فأحياه الله ، وجعل له نورا يمشى به فى الناس • ومثل من بقى على الضلالة وأصر عليها ، بمـن هـو يتخبط فى الظلمات وليس لديه نور يضئ له ليخـرج من هذه الظلمـات • قال سيد قطب : (كذلك كان للنـاس قبل هذا الدين • قبل أن ينفـخ الإيمان فى أرواحـهم فيحييها ، ويطلق فيها هذه الطاقة الضخمـة من الحيويـة والحركـة والتطـلع والاستـشـراف • كانت قلوبهـم مواتـا ، وكانت أرواحهم ظلامـا ، ثم إذا قلوبهـم ينضح عليهـا الإيـمان فتهـتز ، وإذا أرواحهـم يشـرق فيها النـور فتضـئ ، ويفيض منها النـور فتمشـى بـه فى النـاس تهدى الضـال ، وتلتقـط الشـارد ، وتطمئن الخائـف وتحرر المستعبد ، وتكشـف معالم الطريـق للبشـر ، وتعلن فى الأرض ميـلاد الانسـان الجـديد • الإنسـان المتحـرر المستنير الـذى خـرج بعبوديـته للـه وحـده من عبـودية العبيـد • أفمـن نفـخ اللـه فـى روحه الحياة ، وأفاض على قلبه النـور كمـن حـاله أنـه فـى الظلمـات لا مخـرج لـه منهـا ؟ إنهمـا عالمـان مختلفـان شـتان

---

(١) الأنعام آية ﴿١٢٢﴾ •
(٢) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٢١/٨ •

بينهما شتان) (١) .

٢ — قال تعالى : ﴿ افمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ (٢) .

بعد ان ذكر الله ما ذكر من خلقه السموات والأرض ، والجبال والبحار والنجوم ، وانزال الماء من السماء وغيرها من النعم التى عددها الله فى أول السورة ، وهى نعم لا تعد ولا تحصى . قال مخاطبا المشركين : ﴿ أفمن يخلق ﴾ أى هذه المخلوقات العجيبة العظيمة التى تدل على خالق حكيم قدير مدبر : ﴿ كمن لا يخلق ﴾ شيئا من اصنامكم التى تعبدونها من دون الله ﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعرفوا فساد ما انتم عليه من عبادة غير الله .

قال الرازى : (لما دلت هذه الدلائل الباهرة ، والبينات الزاهرة القاهرة ، على وجود إله قادر حكيم . وثبت أنه هو المولى لجميع هذه النعم ، والمعطى لكل هذه الخيرات . فكيف يحسن فى العقول الاشتغال بعبادة موجود سواه ، لا سيما إذا كان ذلك الموجود جمادا لا يفهم ولا يقدر) (٣) . إن الاستفهام فى الآية هو تبكيت وتقريع للمشركين ، كيف يسوون من لا يخلق بمن يخلق ؟ أليست لديهم عقول ؟ أليسوا أولى أبصار وألباب ؟ فلينظروا فى هذا الكون الفسيح العجيب ليروا مظاهر القدرة والاعجاز والاتقان والتنظيم والابداع : ﴿هذا خلق الله﴾ مشاهد مرئى يتحدى كل من ينظر ويرى : ﴿ فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين﴾ .

: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ . وهل هناك إلا جواب واحد ؟ لا . . ليس

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٣/١٢٠١ .

(٢) النحل آية ﴿ ١٧ ﴾ .

(٣) مفاتيح الغيب للرازى ٢٠/١٢ .

من يخلق كمن لا يخلق شتان بينهما شتان .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (١)

بعد أن ذكر الله تعالى المسجدين مسجد الضرار والكفر والتفريق ، ومسجد قباء مسجد التقوى . أمر رسوله والمؤمنون تبع لرسولهم أن لا يقوموا ولا يصلوا إلا في مسجد قباء مسجد التقوى : ﴿ لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ (٢) .

ذكر هنا الفرق بين المسجدين والبناءين ـ بطريقة المقابلة ـ ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (٣) .

والمعنى كما قال الحافظ ابن كثير : (لا يستوي من أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان . ومن بنى مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل . فإنما يبني هؤلاء بنيانهم على شفا جرف هار ، أي طرف حفيرة ، مآله ﴿ في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ أي لا يصلح عمل المفسدين) (٤) .

٤ ـ قال تعالى : ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾ (٥) .

---

(١) التوبة آية ﴿١٠٩﴾ .
(٢) التوبة آية ﴿١٠٩﴾ .
(٣) التوبة آية ﴿١٠٩﴾ .
(٤) تفسير ابن كثير لابن كثير ٢/٣٩١ .
(٥) فصلت آية ﴿٤٠﴾ .

ففى هذه الآية قابل البيان القرآنى بين الإيمان والكفر بين من يؤ من بآيات الله ومن يلحد فى آيات الله بذكر الغاية والجزاء لكل واحد منهما ﴿ أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيمة ﴾ •

قال الرازى : (هذا استفهام بمعنى التقرير والغرض التنبيه على أن الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤ منون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة) (١)

وقال الالوسى : (وكان الظاهر أن يقابل الالقاء فى النار بدخول الجنة لكنه عدل عنه إلى ما فى النظم الجليل اعتناءً بشأن المؤ منين لأنّ الأمن من العذاب أعم وأهم) (٢) •

٥ ـ قال تعالى : ﴿ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم ﴾ (٣) •

فى هذه الآية ضرب الله مثلا للمؤمن والكافر • فمثل الكافر بمن يمشى منكّسا رأسه لا ينظر أمامه ولا عن يمينه ولا عن شماله فهو لا يأمن من العثور والانكباب والسقوط فى الهاوية ومثل المؤ من بالرجل السوى الصحيح البصير الماشى فى الطريق المهتدى له • أيهما أهدى ؟ وأيهما أولى بالاختيار ؟ وأيهما أحق وأجدر بالاتباع ؟ وهل الأمر بحاجة الى جواب أو حتى مجرد التفكير ؟ ان الجواب على هذا السؤال واضح ومعروف • فمن يمشى سويا على صراط مستقيم أهدى ممن يمشى مكبا على وجهه •

---

(١) مفاتيح الغيب للرازى ١٣١/٢٧ •
(٢) روح المعانى للألوسى ١٢٧/٢٤ • وانظر روح البيان للبروسوى ٢٦٨/٨ •
(٣) الملك آية ﴿ ٢٢ ﴾ •

ثانيا : من السنة :—

١ — عن أبي موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثه " رواه مسلم (١) . ففى هذا الحديث مقابلة رائعة حقا بين الجليس الصالح وجليس السوء . فقد شبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الجليس الصالح بحامل المسك وشبه جليس السوء بنافخ الكير . وكما أن الفرق كبير بين حامل المسك ونافخ الكير فكذلك البون شاسع بين الجليس الصالح وجليس السوء .

قال النووى : (فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهى عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره . وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة) (٢) .

٢ — وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إن الصدق يهدى إلى البر وان البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدى إلى الفجور وان الفجور يهدى إلى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " متفق عليه (٣) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ١٦ / ١٧٨ .

(٢) شرح النووى على مسلم ١٦ / ١٧٨ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب قول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ وما ينهى عن الكذب ١٠ / ٥٠٧ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ١٦ / ١٥٩ — ١٦٠

فأينا يسمع هذه النتيجة التي يؤول إليها كل من الصادق والكاذب ولا يحب الصدق ويكره الكذب ·

قال النووي : (قال العلماء هذا فيه حث على تحري الصدق وهو قصده والاعتناء به وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به وكتبه الله لمبالغته صديقا إن اعتاده أو كذابا إن اعتاده) (١) ·

٣ ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت " · متفق عليه (٢) ·

فهنا قابل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الذي يذكر ربه والذي لا يذكره (فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر بالميت الذي ظاهره عاطل وباطنه عاطل) (٣) · فأين الحي من الميت ؟ وأين الذاكر من الغافل ؟ إنهما سؤالان ليسا بحاجة إلى عمق ورويّة في التفكير في الجواب · فالجواب حاضر ومعروف أن الحي أفضل من الميت وأن الذاكر أخير من غير الذاكر ·

وهكذا ترى أخي الداعية : كيف أن الاستدلال بأسلوب المقابلة له أثره

---

(١) شرح النووي على مسلم ١٦/١٦٠ ·

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل ١١/٢٠٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته ٦/٦٨ ·

(٣) فتح الباري ١١/٢١٠ ـ ٢١١ ·

في النفوس ، ووقعه في القلوب ، وشرحه للصدور ، ونفعه للمدعوين بما يثيره فيهم من حب ورغبة وتضحية في سبيل التوحيد والخير والمعروف والفضيلة ، أو بغض وابتعاد عن الشرك والشر والمنكر والرذيلة ٠

فهلا تأسيت بهذا الأسلوب في دعوتك للآخرين ، ومخاطبتك للمدعوين ٠

ثالثا : الاستدلال بالمقدمات المشهورة المسلمة :

إن أى مبدأ يصاحبه دليل يكون ذا حجة وقوة على الآخرين ، وعلى قدر كفاية الأدلة وقوتها ووضوحها وبساطتها يكون أثر المبدأ وتأثيره، ومن الأدلة التى استعملها الكتاب والسنة الاستدلال بالمقدمات المشهورة المسلمة فهى أدلة واضحة مقنعة تقنع كل من يخاطب بها فما على الداعية الحكيم إلا أن يقتدى بالكتاب والسنة فيورد حجج الله ويقيم براهينه بمقدمات مشهورة مسلمة وعندئذ سينقاد كل ذى لب وعقل له، لأن برهانه ساطع وحجته باهرة أما من لم يكن له عقل ولا سمع ولا بصر بل هو كالأنعام يردد ما حكاه الله عنهم فى قوله تعالى : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾[1] و ﴿ بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾[2] فهؤلاء لو أوردت عليهم كل الحجج وأقيمت عليهم كل البراهين بالأدلة الواضحة والبراهين المقنعة لما كانت هناك نتيجة، لأن داء التقليد والاتباع الأعمى قد استحوذ عليهم واستولى على مشاعرهم وأفكارهم واستحكم فى قلوبهم والهداية بيد الخلاق العليم : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾[3] . فعلى الداعية إلى الله أن يبين ويوضح منهجه ومبدأه على قدر طاقته واستعداده، وأن يحاول التفنن فى أساليب مخاطبة الآخرين والله لا يكلف نفسا إلا وسعها .

وها هى ذى أمثلة من الكتاب والسنة نحاول فى ضوئها أن نرى كيف يكون لهذه المقدمات المشهورة المسلمة النتائج الايجابية السريعة .

---

(١) الزخرف آية ﴿٢٢﴾ .
(٢) الشعراء آية ﴿٧٤﴾ .
(٣) القصص آية ﴿٥٦﴾ .

نماذج على المقدمات المشهورة المسلمة : أولا من الكتاب :ـ

١ ـ قال تعالى :﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخلقون أم خلقوا السموات والأرض

بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلم

يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطن مبين أم له البنت ولكم

البنون أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب

فهم يكتبون أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم

إله غير الله سبحن الله عما يشركون ﴾ (١) •

ففى هذه الآيات الكريمات خاطب السياق المشركين خطاب العقل والفطرة

وساق لهم أدلته عن طريق المقدمات المشهورة وصاغها فى قالب

استفهام انكارى • وهذه المقدمات بدهية لا تحتاج إلى رويّة وتفكر فى الجواب

عليها فالجواب معروف سلفا وهو أنهم لم يفعلوا لا هم ولا شركاؤهم شيئا من ذلك

فثبت بما لايدع مجالا للشك أن الله هو الذى خلقهم وأنه وحده يستحق العبادة

دون سواه •

وقد كان لهذه الحقائق المسلم بها ـ والتى لا يستطيع أى أحد مهما كان

وبلغ أن ينكر واحدة منها أو يدعى أنه فعل شيئا منها ـ الأثر الكبير والاستجابة

السريعة فى نفس جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه وهو يسمع رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم يتلو بها فى المغرب وكان مشركا • قال جبير بن مطعم

رضى الله تعالى عنه : سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ فى المغرب

بالطور ، فلما بلغ هذه الآية :﴿ أم خلقوا من غير شئ ؟ أم هم الخلقون ؟ أم

---

(١) الطور آية ﴿٣٥ ـ ٤٣﴾ •

خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون أم عند هم خزائن ربك أم هم المسيطرون﴾ (١)

كاد قلبي أن يطير" ، وفي رواية : (سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب بالطور وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) (٢) ،

قال الخطابي عند قوله صلى الله عليه وآله وسلم : "كاد قلبي أن يطير": (كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ، ومعرفته بما تضمنته ، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه ، وذلك من قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيئ ﴾

قيل معناه ليسوا أشد خلقا من خلق السموات والأرض ، لأنهما خلقتا من غير شئ ، أي هل خلقوا باطلا لا يؤمرون ولا ينهون ؟ وقيل المعنى : أم خلقوا من غير خالق ؟ وذلك لا يجوز فلابد لهم من خالق ، فاذا أنكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم وذلك في الفساد والبطلان أشد ، لأن مالا وجود له كيف يخلق ؟ واذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا ثم قال : ﴿ أم خلقوا السموات والأرض﴾ أي إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم ، فليدعوا خلق السموات والأرض ، وذلك لا يمكنهم فقامت الحجة ، ثم قال : ﴿ بل لا يوقنون ﴾ فذكر العلة التي عاقتهم عن الإيمان ، وهو عدم اليقين الذي هو موهبة ، ولا يحصل إلا بتوفيقه فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير ومال إلى الاسلام) (٤) .

٢ ــ قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد

---

(١) الطور آية ﴿ ٣٥ ــ ٣٧ ﴾ .

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب التفسير باب سورة والطور ٨/٦٠٣

(٣) المرجع نفسه كتاب المغازي ٧/٣٢٣ .

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٨/٦٠٣ .

أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا ءاباءنا كذلك يفعلون قال أفرءيتم ماكنتم تعبدون أنتم وءاباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين ﴾ (١) .

لقد وجد إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم قومه يعبدون الأصنام من دون الله ويتوجهون إليها . فهَالَه ما هم عليه من العكوف لأصنام لا تنفع ولا تضر . فأخذ يحاول أن يوقظ قلوبهم الغافلة ، وينبه عقولهم المتبلدة إلى هذا السخف الذى يزاولونه دون وعى ولا تفكير بمقدمتين مشهورتين مسلم جوابها عندهم بالنفى حتى أنهم حاروا ولم يجدوا ما يجيبونه به سوى تعللهم بتقليد الآباء . ﴿ قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ﴾ . قال سيد قطب (فأقل ما يتوفر لإله يعبد أن يكون له سمع كعابده الذى يتوجه إليه بالعبادة والابتهال ، وهذه الأصنام لا تسمع عبادها وهم يتوجهون إليها بالعبادة ، ويدعونها للنفع والضر . فإن كانت صماء لا تسمع فهل هى تملك النفع والضر ؟ لا هذا ولا ذاك يمكن أن يدّعوه) (٢)

٣ ــ قال تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتينٰهم بالحق وإنهم لكٰذبون ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحٰن الله عما يصفون ﴾ (٣)

---

(١) الشعراء آية ﴿ ٦٩ ــ ٨١ ﴾ .
(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٥ / ٢٦٠٢ .
(٣) المؤمنون آية ﴿ ٨٤ ــ ٩١ ﴾ .

ففى هذه الآيات الكريمات يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ، ليرشد المشركين إلى أنه لا إله إلا الله ، ولا تنبغى العبادة إلا له وحده لا شريك له . ولهذا أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أن يسأل المشركين العابدين معه غيره : من الذى يملك الأرض ومن فيها ؟ ومن رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ ومن بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ؟ وهذه كلها أسئلة لا جواب لها إلا جواب واحد . فسيقولون الله فقل أفلا تذكرون ؟ أفلا تتقون؟ فأنى تسحرون ؟ .

ثم قل لهم :

لو كان مع الله آلهة أخرى كما يقولون لحصل إحدى فرضين اثنين :ـ

١ ـ إما أن يذهب كل إله بما خلق .

٢ ـ أو يعلو بعضهم على بعض .

وهذان الفرضان باطلان . لأن تناسق أمر هذا العالم وانتظام حركته يدل على بطلان هذين الفرضين ويشير إلى وجود خالق عظيم جل جلاله ينبغى أن يعبد وحده وأن يتوجه إليه وحده لا شريك له .

ثانيا : من السنة :

١ ــ عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : " إني نَحَلْتُ ابني هذا غلاما . فقال : أكل ولدك نحلت مثله ؟ قال : لا . قال فارجعه " (١) متفق عليه .

وفي رواية : " أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . قال : " فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " . (٢) متفق عليه .

وفي رواية : " ألك ولد سواه ؟ قال : نعم . قال : لا تشهدني على جور " (٣) رواه البخاري .

وفي روايه : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟ قال : نعم . فقال : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا . قال : فلا تشهدني إذا فاني لا أشهد على جور " (٤) رواه مسلم .

وفي رواية : " أليس تريد منهم من البر ما تريد من ذا ؟ " قال بلى . رواه مسلم (٥)

وفي رواية : " إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لهم عليك من الحق أن يبروك " (٦) رواه ابو داود .

---

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الهبه باب الهبه للولد ٥/٢١١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الهبه باب كراهية تفضيل بعض الاولاد في الهبة ١١/٦٥ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الهبه باب الهبه للولد ٥/٢١١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الهبه باب كراهية تفضيل بعض الاولاد في الهبه ١١/٦٧ .

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الشهادات باب لا يشهد على جور إذا أشهد ٥/٢٥٨ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الهبه باب كراهية تفضيل بعض الاولاد على بعض في الهبه ١١/٦٨ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الهبه باب كراهية تفضيل بعض الاولاد على بعض في الهبه ١١/٦٨ ــ ٦٩ .

(٦) سنن أبي داود كتاب البيوع باب في الرجل يُفَضِّلُ بعض ولده في النُّحل ٣/٢٩٢ .

فنحن نلحظ هنا فى هذا الحديث كيف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد استخدم مقدمات مشهورة مسلمة لدى والد النعمان ليقنعه بالرجوع عما أراد أن يفعله من هبة ولده النعمان دون بقية أولاده ولما أبدى له صلى الله عليه وآله وسلم هذه المقدمات استجاب والد النعمان ورجع عن هبته لولده النعمان.

٢ — وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "يا رسول الله ولد لى غلام أسود فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: ما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورق (١)؟ قال: نعم. قال: فأنى ذلك؟ قال: لعله نزعه عرق. قال: فلعل ابنك هذا نزعه" متفق عليه (٢).

فقد أبان هذا الحديث كيف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب المثل فى هذا الحديث وشبه المجهول بالمعلوم تقريبا لفهم السائل وقياس الأمر بنظيره واستخدم المقدمات المشهورة لإقناع الرجل الذى جاء منكرا أن امرأته ولدت غلاما أسود وهو أبيض فلما ضرب له صلى الله عليه وآله وسلم المثل بالابل تكون حمراً ويظهر من بينها أورق وسأله كيف هذا؟ قال: لعله نزعه عرق قال له فكذلك لعل ابنك هذا نزعه عرق.

٣ — عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: "نعم حجى عنها. أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء" (٣)

(١) أى أسمر. النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٥/١٧٥.
(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الطلاق باب إذا عرض بنفى الولد ٩/٤٤٢. صحيح مسلم بشرح النووى كتاب اللعان ١٠/١٣٣.
(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب جزاء الصيد باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة ٤/٦٤.

فقد أبان النص كيف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخدم مقدمة مشهورة مسلمة وهي (أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته) فأجابته : نعم . فوصل إلى جواب سؤالها عن طريق هذه المقدمة إذا اقضوا الله فالله أحق بالوفاء "

قال ابن حجر : (فيه مشروعية القياس وضرب المثل ليكون أوضح وأوقع في نفس السامع وأقرب إلى سرعة فهمه وفيه تشبيه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه . وفيه أنه يستحب للمفتي التنبيه على وجه الدليل إذا ترتبت على ذلك مصلحة وهو أطيب لنفس المستفتي وأدعى لإذعانه وفيه أن وفاء الدين المالي عن الميت كان معلوما عندهم مقررا ولذا حسن الالحاق به) (١) .

٤ ـ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال : إن فتى من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " ادنه . فدنا منه قريبا قال فجلس قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال : أفتحبه لابنتك؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال : أفتحبه لأختك ؟ قال لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال : أفتحبه لعمتك؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم . قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شئ " أخرجه الامام احمد (٢) .

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٤ / ٦٦ .

(٢) مسند الامام احمد وبهامشه منتخب كنز العمال ٥ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧ . مسند أبي أمامة . ط . دار صادر للنشر والطباعة . والحديث صحيح لأن رجاله ثقات وسنده متصل .

فقد أبان هذا الحديث ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكارم الأخلاق ، وبعد النظر وحسن سياسته للأمور ، واستخدامه للمقدمات المشهورة لإقناع هذا الفتى . حيث إنه سأله أسئلة لا يرضاها لنفسه ، وفي كل مرة يقول له : ولا الناس يحبونه . فكما أنك لا تحبه لأمك ولا لأختك ولا لابنتك أو عمتك أو خالتك ، فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أو أخواتهم . وإذا كان الأمر كذلك فكيف آذن لك به ؟ ، وكيف ترضاه لنفسك ؟ .

٥ — عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : "لا عدوى ولا صفر ولا هامه . فقال أعرابي : يا رسول الله فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتيها البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها ؟ فقال : فمن أعدى الأول "؟ (١) .

٦ — عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن رجلا قال : يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة " (٢) قال قتادة بلى وعزة ربنا .

٧ — وهذه أم سليم زوجة أبي طلحة مات ولد لها فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه فجاء فقربت إليه عشاءً فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت يا أبا طلحة : (أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم قال لا . قالت فاحتسب ابنك (٣) .

---

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الطب باب وصفر وهو داء يأخذ البطن ١٧١/١٠ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الطب والمرضى والرقى باب لا عدوى ولا طير ولا هامه ولا صفر ٢١٣/١٤ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب التفسير باب الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم .. ٤٩٢/٨ .

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة ١٦٩/٣ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضائل أم سُلَيْم أم أنس بن مالك ١١/١٦ — ١٢ .

وهكذا نرى أن هذا المنهج يؤتي أكله وثماره بإذن ربه ومولاه .

رابعا : الدعوة باستعمال القدوة الحسنة :ــ

إن القدوة فى عملية التربية أثرا عظيما فهى من أهم وسائل الدعوة إلى الله وأكثرها فاعلية . ذلك أن لسان الحال أفضل من لسان المقال . فالقول إن لم يصدقه العمل ــ وخاصة من الدعاة الذين نصبوا أنفسهم لهذا المقام السامى ــ يعتبر فى الحقيقة تضييعا لقيمة هذا القول أيا كان مبناه ، واستخفافا بالمعانى التى حواها ذلك القول ولو كانت من عيون المعانى وكرائمها . ولهذا كان التوجيه الربانى للعلماء العاملين أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتب وبماكنتم تدرسون ﴾ (١) وكذلك التوجيه النبوى لسفيان بن عبد الله الثقفى حين قال له : " يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك . قال : قل آمنت بالله ثم استقم " (٢) .

إن القدوة لها أثر كبير فى التأثير على الآخرين . فالناس عندما يرون الداعية صادقا أمينا كريما ، متحليا بالأخلاق الفاضلة متجملا بالآداب الاسلامية ، يقول ويفعل ، يأمر ويأتمر ، ينهى وينتهى ، فإنه بلا شك سيكون لذلك الأثر الكبير والوقع العظيم فى اقتدائهم وتأسيهم به .

قال الغزالى : (إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الايمان وخلقه الفاضل هو السحر الذى يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب) (٣) .

وقد أمر الله المؤمنين أن يتخذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة

---

(١) آل عمران آية ﴿ ٧٩ ﴾ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الايمان باب جامع أوصاف الاسلام ٢/٨ ــ ٩ .

(٣) مع الله للغزالى ص ٢٨٢ .

وقدوة لهم فى عقيدتهم وأخلاقهم وسلوكهم فقال عز من قائل : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ (١) بل أمرهم أن يتخذوا من إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ومن الذين آمنوا معه قدوة حسنة فى تحرير الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين قال تعالى :

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك (٢) وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد ﴾ (٣) وعاب على فريق منهم يقولون ما لا يفعلون وتوعدهم بالعذاب الشديد : ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ (٤) • وأنكر على اليهود الانكار الشديد لأمرهم الناس بالخير والبر ونسيانهم لأنفسهم قال تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتٰب أفلا تعقلون ﴾ (٥) بل ذمهم لعدم عملهم بعلمهم وكونهم قدوة سيئة قال تعالى : ﴿ مثل الذين حُمِّلوا التورىٰة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بـٔايٰت الله والله لا يهدى القوم الظٰلمين ﴾ (٦) ففى هذه

---

(١) الأحزاب آية ﴿٢١﴾ •

(٢) وهذا الاستغفار كان عن موعدة وعدها إبراهيم لأبيه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال تعالى : ﴿ وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ التوبة آية ﴿١١٤﴾ •

(٣) الممتحنة آية ﴿٤ _ ٦﴾ •

(٤) الصف آية ﴿٢ _ ٣﴾ •

(٥) البقرة آية ﴿٤٤﴾ •

(٦) الجمعة آية ﴿٥﴾ •

الآية تنبيه وإرشاد من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويفهم ما فيه ثم يعمل به ويطبقه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء .

وقد أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أن يتخذ إخوته من الأنبياء السابقين قدوة له يسير على نهجهم ويقتفي اثرهم . قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (١) .

إن للقدوة سواء أكانت حسنة أم سيئة أثراً في مضاعفة الحسنات أو زيادة الأوزار . ولذا فقد طلب عباد الرحمن من ربهم أن يجعلهم قدوة صالحة للمتقين . ليزداد أجرهم وتتضاعف حسناتهم . قال تعالى : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ (٢) .

قال قتادة : (أي قادة في الخير ودعاة هدى يؤتم بنا في الخير) (٣) . وقال البخاري : (أئمة نقتدى بمن قبلنا ويقتدى بنا من بعدنا) (٤) . وأخبر تعالى أن أصحاب القدوة السيئة يحملون يوم القيامة أوزارهم ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم فقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ إنهم لكاذبون وليحملن اثقالهم وأثقالا مع اثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ (٦) .

---

(١) الانعام آية ﴿٩٠﴾ .
(٢) الفرقان آية ﴿٧٤﴾ .
(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٣/٢٥١ .
(٤) المرجع نفسه ١٣/٢٤٨ .
(٥) النحل آية ﴿٢٤ ـ ٢٥﴾ .
(٦) العنكبوت اية ﴿١٢ ـ ١٣﴾ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " من سن فى الإسلام سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من اجورهم شيئا ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا " (١)

وتحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عقوبة من يخالف فعله قوله نفسى الحديث الذى رواه عنه أسامه بن زيد بن حارثة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه (٢) فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحا (٣) فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك! ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه " (٤) .

قال ابن القيم : (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم . فكلما قالت أقوالهم للناس : هلموا قالت أفعالهم : لا تسمعوا منهم ، فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له . فهم فى الصورة أدلاء ، وفى الحقيقة قطاع الطرق) (٥) .

...

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٢٢٦/١٦ .

(٢) الاندلاق : خروج الشئ من مكانه . والمراد خروج أمعائه من جوفه . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ١٣٠/٢ .

(٣) أى الطحانة التى يطحن بها . النهاية فى غريب الحديث لابن الثير ٢١١/٢ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة ٣٣١/٦ . صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد والرقائق باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ١١٨/١٨ .

(٥) الفوائد لابن قيم الجوزية ص ٦١ .

وقال الشافعى :

يا واعظ الناس عما أنت فاعلــــه　　يا من يعدّ عليه العمر بالنفس
احفظ لشيبك من عيب يدنسه　　إن البياض قليل الحمل للدنس
كحامل لثياب الناس يغسلها　　وثوبه غارق فى الرّجس والنّجس
تبغى النجاة ولم تسلك طريقتها　　إن السفينة لا تجرى على اليبس (١)

وقال الشـــاعر :

يا أيها الرجل المعلم غـــيره　　هلا لنفسك كان ذا التعليـــم
تصف الدواء لذى السقام من الضنى　　ومن الضنى تمسى وأنت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتى مثلـــه　　عار عليك إذا فعلت عظيـــم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها　　فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقـــول ويقتدى　　بالقول منك وينفع التعليـــم (٢) ．

وجاء فى الامثال : (إذا زل العَالِم زل بزلته عَــالَم) (٣) ．

فيجب على الداعية أن يحرص كل الحرص على أن يكون للناس قدوة حسنة ماثلة فى كل مجال من مجالات الحياة ． فى العقيدة والفكر ، فى السلوك والأخلاق ،．．الخ

إن القدوة تجعل للقول وزنا وتعطيه دفعا ولها تأثير عجيب فى النفوس ． هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر أصحابه أن يتحللوا من عمرتهم يوم الحديبية فلم ينفذوا أمره ． فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أم سلمه فذكر لها ما لقى من الناس ． فأشارت عليه أن يخرج إلى القوم ولا يكلمهم فيحلق رأسه ． فخرج رسول الله

---

(١) ديوان الشافعى جمع وتحقيق زهدى يكن ص ١٠٨ — ١٠٩ ．
(٢) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ١ : ٤٤٧ ．
(٣) مجمع الامثال للميدانى ١/٤٤ ．

صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكلم أحدا ، وأمر الحلاق بحلق رأسه . فما إن رأى الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حلق شعره ، حتى حلقوا شعورهم ، بل بلغ من تدافعهم أنه كاد أن يقتل بعضهم بعضا ".(١)

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : " إن رسول الله صلى الله وآله وسلم خرج عام الفتح إلى مكة فى رمضان . فصام حتى بلغ كراع الغميم(٢) . فصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب ".(٣)

وعن ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها " أن الناس شكوا فى صيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم عرفه . فأرسلت إليه باللبن وهو واقف فى الموقف فشرب منه والناس ينظرون إليه ".(٤)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : " اتخذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ذهب ، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب . فقال النبى صلى الله وعليه وسلم : " إنى اتخذت خاتما من ذهب فنبذه ، وقال إنى لن ألبسه أبدا " . فنبذ الناس خواتيمهم(٥) . قال ابن بطال :

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الشروط باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٣٣٢/٥ ، الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلى (ت : ٥٨١ هـ) ٢٧/٤ . ط دار المعرفة ١٣٩٨هـ ٧٨م ، زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ١٩٥/١ .

(٢) كراع : بالضم وآخره عين مهملة . كراع الغميم : موضع بالحجاز بين مكة والمدينة ، أمام عسفان بثمانية أميال . وهذا الكراع جبل أسود فى طرف الحرة يمتد إليه . معجم ما استعجم للبكرى ١٠٠٦/٢ ، مراصد الاطلاع للبغدادى ١١٥٣/٣ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصيام باب جواز الصوم أو الفطر فى رمضان للمسافر ٢٣٢/٧ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصيام باب استحباب الفطر للحاج بعرفات يوم عرفه ٤٣/٨ .

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بأفعال النبى ٢٧٤/١٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الأشربة باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ٦٦/١٤ .

: (فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول) (١) •

فليحرص الدعاة على أن يكونوا قدوة صالحة • ليحرصوا على أن يكون خلقهم القرآن يترسمون منهجه وينقادون لأحكامه وآدابه • ذلك أن نصاب زكاة الداعية عمله • فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ؟ وفاقد النور كيف يستنير به غيره ؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ •

وحسبنا الآن أن نذكر نماذج من الرسول القدوة لتكون للدعاة نبراسا ومنارا •

١ : القدوة في العبادة :

أ ـ عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه (٢) • فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : " أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا " (٣) •

ب ـ وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل العشر شد ميزره (٤) وأحيا ليله وأيقظ أهله (٥) •

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٣/٢٧٥ •

(٢) أي تتشقق • يقال تفطرت وانفطرت بمعنى • النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/٤٥٨ •

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب التهجد باب قيام النبي الليل ٣/١٤ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيمة والجنة والنار باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ١٧/١٦٢ •

(٤) المئزر : الإزار • وكنّى بشده عن اعتزال النساء • وقيل : أراد تشميره للعبادة • النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٤٤ •

(٥) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب فضل ليلة القدر باب العمل في العشر الأواخر من رمضان ٤/٢٦٩ •

جـ ـ عن أبى عبد الله حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه قال : صليت مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة • فقلت : يركع عند المائة • ثم مضى • فقلت يصلى بها فى ركعة • فمضى ثم افتتح النساء فقرأها • ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا[١] إذا مر بآية فيها تسبيح سبّح • وإذا مرّ بسؤال سأل • وإذا مرّ بتعوذ تعوذ • ثم ركع فجعل يقول : " سبحان ربى العظيم " فكان ركوعه نحوا من قيامه • ثم قال : " سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد " ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع • ثم سجد فقال : " سبحان ربى الأعلى • فكان سجوده قريبا من قيامه[٢] •

د ـ وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : صليت مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليلة فأطال القيام حتى هممت بأمر سوء • قيل وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه[٣] •

٢ : القدوة فى الخوف من الله :ـ

أ ـ عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط • فقال :"لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجوههم ولهم خنين[٤][٥] •

---

(١) أى متأنيا مرتلا. النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٢٢٣ •
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ٦/٦١ ـ ٦٣ •
(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التهجد باب طول القيام فى صلاة الليل ٣/١٩ صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ٦/٦٣ •
(٤) الخنين ضرب من البكاء دون الانتحاب• وأصل الخنين خروج الصوت من الأنف كالحنين من الفم • النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ٢/٨٥ •
(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب قول النبى : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " ١١/٣١٩ • صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك اكثار سؤاله ١٥/١١١ ـ ١١٢ •

ب — وعن أبى هريره رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : " قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله · قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل " (١) ·

جـ — وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال لى النبى صلى الله عليه واله وسلم : " اقرأ علىّ القرآن · قلت : يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل · قال : إنى أحب أن أسمعه من غيرى " فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ قال : " حسبك الآن " فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان " (٢) (٣) ·

٣ : القدوة فى الزهد عن الدنيا :ـ

أ — عن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه قال : كنت أمشى مع النبى صلى الله واله وسلم فى حرة (٤) بالمدينة فاستقبلنا أحد · فقال : يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله · فقال : " ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهبا تمضى علىّ ثلاثة أيام وعندى منه دينار إلا شئ أرصده (٥) لدين ، إلا أن أقول به فى عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وعن خلفه (٦) ·

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل ٢٩٤/١١ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ١٦٠/١٧ ·

(٢) ذرفت العين تذرف إذا جرى دمعها · انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ١٥٩/٢

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب قول المقرئ للقارئ حسبك ٩٤/٩ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل سماع القرآن وتدبره ٨٧/٦ ·

(٤) الحرة : أرض بالمدينة المنورة لها حجارة سود كثيرة · النهاية ٣٦٥/١ ·

(٥) أى أعده · النهاية ٢٢٦/٢ ·

(٦) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب قول النبى " ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهبا " · ٢٦٤/١١ ·

ب — عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنهما قال : ذكر عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يظل اليوم يلتوى ما يجد دقلا (١) يملأ به بطنه (٢) •

جـ — وعن عمرو بن الحارث أخى جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنهما قال : "ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة" (٣) •

د — عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : "ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" (٤) •

هـ — عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تقول : "والله يا ابن اختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال • ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نار • قال : قلت يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء (٥) •

---

(١) الدقل : ردئ التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثورا • النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/١٢٧ •

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد ١٨/١٥٩ •

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبى وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١١/٢٨٢ •

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد ١٨/١٠٦ •

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبى وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١١/٢٨٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد ١٨/١٠٧ •

٤ : القدوة في الكرم والانفاق :

أ — عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : "ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا قط فقال لا" (١) .

ب — وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : "ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه . قال : فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاءً لا يخشى الفاقه . وفى رواية : فوالله إن محمدا ليعطى عطاءً ما يخاف الفقر . قال أنس : وان كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها" (٢) .

جـ — وعن جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه قال : بينما هو يسير مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم مقفله من حنين . فعلقته الأعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمره (٣) فخطفت رداءه فوقف النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : "أعطونى ردائى فلو كان عدد هذه العضاه (٤) نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا" (٥) .

د — وعن أبى سعيد الخدرى أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم . حتى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب فى سخائه صلى الله عليه وسلم ١٥/٧١

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب فى سخائه صلى الله عليه وسلم ١٥/٧٢

(٣) أى شجره . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٣٩٩ .

(٤) العضاه شجر أم غيلان وكل شجر عظيم له شوك . الواحدة : عضة بالتاء النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٣/٢٥٥ .

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب الشجاعة فى الحروب والجبن ٦/٣٥ .

إذا نفد ما عنده قال : " ما يكن عندى من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يصبر يصبّره الله ، وما أعطى أحد من عطاء خيرًا وأوسع من الصبر " .(١)

هـ — وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير .(٢)

و — وعن عقبة بن الحارث رضى الله عنه قال : (صليت مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم العصر ، فلما سلم قام سريعا فدخل على بعض نسائه ثم خرج ، ورأى ما فى وجوه القوم من تعجبهم لسرعته ، فقال : "ذكرت — وأنا فى الصلاة — تبرا(٣) عندنا فكرهت أن يمسى — أو يبيت عندنا — فأمرت بقسمته " .(٤)

٥ : القدوة فى التواضع :—

أ — عن عياض بن حمار رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد " .(٥)

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة ٣/٣٣٥ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب فضل التعفف والصبر والقناعة ٧/١٤٤ — ١٤٥ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب بدء الوحى ١/٣٠ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب جوده صلى الله عليه وسلم ١٥/٦٨ .

(٣) التبر هو الذهب والفضة قبل أن يضربا دنانير ودراهم فاذا ضربا كانا عينا. النهاية ١/١٧٩

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب العمل فى الصلاة باب يفكر الرجل الشىء فى الصلاة ٣/٨٩

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار ١٧/٢٠٠ .

ب — عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه مرّ على صبيان فسلّم عليهم وقال : "كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يفعله" (١) .

جـ — وعن أنس أيضا قال : "كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنطلق به حيث شاءت" (٢) .

د — عن الأسود بن يزيد رضى الله عنه قال : "سئلت عائشة رضى الله عنها ما كان النبى صلى الله وآله وسلم يصنع فى بيته ؟ قالت : يكون فى مهنة أهله — يعنى فى خدمة أهله — فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة" (٣) .

٦ : القدوة فى حسن الخلق :—

أ — عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : "كان رسول الله صلى الله وآله أحسن الناس خلقا" (٤) .

ب — وعن أنس أيضا رضى الله تعالى عنه قال : "ما مسست ديباجا (٥) ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لى قط أف ولا قال لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان ٣٢/١١ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب الكبر ٤٨٩/١٠ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب كيف يكون الرجل فى أهله ؟ ٤٦١/١٠ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب فى حسن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم ٧١/١٥ .

(٥) الديباج ثياب متخذة من الابريسم فارسى معرّب وقد تفتح داله . أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٩٧/٢ .

لم أفعله ألا فعلت كذا)[١] ٠

جـ — عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما قال : "لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحشا ولا متفحشا ، وكان يقول : " إن من خيار كم أحسنكم أخلاقا "[٢] ٠

د — عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة ٠ فنظرت إلى صفحة عاتق النبى وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ٠ ثم قال : يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك ٠ فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء"[٣] ٠

٧ : القدوة فى الرحمة والشفقة واللين :—

أ — عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال : أرسلت بنت النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إن ابنى قد احتضر فاشهدنا ٠ فأرسل يقرئ السلام ويقول : " إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شئ عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب " ٠ فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد ابن ثابت ورجال رضى الله عنهم ٠ فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب حسن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم ١٥/٦٩ ٠

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب كثرة حيائه صلى الله عليه وآله وسلم ١٥/٧٨

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فرض الخمس باب ما كان النبى يعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٦/٢٥١ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ومن يخاف على إيمانه إن لم يعط ٧/١٤٦ — ١٤٧ ٠

الصبى فأقعد ، فى حجره ونفسه تقعقع ففاضت عيناه . فقال سعد : يا رسول الله ما هذا؟ فقال : " هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده " . وفى رواية " فى قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " (١) (٢)

ب ـ وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قبّل النبى صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا . فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : " من لا يرحم لا يرحم " . (٣)

جـ ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : أتقبلون صبيانكم؟ فقال : نعم . قالوا : لكنا والله ما نقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة " . (٤)

د ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت : " إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم " . (٥)

---

(١) أى تضطرب وتتحرك أراد كلما صار إلى حال لم يلبث أن ينتقل إلى أخرى تقربه من الموت . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤/٨٨ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التوحيد باب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ ١٣/٣٥٨ .

، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنائز باب البكاء على الميت ٦/٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وآله وسلم وتواضعه ١٥/٧٦ ـ ٧٧ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وآله وسلم وتواضعه ١٥/٧٦ .

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التهجد باب تحريض النبى على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب ٣/١٠ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة الضحى ٥/٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

هـ — عن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال : يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك • فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء " • (١)

— وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : بال أعرابى فى المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه • فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : " دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين " (٢) (٣)

٨ : القدوة فى الصبر :

١ — عن أبى عبد الرحمن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : كأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحكى نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه يقول : (اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون) • (٤)

---

(١) سبق تخريجه • ص ١٤٥ •

(٢) السجل الدلو المملوء ماء • أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٣٤٤ •

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الوضوء باب صب الماء على البول فى المسجد ١/٣٢٣ •

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأنبياء ٦/٥١٤ •

ب — وعن ابن مسعود قال : لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناسا فى القسمة فاعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينه ابن حصن مثل ذلك وأعطى ناسا من اشراف العرب واثرهم يومئذ فى القسمة فقال رجل : والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله. فقلت : لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتيته فاخبرته بما قال. فتغير وجهه حتى كان كالصِّرف (١) ثم قال : " فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله ؟ ثم قال : يرحم الله موسى قد أوذى باكثر من هذا فصبر " (٢).

جـ — عن عروة بن الزبير قال سالت ابن عمرو بن العاص : أخبرنى باشد شئ صنعه المشركون بالنبى. قال : بينا النبى يصلى فى حجر الكعبة إذ اقبل عقبة ابن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا. فاقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى قال :﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله﴾ الآية (٣).

٩ : القدوة فى العفو :—

أ — عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه غزا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قفل معهم فادركتهم

---

(١) هو بالكسر شجر احمر يدبغ به الأديم. ويسمى الدم والشراب إذا لم يمزجا صرفا. والصرف الخالص من كل شئ. النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٢٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه ٧/ ١٥٧ — ١٥٨.

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب مناقب الأنصار باب ما لقى النبى وأصحابه من المشركين بمكة ٧/ ١٦٥ — ١٦٦.

القائلة[1] في واد كثير العضاه · فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى اللهعليه وآله وسلم تحت سمرة · فعلق بها سيفه ونمنا نومه فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال : إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً[2] · قال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله ثلاثاً ولم يعاقبه وجلس[3] ·

ب — وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد ؟ قال : " لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب[4] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك

---

(١) أي القيلولة : وهي الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم · النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٤/١٣٣ ·

(٢) أي مجردا · النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/٤٥ ·

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الجهاد باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ٦/٩٦ ·

(٤) هو قرن المنازل · ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لعبد الله بن عبد العزيز البكري (ت : ٤٨٧ هـ) ٣/١٠٦٧ ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت : ٧٣٩) ٣/١٠٨٢ ط ١ ، ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥م · دار المعرفة بيروت ·

الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت • إن شئت أطبق عليهم الأخشبين[1] • فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا " [2] •

١٠ : القدوة في الشجاعة :ـ

أ ـ عن أنس رضى الله عنه قال : " كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس " [3] •

ب ـ عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال لما سئل : " أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين ؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يفر إن هوازن كانوا قوما رماة وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يفر فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء وإن أبا سفيان آخذ بلجامها والنبي يقول : "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب " [4] •

جـ ـ عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم

---

(١) الأخشبان : تثنية أخشب : جبلان يضافان تارة إلى مكة ، وتارة إلى منى ، وهما واحد • أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان ، ويقال : بل هما أبو قبيس والجبل المشرف الأحمر هنالك • وقيل : هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى • معجم ما استعجم للبكرى ١/١٢٣ ـ ١٢٤ ، مراصد الاطلاع للبغدادى ١/٤٢ •

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد باب ما لقى النبي من أذى المشركين والمنافقين ١٢/١٥٤ ـ ١٥٥ •

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب الشجاعة فى الحرب والجبن ٦/٣٥ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب شجاعته صلى الله عليه وسلم ١٥/٦٧ •

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب من قاد دابة غيره ٦/٦٩ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد والسير باب غزوة حنين ١٢/١١٧ ـ ١١٨ •

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عرى وفي عنقه السيف وهو يقول : لم تراعوه لم تراعوا ثم قال : وجدناه بحرا . أو قال إنه لبحر (١) .

١١ : القدوة في الغضب اذا انتهكت محارم الله :ـ

أ ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما خيّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرها ما لم يأثم فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه والله ما انتقم لنفسه في شئ يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله (٢) .

ب ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه (٣) .

جـ ـ عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله وآله وسلم ومن يجترئ عليه إلا أسامه حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : " أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف

---

(١) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الجهاد باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق ٦/٩٥ .
، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب شجاعته صلى الله عليه وسلم ١٥/٦٧
(٢) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله ١٢ / ٨٦
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله ١٥ / ٨٣ .
(٣) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الأدب من لم يواجه الناس بالعتاب ١٠ / ٥١٣ .
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم ١٥ / ٧٨

تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها "(١).

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الحدود باب كراهية الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان ١٢/٨٧ .

خامسا : النصح بالسر دون العلانية :ـ

إن النصيحة معظم الدين وعماده وقوامه وأساسه بها تقوم مصالح العباد ، وبها تصلح الأحوال وتستقيم الأمور .

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معظم الدين وأكثره في النصيحة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم "(١) بل بايع بعض أصحابه عليها . عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم (٢).

قال النووي : (هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الاسلام) (٣) .

وقد كان كل رسول من رسل الله عليهم الصلاة والسلام يخبر قومه أنه ما جاء يريد ويبغى إلا نصحهم . قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ أبلغكم رسلت ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (٤) . وقال على لسان هود عليه السلام : ﴿ أبلغكم رسلت ربى وأنا لكم ناصح أمين ﴾ (٥) . وقال على لسان صالح عليه السلام : ﴿ فتولى عنهم وقال يلقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون النلصحين ﴾ (٦) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ٣٧/٢ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الايمان باب قول النبي : "الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ١٣٧/١ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الايمان باب بيان أن الدين النصيحة ٣٩/٢ .

(٣) شرح النووي على مسلم ٣٧/٢ .

(٤) الأعراف آية ﴿٦٢﴾ .

(٥) الأعراف آية ﴿٦٨﴾ .

(٦) الأعراف آية ﴿٧٩﴾ .

وقال على لسان شعيب عليه السلام :﴿ فتولى عنهم وقال يٰقوم لقد أبلغتكم رسٰلٰت ربى ونصحت لكم فكيف ءاسى على قوم كٰفرين ﴾ (١) .

وإن النصح فى السر دون العلانية أحد طرق الدعوة الناجحة المؤثرة الموجهة النافعة . وقد استخدمها الأنبياء عليهم السلام مع اقوامهم . فهذا نوح عليه السلام أبو الأنبياء يفصح عن منهجه فى الدعوة فيقول كما أخبر القرآن عنه : ﴿ قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً فلم يزدهم دعاءى إلا فرارا وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصٰبعهم فى ءاذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إنى دعوتهم جهارا ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) (٢) . فهو قد أخبر أنه نصحهم أولا فى السر ثم ثنى بالمجاهرة ثم ثلث بالجمع بين الاسرار والعلن .

قال القرطبى :(وهذا من نوح مبالغة فى الدعاء لهم وتلطف فى الاستدعاء) (٣) .

هذا وإن النصيحة فى السر تكون قريبة إلى إجابة المدعو لما فيها من مراعاة شعوره واللطف به قال أبوحيان :(وهذا هو حال من ينصح فى السر فإنه جدير أن يقبل منه) (٤) . وذلك لأن النصيحة سراً تؤدى الغرض المطلوب ، والمقصود الأعظم من النصح فهى تؤلف القلوب ، ولا توجد مجالا للنفرة والاختلاف . ذلك لأن المنصوح قد أخبر بعيبه بطريقة خفية ، ليس فيها تجريح أو فضح بين الناس .

---

(١) الأعراف آية ﴿٩٣﴾ .

(٢) نوح آية ﴿٥ ـ ٩﴾ .

(٣) جامع أحكام القرآن للقرطبى (ت : ٦٧١) . ١٨/٣٠١ .

(٤) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ٨/٣٣٩ .

وعلى عكس السر العلانية ، فان فيها فضحاً للمنصوح وإبرازاً لعيوبه أمام الآخرين.

وهذا ما لا يتحمله أكثر الناس . فيحصل عكس المراد من النصيحة فيتصلب المدعو ، وتأخذه العزة بالاثم ، والحمية والأنفة والكبر ، فيرفض كلام الداعية ، ويزيد من تمسكه بخطئه ويعاند ولهذا فإن معظم الناس يقبلون النصيحة ولكنهم لا يقبلون التشهير بهم

وقد قيل لبعض السلف : (أتحب أن يخبرك أحد بعيوبك ؟ فقال: إن كان يريد أن يوبخني فلا) (١) .

وما أحسن ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله في هذا المقام :—

تعمدني بنصحك في انفرادي ‏ ‏ ‏ وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع ‏ ‏ ‏ من التوبيخ لا أرضى استماعه

وإن خالفتني وعصيت قولي ‏ ‏ ‏ فلا تجزع إذا لم تعط طاعة (٢) .

إنه لا مجال في النصيحة سراً لحظوظ النفس والهوى والشيطان . فالناصح قد أدى ما عليه ، وامتثل أمر ربه ، ونصح سرا . فلم يداخله شئ من الرياء أو العجب أو الغرور. والمنصوح له اقتنع بالنصيحة وعمل بها لأنه نصح بطريقة حسنة وبالمعروف . إن من يقصد النصيحة يكون عمله خالصا لله موافقا للسنة صوابا . أما من يقصد الفضيحة فإنه لا يرقب في مؤمن إلاًّ ولا ذمة . فيفضح أخاه على رؤوس الأشهاد . وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك أيما تحذير وأشد ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم.

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير للامام ابن رجب الحنبلي ص ٣٨ تحقيق نجم الرحمن خلف ط المكتبة القيمة .

(٢) ديوان الإمام الشافعي للامام الشافعي ص ٥٦ . وعلق عليه محمد عفيف الزعبي دار الجيل ببيروت ط ٣ ١٣٩٢هـ/١٩٧٤م .

فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته • ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته " •
أخرجه احمد (١) وأبو داود (٢) والترمذي (٣) وقال حديث حسن غريب •

قال الإمام الشافعي : (من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه) (٤) • وقال الفضيل بن عياض : (المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيّر) (٥) • وكان يقال : (من أمر أخاه على رؤوس الأشهاد فقد عيّره) (٦) •

---

(١) مسند الامام أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال ٤ / ٤٢٠ ـ ٤٢١ •

(٢) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في الغيبة ٤ / ٢٧٠ والحديث حسن لوجود سعيد ابن عبد الله بن جريج وهو صدوق أنظر تقريب التهذيب ١ / ٢٩٩ •

(٣) سنن الترمذي بتحفة الأحوذي كتاب البر والصلة والآداب باب ما جاء في تعظيم المؤمن ٦ / ١٨٠ ـ ١٨١ • والحديث حسن لوجود يحى بن أكثم وأوفى بن دَلْهَم وهما صدوقان • أنظر تقريب التهذيب ٢ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ، ١ / ٨٦ •

(٤) شرح النووي على مسلم ٢ / ٢٤ •

(٥) الفرق بين النصيحة والتعيير للامام ابن رجب الحنبلي ص ٣٩ •

(٦) المرجع نفسه ص ٤٠ •

نماذج من النصيحة سرا دون العلانية :ـ

أولا : من الكتاب :

١ ـ قال تعالى : ﴿ قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصبعهم في ءاذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا ﴾ (١) .

فقد أبانت هذه الآيات الكريمات كيف أن نوحا عليه الصلاة والسلام قد استخدم أساليب متعددة ووسائل متنوعة لدعوة قومه ومن بينها النصح في السر دون العلانية وأكد على استخدامه لهذا الأسلوب بالمصدر ﴿ إسرارا ﴾ وذلك لما رأى في النصح سرا من مزايا وخصائص حيث إن الناصح سرا غالبا ما تقبل نصيحته قال الزمخشري : (قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد . فافتتح المناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنّى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والعلن) (٢) .

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ ألم تر الى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما انزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطن أن يضلهم ضللا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول

---

(١) نوح آية ﴿ ٥ ـ ٩ ﴾ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٤ / ١٦٢ . وأنظر مفاتيح الغيب للرازي ٣٠ / ١٣٦ .

رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا ﴾ (١) .

فقد أبانت هذه الآيات الكريمات ما كان من شأن المنافقين وأعمالهم وأمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى أن يعرض عنهم وأن يعظهم ويخوفهم ويزجرهم بأبلغ الزواجر فى السر والخلاء ليرتدعوا ويتزجروا فقال له : ﴿ وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا ﴾ . قال الزمخشرى : (قل لهم فى أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لأنها فى السر أنجع وفى الامحاض أدخل) (٢) . وقال الألوسى : (أى قل لهم خاليا لا يكون معهم أحد لأنه أدعى إلى قبول النصيحة . ولذا قيل : النصح بين الملأ تقريع) (٣) .

---

(١) النساء آية ﴿ ٦٠ ـ ٦٣ ﴾ .

(٢) الكشاف للزمخشرى ٥٣٧/١ . وأنظر مفاتيح الغيب للرازى ١٥٩/١٠ .

(٣) روح المعانى للألوسى ٦٩/٥ ط دار احياء التراث العربى .

ثانيا : من السـنة :

١ ـ عن سعد بن أبي وقاص قال : " أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رهطا وأنا جالس فيهم . فترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم رجلا لم يعطه ـ وهو أعجبهم إلى ـ فقمت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فساررته . فقلت : مالك عن فلان ؟ والله إنى لأراه مؤمنا قال أو مسلما . قال فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم فيه فقلت : يا رسول الله مالك عن فلان ؟ والله إنى لأراه مؤمنا قال أو مسلما . قال فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم فيه فقلت : يارسول الله مالك عن فلان ؟ والله إنى لأراه مؤمنا قال أو مسلما) . فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فجمع بين عنقى وكتفى ثم قال : " أقتالا أى سعد إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه " (١) .

قال النووى : (وفيه التأدب مع الكبار وأنهم يسارون بما كان من باب التذكير لهم والتنبيه ونحوه ولا يجاهرون به فقد يكون فى المجاهرة به مفسدة) (٢) .

٢ ـ عن عروة بن الزبير أن عبيد الله بن عدى بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : " ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه فقصدت لعثمان حتى خرج إلى

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب قول الله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس إلحافا ﴾ ٣/٣٤٠ ـ ٣٤١ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه إن لم يعط ٧/١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٢) شرح النووى على مسلم ٧/١٤٩ .

الصلاة . قلت : إن لى إليك حاجة وهى نصيحة لك . قال : يا أيها المرء منك . قال معمر : أراه قال أعوذ بالله منك فانصرفت فرجعت إليهما . إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال : ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله ولرسوله فهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت هديه وقد أكثر الناس فى شأن الوليد . قال : أدركت رسول الله ؟ قلت : لا ولكن خلص إلىّ من علمه ما يخلص إلى العذراء فى سترها . قال : أما بعد : فإن الله بعث محمدا بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين — كما قلت — وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبايعته فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله ثم استخلفت أفليس لى من الحق مثل الذى لهم ؟ قلت : بلى . قال : فما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم ؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله ثم دعا عليا فأمره أن يجلده فجلده ثمانين "(1) .

فقد بين النص كيف أن عبيد الله بن عدى بن الخيار اختار الطريق الأسلم والأنجع للنصح وهو أنه نصحه سرا فيما بينه وبين عثمان : "إن لى إليك حاجة وهى نصيحة " فاستجاب لها عثمان لأنها عرضت بطريق تقبله النفوس " أما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله ثم دعا عليا فأمره أن يجلد فجلده ثمانين " .

٣ — عن أسامه بن زيد رضى الله تعالى عنه قال : قيل له : "ألا تدخل على عثمان فتكلمه . فقال : أترون أنى لا أكلمه إلا أسمعكم . والله لقد كلمته فيما بينى وبينه ما دون أن

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عثمان بن عفان ٧/٥٣ .

أفتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه . ولا أقول لأحد يكون علىّ أميرا إنـــه خير الناس بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " يؤ تـــى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يـــدور الحمار بالرحا ، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يا فلان . مالك ؟ ألم تكـن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيـــه وانهى عن المنكر وآتيـــه " .(١)

قال النووى : (وفيه الأدب مع الأمراء ، واللطف بهم ، ووعظهم ســرا ، وتبليغهم ما يقول الناس لينتهوا عنه) .(٢)

---

(١) سبق تخريجه ص ١٣٥ .
(٢) شرح النووى على مسلم ٨/ ١١٨ .

سادسا : النصح بالتعريض دون التصريح :-

إن النصح بالتعريض دون التصريح أحد العوامل الحساسة المهمة لنجاح الداعية فى دعوته . فالنفوس البشرية مجبولة على الأنفة والكبر والاعتداد بالذات ، فهى لا تحب أن يواجهها أحد كائنا من كان بعيوبها صريحة مكشوفة لأنها تعتبر ذلك إهانة لها وتحقيرا ، فتلجأ إلى العناد والمحادة والمشاقة . ولا سبيل إلى كسر هذا إلا التعريض فى النصح فإن التعريض فى النصيحة يكون أوقع فى النفس وأكثر إرضاءً لغرور المدعو وأنفته وشعوره بكرامته وأوفق لظروف الحال . فيقبل النصيحة ويعمل بها لأنه أخبر بعيبه بطريقة غير مباشرة وبدون أن يفطن به أحد فيحاول علاج نفسه وإصلاحها .

قال الزركشى : (ووجه حسنه — أى التعريض — ظاهر لأنه يتضمن إعلام السامع على صورة لا تقتضى مواجهته بالخطاب المنكر كأنك لم تعنه وهو أعلى محاسن الأخلاق وأقرب للقبول وادعى للتواضع)(١) . وقال الطيبى : (ووجه حسنه إسماعُ من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرح بنسبته للباطل، والاعانةُ على قبوله إذ لم يرد له إلا ما أراد لنفسه)(٢) .

فالتعريض اذاً يؤدى الغرض المطلوب والهدف المقصود من النصيحة وهو قبول النصيحة مع تآلف القلوب وعدم نفرتها ولذا فلا عجب أن قال الزمخشرى : (يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح)(٣) .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٢ / ٣١٣ .

(٢) معترك الاقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ١ / ٢٩٢ . ط دار الفكر العربى .

(٣) الكشاف للزمخشرى ٣ / ١١٦ .

هذا وقد جعل الامام الغزالى رحمه الله (من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ . فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار).(١)

وإننا لنجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد استخدما هذا الأسلوب فى النصيحة . فنجد إشارات يفهم صاحبها أنه هو المراد فيحاول علاج نفسه وإصلاحها دون أن يفطن له أحد أو يعلم به إنسان . ففى القرآن نجد : ﴿ ألم تر إلى الذين ...﴾ . و : ﴿ أرأيت الذى .... ﴾ . وغيرها من الآيات التى تتضمن النصح بالتعريض دون التصريح .

وفى السنة النبوية الشريفة نجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول دائما : " ما بال أقوام ... " .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ١/ ٥٢ .

نماذج على التعريض دون التصريح :ـ

أولا : من الكتـاب :

١ ـ قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوٰة وءاتوا الزكوٰة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية اللـه أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قـل متـٰع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾ (١) . فهـذه الآيات تعرض بهؤلاء الذين قيل لهم هذا القول فلم يبادروا إلى الاستجابـة بل تعللوا بعلل الخوف والحرص على الحياة . فتضى الآيات تصحح لهـم ولغيرهم سوء التصور والادراك لحقائق الموت والحياة والأجل والقدر والخير والشر والنفع والضر والكسب والحياة والموازين والقيم لتدلهم هم وغيرهم علـى الوجه الصحيح والنظرة الصائبة للأمور .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ وإنا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلـٰل مبين ﴾ (٢) . قال ابـن قتيبة : (والمعنى إنا لضالون او مهتدون وإنكم أيضا لضالون أو مهتـدون . وهو جل وعز يعلم أن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم المهتدى وأن مخالفـه الضال وهذا كما تقول للرجل يكذبك ويخالفك : إن أحدنا لكاذب وأنـت تعنيه فكذبته من وجه هو أحسن من التصريح) (٣) .

---

(١) النساء آية ﴿ ٧٧ ﴾ .

(٢) سبا آية ﴿ ٢٤ ﴾ .

(٣) تاويل مشكل القرآن لابن قتيبه ص ٢٦٩ وأنظر البرهان فى علوم القـرآن ٣١٣/٢ .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوٰة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير ﴾ (١) .

قال الزركشي : (المقصود التعريض بذم من ليست له هذه الخشية وأن يعرف أنه لفرط عناده كأنه ليس له أذن تسمع ولا قلب يعقل وأن الانذار له كلا إنذار) (٢) .

٤ ـ قال تعالى : ﴿ أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ (٣)

وهذه الآيات وان نزلت في شان أبي جهل فهي مع ذلك عامة في كل طاغية ياتي بعد ذلك الى قيام الساعة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولهذا نجد الاسلوب القرآني قد آثر التعبير بهذه اللفظة ﴿ أرأيت ﴾ التي تفيد العموم والتعريض بدل التخصيص والتصريح .

٥ ـ قال تعالى : ﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ﴾ (٤) .

وهذه الآيات تبين أن الذي يكذب بالدين ليس شخصا بعينه وإنما هو كل من يدع اليتيم ويزجره ولا يحض على طعام المسكين . إنه خطاب يلمس قلب كل واحد من المخاطبين قد يكون بعضهم مقصودا والبعض الآخر ليس مقصودا بذاته وإنما هذا هو الأسلوب القرآني يخاطب بالتعريض دون التصريح لينصح الجميع ويعظ الكل فمن كانت فيه عرف نفسه فأصلحها وقومها ومن لم تكن فيه حاول الابتعاد عنها وعدم الوقوع فيها .

(١) فاطر آية ﴿ ١٨ ﴾ .
(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/٣١٤ .
(٣) العلق آية ﴿ ٩ ـ ١٤ ﴾ .
(٤) الماعون آية ﴿ ١ ـ ٣ ﴾ .

ثانيا : من السـنة :

١ ـ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : رخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أمر فتنزه عنه ناس من الناس فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فغضب حتى بان الغضب فى وجهه ثم قال : " ما بال أقوام يرغبون عما رخّص لى فيه فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية " (٢) .

قال النووى : (وفيه الحث على الاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم) (٣) .

وقال أيضا : (وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزير والانكار فى الجمع ولا يعين فاعله فيقال : ما بال أقوام ونحوه) (٤) .

٢ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن نفرا من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم : سألوا أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن عمله فى السر فقال بعضهم : لا أتزوج النساء . وقال بعضهم : لا آكل اللحم . وقال بعضهم : لا أنام على فراش . فحمد الله وأثنى عليه فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ولكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى " (٥) .

---

(١) أى تركوه وأبعدوا عنه ولم يعملوا بالرخصة فيه . أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤٣/٥ .

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب ٥١٣/١٠ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته ١٠٦/١٥ ـ ١٠٧ .

(٣) (٤) شرح النووى على مسلم ١٠٧/١٥ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم ١٧٥/٩ ـ ١٧٦ .

قال النووى فى شرحه : (وهو موافق للمعروف من خطبه فى مثل هذا أنه إذا كـره شيئا فخطب له ، ذكر كراهيته ولا يعين فاعله وهذا من عظيم خلقه صلى الله عليه وآله وسلم فإن المقصود من ذلك الشخص وجميع الحاضرين وغيرهم ممن يبلغه ذلك ولا يحصل توبيخ صاحبه فى الملأ) (١) .

قلت : وفيه عدم مواجهة المدعو بالنقد والعتاب والملامة ، حتى لا تتأثر نفسيته وتحدث أمور عكسية ليست فى الحسبان قد تؤدى إلى اثارة الشكوك وحصول الضغينة والبغضاء ، وظهور العداوة والخلاف .

٣ — عن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا من الأسد . يقال له ابن اللتبية على الصدقة . فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى لى . قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : " ما بال عامل أبعثه فيقول : هذا لكم وهذا أهدى لى . أفلا قعد فى بيت أبيه أو فى بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا . والذى نفس محمد بيده ، لا ينال أحد منكم شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء (٢) أو بقرة لها خوار (٣) أو شاة تيعر (٤) ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى (٥) إبطيه ثم قال : اللهم هل بلغت مرتين (٦) . "

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٧٦/٩ .
(٢) الرغاء صوت الابل . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢٤٠/٢ .
(٣) الخوار صوت البقـرة . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٨٧/٢ .
(٤) أى تصيح . النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٩٧/٥ .
(٥) العفرة بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفر الأرض وهو وجهها . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢٦١/٣ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الامارة باب تحريم هدايا العمال ٢١٨/١٢ـ٢١٩

٤ — عن عبد الله بن عمر وأبي هريره رضى الله عنهم أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على أعواد منبره : " لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات(١) أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين "(٢) .

٥ — عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ؟ فاشتد قوله في ذلك حتى قال : لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم "(٣) .

٦ — عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يخطب الناس يوم الجمعة إذ دخل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فعّرض به عمر فقال : ما بال رجال يتأخرون بعد النداء؟ فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت . فقال عمر : والوضوء أيضا . ألم تسمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل "(٤) .

---

(١) تركهم إياها والتخلف عنها . أنظر النهاية في غريب الحديث ٥/١٦٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجمعة باب التغليظ في ترك الجمعة ٦/١٥٢ .

(٣) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الأذان باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة ٢/٢٣٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصلاة باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة . ٤/١٥٢ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجمعة باب في غسل الجمعة ٦/١٣١

سابعا : الدعوة باستعمال اللين فى موضع اللين :

إن الداعية الحكيم هو الذى يقيس الأمور بمقياسها الصحيح ويزن الأمور بميزانها السليم ويعرف أى الأساليب يستخدم ومتى يستعمل ذلك الأسلوب ؟ وكيف يستعمله ؟ .

ومن الأساليب المهمة فى عرض الدعوة عرضا شيقا مفيدا ، بل هو الأساس الذى قامت عليه الدعوة إلى الله عز وجل أسلوب اللين . والمراد منه : عرض الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإسداء النصيحة بأسلوب جميل مؤثر يفتح القلوب ويشرح الصدور ويحمل الآخرين على الاستماع والاستجابة ذلك أن الغرض الأسمى من دعوة الداعية هو استجابة المدعو وطاعته وامتثاله للأمر ، وهذا المقصود العظيم لا يتحقق ولا يحصل إلا باللين والمعاملة الحسنة والأدب الجميل والخلق الرفيع الرصين والتجافى عن سوء الخلق وخشونة الجانب كما قال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ (١) قال سيد قطب : (فالناس فى حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة ، وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم . فى حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمة . ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية ، والعطف والسماحة ، والود والرضاء . وهكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) (٢).

وقد أمر الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام أن يذهبا إلى فرعون عليه لعنة

---

(١) آل عمران آية ﴿١٥٩﴾ .

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب ١/٥٠٠ ـ ٥٠١ .

الله فيد عواه ويترفقا فى دعوته إلى الله عز وجل بالقول اللين الحسن الشيّق الجذاب. لأنه باللين ترنو القلوب إلى الداعية ، وتتعلق النفوس به ، وتقبل عليه. وليكون ذلك أوقع فى نفس فرعون وأرضى لغروره وكبريائه وأدعى لقبوله واستجابته. فقال تعالى : ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ﴾[1] حكمة بالغة ، وعبرة عظيمة ، وعظة بليغة ، وتعليم وإرشاد من الله القوى العزيز الحكيم. كلماه وخاطباه بالرفق من غير خشونة ولا تعنيف. ويسرا ولا تعسرا . وبشرا ولا تنفرا . فإن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه . وقد استجاب موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة وازكى التسليم فعرض دعوته على فرعون عرضا جميلا بأسلوب الطلب والعرض لا بالأمر والنهى كما قال تعالى : ﴿ هل أتىك حديث موسى إذ ناديه ربه بالواد المقدس طوى اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾[2]

إن الداعية إذا استعمل أسلوب اللين والرفق فى دعوته فإنه يحصل على مرغوبه ويظفر بمطلوبه وتلقى دعوته القبول والاجابة وتحفظ له فى الصدور مكانه وفى القلوب قدرا ورفعة . قال القرطبى : (فإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولا لينا فمن دونه أحرى بأن يقتدى بذلك فى خطابه وأمره بالمعروف فى كلامه)[3] . قال ابن كثير : (هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون كان فى غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك. ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين)[4] .

---

(١) طه آية ﴿ ٤٤ ﴾ .
(٢) النازعات آية ﴿ ١٥ ـ ١٩ ﴾ .
(٣) جامع أحكام القرآن للقرطبى ٢٠٠/١١ .
(٤) تفسير ابن كثير لابن كثير ١٥٣/٣ .

أقول : فينبغى للدعاة الى الله أن يسلكوا هذا المنهج منهج استعمال اللين والرحمة فى دعوتهم للآخرين ۰ إن اللين والرحمة ومعاملة الناس بالحسنى ، والاحسان والتودد إليهم بكل وسيلة مشروعة وقضاء حوائجهم ، وتفقد غائبهم ، وزيارة مريضهم ، والسؤال عن أحوالهم كل هذا له أثره البالغ فى اجتذاب القلوب وكسب الأنصار ورسوخ محبة المدعو وقبوله للموعظة ۰ وصدق رسول الله صلى الله وآله وسلم حين قال : " إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه " ۰ (١)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " من يحرم الرفق يحرم الخير " (٢) ۰ وأخبرت عائشة عن حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وآسله وسلم لنفسه فى شئ قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى " ۰ (٣)

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصى الدعاة الذين يرسلهم إلى الآفاق باللين فى الدعوة والتيسير بدل التعسير ۰ فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن : " يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا " (٤) ۰ وقال صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الرفق ١٦/ ١٤٦ — ١٤٧ ۰

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الرفق ١٦/ ١٤٥ ۰

(٣) سبق تخريجه ۰ انظر ص ١٥١ ۰

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب ما يكره من التنازع والاختلاف فى الحرب ٦/ ١٦٢ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ١٢/ ٤١ ۰

مخبرا عن نفسه : " إن الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلماً ميسرا " (١) . هدى الله الدعاة إلى استعمال أسلوب اللين والرحمة والشفقة فى دعوتهم لعباد الله . حتى يكون لدعوتهم قبولا وأثرا محمود فى إقبال الناس عليهم واستماع نصحهم وإرشادهم وتوجيهاتهم .

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير المرأة لا يكون إلا بالنية ١٠/٨١ .

نماذج على اللين موضع اللين :—

أولا : من الكتـــاب :

١ ـ قال تعالى : ﴿ واذكر فى الكتب إبراهيـم إنه كان صديقا نبيا • إذ قال لأبيـه يـأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شـــيئا • يـأبت إنى قـد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهد ك صراطا سـويا يـأبت لا تعبد الشـيطان إن الشيـطان كـان للرحمن عصيا يـأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمـن فتكون للشـيطان وليا ﴾(١) •

ففى الآيات بيان : كيف أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يستعمل مع أبيـه العنف والشدة ، والغلظة والقسوة ، وإنما أورد عليه النصائح والدلائل بأسلوب هين لين سهل وصدر كلا منها بالنداء الحبيب " يا أبت " المتضمن للرفـــق واللين استمالة لقلب أبيه وامتثالا لأمر ربه (يا أبت) ليبين لأبيه عن شدة محبته له ورغبته فى صونه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب • وهكذا الداعية إلى الله لابد أن يكون رفيقا لطيفا هينا لينا سهلا يورد الكلام لا على سبيل العنـــف والشدة والزجر والقسوة لأن إيراده على هذا السبيل يترتب عليـــه إعـراض المدعو عنه فيكون قد سعى فى الحقيقة إلى اغوائه واضلاله بدلا من هدايتـــه وإسعاده ، قال الزمخشرى : (انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كـان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذى عصى فيه أمر العقلاء ، كيف

---

(١) مريـــم آية ﴿٤١ ـ ٤٥﴾ •

رتب الكلام معه فى أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحا فى ذلك بنصيحة ربه عز وعلا • فطلب منه أولا أن يبين العلة من عبادته لهذه الأصنام طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه ، وذلك لأن العبادة هى غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحى المميت المثيب المعاقب الذى منه أصول النعم وفروعها ، ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إن معى طائفة من العلم وشيئا منه ليست معك فاتبعنى أنجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن بين له أن الشيطان عدو له لا يريد به إلا كل هلاك وخزى ونكال • ثم ربّع بتخويفه سوء العاقبة وعما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لا حق له وأن العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أتباعه وأوليائه أكبر من العذاب • وقد صدر كل نصيحة من هذه النصائح الأربع بقوله يا أبت توسلا إليه واستعطافا) (١) اهـ بتصرف •

٢ ـ قال تعالى : ﴿ودخل معه السجن فتيان • قال أحدهما إنى أرينى أعصر خمرا وقال الأخر إنى أرينى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نرىك من المحسنين ، قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما • ذلكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم

---

(١) الكشاف للزمخشرى ٢/٢٢٥ ـ ٢٢٦ ط ٢ ١٣١٨هـ • المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية •

كـٰفرون واتبعت ملة ءاباءى إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكنّ اكثر الناس لا يشكرون يٰصٰحبى السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها انتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون • يصٰحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الأخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان ﴾ (١)

فقد ابانت هذه الآيات كيف أن يوسف عليه السلام لم يغفل عن الدعوة لدينه مع انه فى السجن بل استغل الموقف وأخذ يشرح فى تلطف ولين ورفق مبادئ دعوته مستغلا الموقف احسن استغلال مدركا لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها وصدر نصيحته الخالصة بقوله ﴿ يٰصٰحبى السجن ﴾ فهناك علاقة بينى وبينكم وأنا لا أريد إلا مصلحتكما فقد علمتم سيرتى ورأيتم صلاحى ومبلغ علمى • قال سيد قطب: (مدخل لطيف وخطوة خطوة فى حذر ولين ثم يتوغل فى قلبيهما أكثر وأكثر ويفصح عن عقيدته ودعوته إفصاحا كاملا ويكشف عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما وفساد ذلك الواقع النكد الذى يعيشون فيه) بعد ذلك التمهيد الطويل ﴿ يٰصٰحبى السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها أنتم وءاباؤكم ما انزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه • ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة كل معالم هذا الدين وكل مقومات هذه العقيدة كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزا شديدا عنيفا ﴿ يٰصٰحبى السجن ءأرباب

---

(١) يوسف آية ﴿ ٣٦ ـ ٤١ ﴾ •

متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ • إنه يتخذ منهما صاحبين ويتحبب إليهما بهذه الصفة المؤنسة ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة) •(١)

٣ — قال تعالى : ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يبنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلىّ ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يبنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير يبنى أقم الصلوٰة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ •(٢)

فقد أبانت الآيات الكريمات كيف أن لقمان الحكيم قد نصح ولده واستعمل معه أسلوب اللين والرحمة وصدّر كل توجيه من توجيهاته ببيان الرابطة التى تربطه به ﴿يبنى﴾ ولذا فإنى لا أريد لك إلا الخير •

قال سيد قطب : (وإنها لعظة غير متهمة فما يريد الوالد لولده إلا الخير وما يكون الوالد لولده إلا ناصحا • وهذا لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك ويعلل هذا النهى بأن الشرك ظلم عظيم ويؤكد هذه الحقيقة مرتين مرة بتقديم النهى وفصل علته ومرة بان واللام وهذه هى الحقيقة التى يعرضها محمد صلى الله عليه وسلم على قومه فيجادلونه فيها ، ويشكون فى غرضها من وراء عرضها ويخشون أن يكون وراءها انتزاع السلطان منهم والتفضل عليهم! فما القول ولقمان الحكيم يعرضها على ابنه ويأمره بها ؟ والنصيحة من الوالد لولده مبرأة من كل شبهة

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ١٩٩٩/٤ •

(٢) لقمان آية ﴿١٢ — ١٩﴾ •

بعيدة من كل ظنّة (١) ؟ ألا إنها الحقيقة القديمة التى تجرى على لسان كل من آتاه الله الحكمة من الناس يراد بها الخير المحض ولا يراد بها سواه وهذا هو المؤثر النفسى المقصود (٢)) •

٤ ـ قال تعالى عن مؤمن يس : ((وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يـٰقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ءأتخذ من دونه ءالهة إن يردن الرحمٰن بضر لا تغنى عنى شفٰعتهم شيئا ولا ينقذون إنى إذا لفى ضلٰل مبين إنى ءامنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يـٰليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين)) (٣) •

٥ ـ وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون : ((وقال الذى ءامن يـٰقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يـٰقوم إنما هذه الحيوٰة الدنيا متـٰع وإن الأخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صلٰحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولـٰئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويـٰقوم مالى أدعوكم إلى النجوٰة وتدعوننى إلى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفٰر لا جرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الأخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحٰب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد)) (٤) •

فقد أبانت الآيات الكريمة : أن كلا من مؤمن يس وآل فرعون حاولا أن يستميلا

---

(١) الظنة : أى التهمة • انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣/١٦٣ •

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٥/٢٧٨٨ •

(٣) يس آية ((٢٠ ـ ٢٧)) •

(٤) غافر آية ((٣٨ ـ ٤٤)) •

قلوب أقوامهم وعواطفهم نحوهما فخاطبوهم بنداء يشعرونهم فيه أن هناك رابطة تجمعهم وصلة تربطهم « يٰقوم » فنحن منكم وانتم منا يشعرونهم أن أمرهم يهمهما فهما منهم ومصيرهما مصيرهم وما هما فى الحقيقة إلا ناصحان لهم مشفقان عليهم فلعل هذا الشعور يجعلهم ينظرون إلى كلامهم باهتمام ويأخذونه مأخذ البراءة والاخلاص . وهذا هو فى الأصل منهج الأنبياء جميعا . لقد كانوا يظهرون هذه الصلة فنوح عليه السلام قال لقومه : « يٰقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »(١) .

وهود عليه السلام قال لقومه : « يٰقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره »(٢) .

وصالح عليه السلام قال لقومه : « يٰقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره »(٣) .

وشعيب عليه السلام قال لقومه : « يٰقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره »(٤) .

وهكذا كان كل نبى من أنبياء الله يبعثه الله إلى قومه يخاطب قومه مبرزا لهذه الصلة التى تربطهم به علّ قلوبهم تلين وأفئدتهم تستجيب وعقولهم تستنير .

---

(١) الأعراف آية « ٥٩ » .

(٢) الأعراف آية « ٦٥ » .

(٣) الأعراف آية « ٧٣ » .

(٤) الأعراف آية « ٨٥ » .

ثانيا : من السنة :

١ — **عن** معاوية بن الحكم السلمى قال : بينا أنا أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ عطس رجل من القوم • فقلت : يرحمك الله• فرمانى القوم بأبصارهم فقلت : واثكل أمياه (١) ما شأنكم تنظرون إلى ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم! فلما رأيتهم يصمتوننى لكنى سكت • فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبأبى هو وأمى ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ماكهرنى (٢) ولا ضربنى ولا شتمنى • قال : " إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم • قلت يارسول الله : إنى حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالاسلام وإن منا رجالا يأتون الكهان • قال : فلا تأتهم• قلت : ومنا رجال يتطيرون (٣) • قال : ذاك شىء يجدونه فى صدورهم فلا يصدنهم " رواه مسلم (٤) •

قال النووى : (فيه بيان ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عظيم الخلق الذى شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم

---

(١) الثكل : أى الفقد • وهو لم يرد حقيقة هذا الدعاء إنما هذا كان جاريا على لسان العرب كقولهم تربت يداك• قاتلك الله • أنظر النهاية فى غريب الحديث ٢١٧/١ •

(٢) الكهر : الانتهار وقد كهره يكهره إذا زبره واستقبله بوجه عبوس والمراد أى ما نهرهولا عبس فى وجهه • أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤ / ٢١٢ •

(٣) أى يتشاءمون ببعض الطيور • النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣ / ١٥٢ •

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام فى الصلاة ٥ / ٢٠ — ٢٢ •

وفيه التخلق بخلقه صلى اللهعليه وآله سلم في الرفق بالجاهل وحسن تلعيمه واللطف به وتقريب الصواب الى فهمه)[(١)].

٢ — عن أبي هريرةرضي الله تعالى عنه قال : بال أعرابي في المسجد فقام اليه الناس ليقعوا فيه . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ".

رواه البخاري[(٢)] وفي رواية ابن ماجه انه قال : " بأبي وأمي فلم يؤنب ولم يسب. فقال : " ان هذا المسجد لا يبال فيه انما بني لذكر الله وللصلاة " ثم أمر بسجل من ماء فأفرغ على بوله[(٣)].

٣ — وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليهوآله وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدةجذبته . ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء[(٤)].

---

(١) شرح النووي على مسلم ٥ / ٢٠ .

(٢) سبق تخريجه . انظر ص ١٤٧ .

(٣) سنن ابن ماجه لابن ماجه بتحقيق محمد مصطفى الاعظمي ١ / ٩٩ ، ط ١ ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م . مطبعة شركة الطباعة العربية السعودية .

(٤) سبق تخريجه انظر ص ١٤٥ .

٤ — عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن آثال فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج إليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : " ماذا عندك يا ثمامه ؟ فقال : عندى خير . يا محمد إن تقتلنى تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت . فترك حتى كان الغد ثم قال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال ، إن تنعم تنعم على شاكر : فتركه حتى كان بعد الغد فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : عندى ما قلت لك . فقال : اطلقوا ثمامة . فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . يا محمد والله ما كان على الأرض وجه ابغض إلىّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىّ . والله ما كان من دين ابغض إلى من دينك فاصبح دينك احب الدين إلىّ . والله ما كان من بلد ابغض إلىّ من بلدك فاصبح بلدك أحب البلاد إلىّ . وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ قال : لا والله ولكن اسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم " .(١)

قال ابن حجر : (فيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى اذا كان فى ذلك مصلحة للاسلام ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه) .(٢)

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب المغازى باب وفد ابى حنيفة وحديث ثمامة بن آثال ٨/٨٧ .

(٢) فتح البارى ٨/٨٨ .

٥ ــ عن ابن شهاب قال : غزا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم غزوة الفتح فتح مكة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين فنصر الله دينه والمسلمين وأعطى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يومئذ صفوان ابن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة • قال ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اعطاني وإنه لأبغض الناس إلىّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلىّ) • (١)

٦ ــ عن أبي أمامة الباهلي رضى الله تعالى عنه قال : ان فتى شابا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه فقال صلى الله عليه واله وسلم : " أدنه فدنا منه قريبا قال : فجلس قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك • قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم • قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك • قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم • قال أفتحبه لأختك ؟ قال لا والله جعلني الله فداك • قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم • قال : أفتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك • قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم • قال : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك • قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شئ " (٢)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب فى سخائه صلى الله عليه واله وسلم ٧٣/١٥ •

(٢) مسند الامام احمد وبهامشه منتخب كنز العمال ٢٥٦/٥ ــ ٢٥٧ مسند أبى أمامه ط• دار صادر للنشر والطباعة•
وانظر الفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيبانى كتاب الحدود أبواب حد الزنا باب ما جاء فى التنفير من الزنا ووعيد فاعله ٧٠/١٦ ــ ٧١ قال =

فقد أبانت هذه النصوص المتضافرة ما ينبغى للداعية أن يتحلى به من اللين فى المعاملة والرفق بالمدعوين • وأن يكون متحليا بالخلق الطيب الرقيق الرحيم ، وبالوجه البشوش المتواضع • ليستطيع من خلال ذلك أن يملك قلوبهم ، ويسيطر على عواطفهم ، ويسير بها نحو الايمان والكمال •

= الشيخ احمد البنا الساعاتى وسنده عند الامام احمد جيد •
وقال العراقى : رواه احمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح • أنظر احياء علوم الدين بتخريج الحافظ العراقى ١١/٥٤ • والحديث صحيح لأن رجاله ثقات وسنده متصل •

ثامنا : الدعوة باستعمال الشدة موضع الشدة :

إن اللين والرفق ومعاملة الناس بالحسنى والتودد إليهم وكسب قلوبهم هو الأساس في الدعوة إلى الله كما تبين مما سبق ولكن في بعض الأحوال والظروف تكون الشدة انسب وأوقع وأعمق أثرا ، ومسألة تقدير هذا الأمر متروك لحكمة الداعية وفطنته وحسن كياسته للأمور ، ومن هنا كان لزاما على الداعية أن يقدر للأمور قدرها ويعطى كل موقف حقه من اللين والرفق او الشدة والحزم ، والشدة أحيانا تكون من الشفقة والاحسان .

قال الشاعر :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما

فليقس أحيانا على من يرحم (١)

قال بعض المفسرين (٢) في قوله تعالى : ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ إن القول الحسن ليس هو عبارة عن القول الذى يشتهيه المدعو ويوافق هواه ويحبه بل القول الحسن هو الذى يحصل انتفاعه به سواء حصل عن طريق اللين والرفق أو الشدة والحزم وعلى هذا قد تكون الشدة من القول الحسن . (٣)

إن الشدة موضع الشدة ترد الأمور إلى نصابها وتبين قدر كل شيء وتضع الأمور في وضعها الطبيعي اللائق بها . لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم لين المعاملة حسن العريكة متواضعا حليما يتودد إلى أصحابه ويرفق بهم ويحسن

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ١١٢١/٣ .

(٢) البقرة آية ﴿٨٣﴾ .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ١٦٨/٣ .

معاملتهم يزور مريضهم ويتفقد غائبهم ويشيع ميتهم ويقبل هداياهم ويتحبب إليهم، وما انتقم لنفسه قط كان يصفح ويعفو لكن إذا تجاوزت الأمور حدها إلى اهمال حق من حقوق الله أو انتهاك حرمة من حرمات الله فإنه يغضب أشد الغضب وينتقم أشد الانتقام • عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها " (١) •

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى عليه وآله وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه • (٢)

إن استخدام أى من الشدة أو اللين هو أمر — كما قلت — متروك لحنكة الداعية وحكمته وحسن كياسته وتصرفه فى الأمور وبعد نظره • فقد يرى أن اللين لبعض الناس أنفع من الشدة والشدة لبعض الناس أنفع من اللين • أو قد يرى أن اللين فى بعض المواطن والمواقف يكون مناسبا وأن الشدة فى بعض المواطن والمواقف تكون مناسبة • ومن الشدة الهجر وللهجر أحكام قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : (وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين فى قوتهم وضعفهم وقلتهم

---

(١) سبق تخريجه انظر ص ١٥١ •

(٢) سبق تخريجه انظر ص ١٥١ •

وكثرتهم فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله ، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان — أي الهجر — مشروعاً . وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك ، بل يزيد الشر والهاجر ضعيف ، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحاً على مصلحته لم يشرع الهجر) [١] . وقال أيضاً : (فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأموراً بها) [٢] . ومن هنا يتبين أن ما يفعله بعض الدعاة اليوم من الشدة والقسوة في معاملتهم للآخرين لهو من الأخطاء التي ينبغي أن تصحح وفق ما ذكره أئمتنا الأعلام رحمهم الله ، إذ كان نتيجة تصرفهم هذا نفرة الناس عنهم ، وعدم استجابتهم لهم ، وزيادة الشر وانتشار الفساد . فعلى هؤلاء الدعاة أن يراجعوا أنفسهم وأن يفهموا حقيقة المراد من أحاديث الهجر والبغض في الله كما فهمها سلفهم الأوائل من العلماء الأماجد رحمهم الله . قال ابن تيمية بعد كلامه السابق : (وإذا عرف هذا فالهجرة الشرعية هي من الأعمال التي أمر الله بها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . فالطاعة لابد أن تكون خالصة وأن تكون موافقة لأمره فتكون خالصة لله صواباً . فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجراً غير مأمور به كان خارجاً عن هذا وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله) [٣] ثم قال : (فينبغي أن يفرق بين الهجر لحق الله وبين الهجر لحق نفسه فالأول مأمور به والثاني منهي عنه) [٤] . فليتدبر الأخوة الدعاة الفرق بين الهجرتين فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر . وأيضاً يجب على الداعية إذا اشتد أن لا ينسى حق الله وحق المدعو فيطلق لسانه بما شاء وكيفما اتفق ، بل كما قال الغزالي رحمه الله : (ولهذه الرتبة أدبان : أحدهما : أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثاني : أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه ، فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه ، بل يقتصر على قدر الحاجة) [٥] .

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ٢٨/٢٠٦ .
(٢) المرجع نفسه ٢٨/٢٠٢ .
(٣) المرجع نفسه ٢٨/٢٠٧ .
(٤) المرجع نفسه ٢٨/٢٠٧ — ٢٠٨ .
(٥) إحياء علوم الدين للغزالي ٧/٤٧ . المجلد الثالث .

نماذج على الشدة موضع الشدة :

أولا : من الكتـاب :

١ — قال تعالى : ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا ﴾ (١) .

فقد أبانت الآيات كيف أن الله قد أذاق المؤمنين طعم الهزيمة يوم أحد حيث قتل منهم سبعون وولوا الأدبار وذلك كله كان بسبب مخالفتهم لأمر الرسول وتركهم طاعته . وبينت أيضا أن ما حدث كان بإذن الله وأمره وعلمه تربية لهم وتوجيها وإرشادا قال الرازى : (قوله: ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ وفيه مسائل : المسألة الأولى : تقرير هذا الجواب من وجهين الأول : أنكم إنما وقعتم فى هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك لأنهم عصوا الرسول فى أمور : أولها : أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : " المصلحة فى أن لا نخرج من المدينة بل نبقى ههنا " وهم أبوا إلا الخروج فلما خالفوه توجه إلى أحد . وثانيا : ما حكى الله عنهم من فشلهم . وثالثها : ما وقع بينهم من المنازعة . ورابعها : أنهم فارقوا المكان وفرقوا الجمع . وخامسها : اشتغالهم بطلب الغنيمة واعراضهم عن طاعة الرسول عليه السلام فى محاربة العدو . فهذه الوجوه كلها ذنوب ومعاصى والله تعالى إنما وعدهم النصر بشرط ترك المعصية كما قال : ﴿ إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ﴾ فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط) (٢)

---

(١) ال عمران آية ﴿ ١٦٥ — ١٦٧ ﴾ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازى ٩ / ٨٢ ط ١ المطبعة البهية المصرية .

فعاقبهم الله تعالى بهذا تربية لهم وتوجيها إلى طاعة القائد والتزام امره وعدم مخالفته .

٢ — وقال تعالى : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ارضيتم بالحيوٰة الدنيا من الآخرة فما متـٰع الحيوٰة الدنيا فى الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شئ قدير ﴾ (١) .

قال ابن كثير : (هذا شروع فى عتاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة تبوك حين طابت الثمار والظلال فى شدة الحر (٢) وحمارة القيظ (٣)) فقد عاتب الله المؤمنين على تثاقلهم ولزوم أرضهم ومساكنهم وعدم خروجهم إلى الجهاد فى سبيل الله . ثم انكر عليهم ذلك فى أسلوب انكارى شديد : ﴿ أرضيتم بالحيوٰة الدنيا من الآخرة ﴾ اى مالكم فعلتم هكذا . أهو رضا منكم بالدنيا بدلا من الآخرة ثم زهدهم فى الدنيا ورغبهم فى الآخرة ببيان حقيقة متاع الدنيا إلى الآخرة : ﴿ فما متـٰع الحيوٰة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ﴾ . ثم اشتد عليهم وتوعدهم بالعذاب الأليم واستبدالهم بقوم آخرين يطيعون الله ورسوله وينفرون إذا استنفروا ويجاهدون فى سبيل الله . قال الطبرى : (يقول الله تعالى ذكره للمؤمنين به من اصحاب رسوله متوعدهم على ترك النفير إلى عدوهم من الروم : إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله يعذبكم الله عاجلا فى الدنيا بترككم النفر إليهم عذابا موجعا : ﴿ ويستبدل قوما غيركم ﴾ يقول : يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم ينفرون إذا استنفروا ، ويجيبونه إذا دعوا ،

---

(١) التوبـــة آية ﴿ ٣٨ — ٣٩ ﴾ . (٢) أى شدة الحرة . النهاية ٤، ١٣٢/
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٧

ويطيعون الله ورسوله : ﴿ ولا تضروه شيئا ﴾ يقول : ولا تضروا الله بترككم النفير ومعصيتكم إياه شيئا لأنه لا حاجة به إليكم بل أنتم أهل الحاجة إليه وهو الغنى عنكم وأنتم الفقراء : ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ يقول جل ثناؤه : والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وعلى كل ما يشاء من الأشياء قدير)(١) .

٣ — قال تعالى : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾(٢) .

فهذه الآية تدل على الأمر بالتغليظ وهى الشدة فى التعامل مع الكافرين وعدم الشفقة عليهم فى المواطن التى تستحق تلك الشدة وهذه كقوله تعالى :﴿ يـٰأيها النبى جـٰهد الكفار والمنـٰفقين واغلظ عليهم ومأوىٰهم جهنم وبئس المصير ﴾(٣) وكقوله تعالى فى وصف الصحابة رضوان الله عليهم :﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكـٰفرين ﴾(٤) . وقوله :﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾(٥) .

قال الرازى : (واعلم أن الغلظة ضد الرقة ، وهى الشدة فى إحلال النقمة ، والفائدة أنها أقوى تأثيرا فى الزجر والمنع عن القبيح)(٦) .

٤ — وقال تعالى : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾(٧) .

فقد أبانت هذه الآية كيف أنه ينبغى للمؤمنين أن يستعملوا الشدة والقسوة مع من يحاول خلخلة المجتمع وإسقاط قيمه وموازينه وعدم المحافظة على أمنه واستقراره كالزُّنَاة مثلا فهم بعملهم هذا يهددون المجتمع إذ يخلطون بين الأنساب وتظهر الفاحشة

---

(١) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى .
(٢) التوبة آية ﴿ ١٢٣ ﴾ .
(٣) التحريم آية ﴿ ٩ ﴾ .
(٤) المائدة آية ﴿ ٥٤ ﴾ .
(٥) الفتح آية ﴿ ٢٩ ﴾ .
(٦) مفاتيح الغيب للرازى ١٦/٢٣٠ .
(٧) النور آية ﴿ ٢ ﴾ .

فأمر الله المؤمنين أن يجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة إذا كان بكرا أما إذا كان محصنا فعقابه الرجم ، وأمرهم أيضا أن لا يمتنعوا عن إقامة الحدود عليهم أو يخففوا الضرب شفقة بهم ورحمة لأن المراد إيجاعهم وإيلامهم ثم : ﴿ ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ ليكون أغلظ عليهم وأوبخ لهم وردعا لهم وافضح لشأنهم والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ، ومن حضره يتعظ به ويزدجر لأجله قال الزمخشرى : (والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ، ولا يأخذهم اللين والهوادة فى استيفاء حدوده ، وكفى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة فى ذلك حيث قال : " لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها "(١))(٢).

وقال ابن العربى : (فلا يجوز أن تحمل أحدا رأفة على زان بأن يسقط الحد أو يخففه عنه)(٣).

---

(١) سبق تخريجه انظر ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٢) الكشاف للزمخشرى ٤٧/٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن لابن العربى ١٣٢٦/٣ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢٥٩/٣ .

ثانيا : من السنة :

١ — عن أبى مسعود عقبة بن عمر والبدرى قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا ! فما رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم غضب فى موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : "ياأيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز (١) فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة" (٢) وللبخارى : "إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة" (٣) • وفى رواية : "فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة" (٤) •

٢ — عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : "أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا" فقال رجل : أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا • فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم" ثم قال : "ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه" (٥) •

---

(١) أى فليسرع وليخفف وليقتصد • النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الأثير ١٥٦/٥ •

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصلاة باب أمر الائمة بتخفيف الصلاة فى تمام ١٨٤/٤ •

(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الأذان باب تخفيف الإمام فى القيام وإتمام الركوع والسجود ١٩٨/٢ •

(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب العلم باب الغضب فى الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ١٨٦/١ •

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الحج باب فرض الحج مرة فى العمر ١٠٠/٩ — ١٠١ •

٣ — عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أن قريشا أهمهم شان المرأة المخزومية التى سرقت فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة الفتح • فقالوا : من يكلم فيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم • فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتى بها رسول الله فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال : "أتشفع فى حد من حدود الله • فقال له أسامه : استغفر لى يا رسول الله • فلما كان العشى (١) قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاختطب ، فأثنى على الله تعالى بما هو أهله ثم قال : " أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد • وإنى والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " • ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقطعت يدها • قالت عائشة رضى الله عنها : فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتينى بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم • (٢)

٤ — عن المعرور بن سويد قال مررنا بأبى ذر بالربذه (٣) وعليه برد (٤) وعلى غلامه مثله • فقلنا :

---

(١) العشى : هو مابعد الزوال الى غروب الشمس وقيل من زوال الشمس إلى الصباح •أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣ / ٢٤٢ •

(٢) سبق تخريجه انظر ص ١٥١ — ١٥٢ •

(٣) الربذه : بفتح أوله وثانيه وذال معجمه مفتوحة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها قريبة من ذات عرق ، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة ، بها قبر أبى ذر • خربت فى سنة تسع عشرة وثلاثمائة بالقرامطة • مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى ٢ / ٦٠١

(٤) البرد : نوع من الثياب معروف والجمع أبراد وبرود والبردة الشملة المخططة وقيل كساء أسود مرجع فيه صور تلبسه الاعراب وجمعها برد • أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ١ / ١١٦ •

يا ابا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة (١) . فقال : إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت امه اعجمية فعيّرته بأمه فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فلقيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : " يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا اباه وأمه . قال : يا ابا ذر إنك أمرؤ فيك جاهلية هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فاعينوهم " (٢) .

٥ ـ عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الوصال . فقال رجل من المسلمين : فإنك يا رسول الله تواصل . قال الرسول : " وأيكم مثلي إني ابيت يطعمني ربي ويسقيني . فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال . واصل بهم يوما ثم يوما ثم راوا الهلال فقال : لو تأخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا " (٣) .

٦ ـ وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : بينما يهودي يعرض سلعة له أعطى بها شيئا كرهه أو لم يرضه قال : لا والذي اصطفى موسى على البشر . قال : فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه . قال : تقول لا والذي اصطفى موسى على البشر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا . قال : فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا أبا القاسم : إن لي ذمة وعهدا . وقال : فلان لطم وجهي . فقال

---

(١) الحلة واحدة الحلل وهي برود اليمن ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد . أنظر النهاية ١ / ٤٣٢ .

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية ١ / ٨٤ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب صحبة المماليك ١١ / ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٣) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الصوم باب التنكيل لمن اكثر الوصال ٤ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصيام باب النهي عن الوصال ٧ / ٢١٢ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " لم لطمت وجهه ؟ قال : قال يا رسول الله والذى اصطفى موسى على البشر وأنت بين أظهرنا . قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرف الغضب فى وجهه ثم قال : لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ فى الصور فيصعق (١) من فى السموات والأرض إلا من شاء الله . قال : ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث أو فى أول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور او بعث قبلى . ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى عليه السلام " . (٢)

٧ — عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سترت سهوة (٣) لى بقرام (٤) فيه تماثيل (٥) . فلما رآه هتكه (٦) وتلون وجهه . وقال : يا عائشة أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون (٧) بخلق الله تعالى قالت عائشة : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين . (٨)

---

(١) الصعق : أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه ثم استعمل فى الموت كثيرا . أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣ / ٣٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم ١٥/١٢٩ — ١٣١ .

(٣) السهوة : بيت صغير منحدر فى الأرض قليلا شبيه بالمخدع والخزانة وقيل هو كالصُّفة تكون بين يدى البيت وقيل شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشئ . أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢ /٤٣٠ .

(٤) القرام : الستر الرقيق وقيل الصفيق من صوف ذى ألوان . أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤ / ٤٩ .

(٥) أى تصاوير . أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤ / ٢٩٥ .

(٦) الهتك : خرق الستر عما وراءه . أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٥ / ٢٤٣ .

(٧) المضاهاة : المشابهة . أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣ / ١٠٦ .

(٨) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب اللباس والزينة باب فى النمرقة فيها تصاوير واتخاذ هـا مرافق ٦ / ١٦٠ .

٨ ـ وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رؤي في وجهه صلى الله عليه وآله وسلم فقام فحكه بيده فقال : "إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه وإن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قبل القبلة ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض فقال : "أو يفعل هكذا" متفق عليه واللفظ للبخاري .(١)

٩ ـ وخاتمة هذه الأمثلة هي قصة كعب بن مالك وهجران الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه له ولمرارة بن الربيع وهلال بن أمية خمسين يوما نتيجة تخلفهم في غزوة تبوك بدون عذر أو سبب شرعي .

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها . كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد غزوة إلا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعددا كثيرا . فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الصلاة باب حك البزاق باليد من المسجد ١/٥٠٧ ـ ٥٠٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن البصاق في المسجد ٥/٣٨ ـ ٤٠ .

كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ — يريد الديوان — قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له مالم ينزل فيه وحى الله . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فأقول فى نفسى : أنا قادر عليه . فلم يزل يتمادى بى حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئا . فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم . فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا فلم يزل بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت فلم يقدّر لى ذلك فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم — فطفت فيهم أحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : " ما فعل كعب ؟ فقال رجل من بنى سلمه : يا رسول الله حبسه برداه ونظره فى عطفه (١) . فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أنه توجه قافلا حضرنى همى وطفقت (٢) أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا ؟ واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى . فلما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل وعرفت أنى لن أخرج منه أبدا بشئ فيه كذب فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له — وكانوا بضعة وثمانين رجلا — فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله . فجئته فلما سلمت

---

(١) أى ردائه . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٣/٢٥٧ .
(٢) طفق : بمعنى أخذ فى الفعل وجعل يفعل . وهى من أفعال المقاربة ٣/١٢٩ .

عليه تبسم المغضب ثم قال : " تعال ، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ فقلت : بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله ألا والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك • فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المتخلفون • قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك • فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالا مثل ما قلت • فقيل لهما مثل ما قيل لك • فقلت من هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين قد شهدا بدرا فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف • فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد • وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ وإذا التفت نحوه أعرض عني • حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن

عمى وأحب الناس إلىّ • فسلمت عليه فو الله ما رد على السلام • فقلت : يا أبا قتاده
أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت • فعدت له فنشدته فسكت • فعدت
له فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم • ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار • قال :
فبينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه
بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له • حتى إذا
جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنى أن صاحبك
قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك • فقلت لما قرأتها :
وهذا أيضا من البلاء • فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون ليلة
من الخمسين إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك • فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال :
لا بل اعتزلها ولا تقربها • وأرسل الى صاحبى مثل ذلك • فقلت لامرأتى : الحقى
بأهلك فتكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر • قال كعب : فجاءت امرأة هلال
ابن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله • إن هلال بن أمية شيخ
ضائع • ليس له خادم • فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا • ولكن لا يقربك • قالت :
إنه والله ما به حركة إلى شئ والله مازال منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا • فقال
لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك كما أذن لامرأة
هلال بن أمية أن تخدمه • فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما يدرينى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها • وأنا رجل
شاب • فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن كلامنا • فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر
بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله : قد ضاقت على نفسى وضاقت

علىّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع[1] بأعلى صوته : يا كعب ابن مالك أبشر . قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج ، وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبى مبشرون وركض إلى رجل فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس . فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوته إياهما ببشراه . والله ما أملك غيرهما يومئذ . واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقانى الناس فوجا فوجا يهنونى بالتوبة يقولون : لتهنك توبة الله عليك . قال كعب حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس . فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك . قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله ورسوله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر . فقلت : يا رسول الله إن الله إنما أنجانى بالصدق وإن من توبتى ألاّ أُحدث إلا صدقا ما بقيت . فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا كذبا . وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيت . وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سلع بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهملة ، جبل متصل بالمدينة . معجم ما استعجم للبكرى ٧٤٧/٢ .

: ﴿ لقد تاب الله على النبى والمهـٰجرين — الى قوله :وكونوا مـع الصادقين﴾ . فو الله ما انعم الله علىّ من نعمة قط — بعد أن هدانى للاسلام — أعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله قال للذين كذبوا حين انزل الوحى شـر ما قـال لأحد ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتـم إلى قوله — فإن الله لا يرضى عن القوم الفسقين ﴾ . قال كعب : وكنا تخلفنـا ايها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيـن حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفـوا ﴾ وليس الذى ذكر الله مما خلفنا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا إرجاؤه ، أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه ، فقبل منه .(١)

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب المغازى باب حديث كعب بن مالك ٨/١١٣ — ١١٦ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالـك وصاحبيه ١٧/٨٧ — ٩٨ .

تاسعا : مخاطبة الناس على قدر عقولهم :

ان الداعية كالطبيب ان رأى موضعا للدواء أعطى وإلا أمسك وإن تفاوت عقول الناس ومداركهم يحتمان على الداعية أن يراعى ذلك فى مخاطبته للمدعوين فلا يخاطبهم بما لا تحتمله عقولهم أو لا تدركه أفهامهم بل يتحرى خطابهم على قدر ما تحتمله عقولهم وتدركه أفهامهم ٠ وكما يقال : ورعاية مقتضى الحال قاعدة الحكيم ٠

إن موضوعا من المواضيع يتطرق له دعاة كثيرون ٠ ترى لكلام بعضهم صدى فى القلوب وأثرا فى النفوس والبعض الآخر لا ترى لكلامه وزنا ولا أثرا ٠ بل إن بعضا منهم قد يشوش على العقول بما يحدث لهم من بلبلة فى الأفكار وتصادم فى الآراء ٠ ما السبب الرئيسى الذى أدى إلى اختلاف النتيجة ؟ ٠

السبب معروف وهو أن الداعية الأول قد دعا إلى الموضوع بأسلوب جميل وخاطب الناس على قدر ما تحتمله عقولهم وراعى فى ذلك ظروفهم وأحوالهم وبيئتهم وعرض الموضوع بطريقة مناسبة ملائمة ٠

١ ـ إن من أول ما يجب على الداعية مراعاته فى مخاطبة الناس أن يخاطب كل قوم بما يعقلون ويفهمون حتى تستوعب عقولهم ما يقوله لهم وحتى لا يحدث فتنة وخللا وحتى لا تحدث أمور لا تحمد عقباها ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

أمثلة ذلك :

أولا : من الكتاب :

١ — قال تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾ .(١)

قال ابن عباس : (أى كونوا حلماء فقهاء) .(٢)

وقال البخارى : (الربانى : هو الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره).(٣)

فهو يخاطبهم بما تحتمله عقولهم وتفهمه أفكارهم حتى لا يسبب لهم فتنة وخللا واضطرابا .

٢ — وقال تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ .(٤)

قال ابن كثير : (أى ذكر حيث تنفع التذكرة . ومن هاهنا يؤخذ الأدب فى نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال : حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) .(٥)

---

(١) آل عمران آية ﴿ ٧٩ ﴾ .

(٢)،(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى ١٦٠/١ .

(٤) الأعلى آية ﴿ ٩ ﴾ .

(٥) تفسير ابن كثير لابن كثير ٥٠٠/٤ .

ثانيا : من السنة :

١ — عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين . فأما أحد هما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم .[١]

(والمقصود بالوعاء الآخر هو أحاديث الفتن وأحاديث أشراط الساعة أو الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء الجور وأحوالهم وذمهم .)[٢]

٢ — عن انس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال : " يا معاذ . قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا . قال : " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار . قال : يارسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا قال : إذاً يتكلوا " . وأخبر بها معاذ عند موته تأثما[٣] . وذلك لأن هذا الحديث إذا سمعه الناس فإنهم يحملونه على محمل خطأ ، وهو ترك العمل والاكتفاء بالاقرار .[٤]

ومعنى أنه أخبر به تأثما : أي أخبر به قبل موته حتى لا يصير كاتما للعلم فيدخل في الوعيد المذكور في قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينت والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون ﴾ .[٤]

---

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب العلم باب حفظ العلم ٢١٦/١ .

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢١٦/١ — ٢١٧ .

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا ٢٢٦/١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الايمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ٢٤٠/١ — ٢٤٢ .

(٤) البقرة آية ﴿ ١٥٩ ﴾ .

٣ — وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : " يا عائشة ، لولا أن قومك حديث عهدهم — قال ابن الزبير : بكفر — لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون منه "(١) .

فقد ابان هذا الحديث كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد امتنع عن هدم الكعبة وإعادة بنائها كما كانت مخافة أن تتغير عليه قريش ، أو يصيبهم نوع من الاضطراب والفتنة والشك لكونهم قريبى العهد بكفر وكانوا يعظمون الكعبة فخشى أن تنكر ذلك قلوبهم فتركه . قال ابن بطال : (فيه أنه قد يترك يسير من الأمر بالمعروف إذا خشى منه أن يكون سببا لفتنة قوم ينكرونه)(٢) .

٤ — عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن ابن عوف فبينما أنا فى منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب فى آخر حجة حجها إذ رجع إلىّ عبد الرحمن فقال : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين هل لك فى فلان يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة فتمت ، فغضب عمر ثم قال : (إنى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم قال عبد الرحمن فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم(٣) فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم فى الناس وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيّرها

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب العلم باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه ٢٢٤/١ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الحج باب نقض الكعبة وبنائها ٩١/٩ .

(٢) عمدة القارى للعينى ٢٠٤/٢ .

(٣) أى غوغاءهم وسقاطهم واخلاطهم الواحد رعاعه النهاية : ٢٣٥ .

عنك كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنّة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكنا فيعى أهل العلم مقالتك ويضعونها على موضعها ، فقال عمر : أما والله — إن شاء الله — لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة)(١) .

قال ابن حجر : (وفيه التنبيه على أن العلم لا يودع عند غير أهله ، ولا يحدث به إلا من يعقله ، ولا يحدث القليل الفهم بما لا يحتمله)(٢) .

٥ — وروى الامام البخارى رحمه الله عن على بن أبى طالب رضى الله عنه تعليقاً(٣) أنه قال : (أيها الناس تحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون)(٤) .

٦ — وروى الامام مسلم رحمه الله فى مقدمة صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)(٥) .

وقال أيوب السختيانى : (لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم)(٦) .

وقال وهب بن منبه : (ينبغى للعالم أن يكون بمنزلة الطباخ الحاذق يعمل

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا إذا احصنت ١٢/١٤٤

(٢) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ١٢/١٥٤ .

(٣) الحديث المعلق : هو الحديث الذى حذف من مبدأ إسناده راو واحد أو أكثر . التقييد والايضاح فى شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقى ص ٣٢ .

(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب العلم باب من خص قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١/٢٢٥ ، الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣) ٢/١٠٨ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى المقدمة باب النهى عن الحديث بكل ما سمع ١/٧٦ .

(٦) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ٢/١٠٩ ، فتح المغيث للسخاوى (ت : ٩٠٢) ٢/٣٤٨ .

لكل قوم ما يشتهون من الطعام)(١) • قلت وكذا ينبغي للداعية أن يحدث كل قوم بما تتجاوب فيه أنفسهم ويكون له أثر عليهم وأن يخاطب كل واحد منهم على قدر ما يحتمله عقله •

لذا ينبغي للدعاة إلى الله أن لا يحدثوا الناس إلا بما يفهمون ولا يخاطبوهم إلا بما يعقلون ولا يكلموهم إلا على قدر ما تحتمله عقولهم فليس كل ما يعلم يقال وليس كل ما يقال لشخص يقال لغيره وليس كل ما يقال في بيئة يصلح أن يقال في غيرها وإنما (لكل مقام مقال)(٢) • وينبغي لهم مراعاة تغير المكان والزمان والحال ورحم الله امرءا عرف زمانه فخاطب أهله بما يفهمون ونعم المجلس مجلس تنشر فيه الحكمة وترجى فيه الرحمة ويبعد فيه عن الفتنة • وإن الناس حينما يخاطبون بما يفهمون وعلى قدر ما تحتمله عقولهم • يكون إدراكهم لذلك الكلام أسهل • ووقوفهم على المقصود والغرض أكمل •

---

(١) الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢/١١٠ •

(٢) مجمع الأمثال للميداني (ت : ٥١٨) ٢/١٩٨ •

٢ ـ وينبغى للداعية المسلم ليكون موفقا ناجحا فى دعوته أن يعرف أحوال البيئة أو المجتمع الذى يعمل فيه • وأن يراعى هذه الأحوال فى اختياره للموضوعات وفى تصرفاته العملية وفى أسلوبه وطريقته •

لابد للداعية أن يعنى بالحياة الاجتماعية للناس ، ومعرفة خصائصهم ، وفهم طباعهم وأذواقهم ، والوقوف على الوان ثقافتهم وافكارهم وأفهامهم • لأن معرفة الداعية بهذا اللون من الدراسات النفسية والاجتماعية والتربوية يعينه كثيرا جدا على أداء رسالته ونجاح مهمته • ويكون سندا له فى توجيه دعوته • فتؤتى اكلها باذن ربها ويكون ممن ينطبق عليه قول القائل : (إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف)(١) •

قال الغزالى : (فالداعية إلى الله تعالى هو هذا الرجل الحصيف ، الذى يشخص العلة التى أمامه ، ويهئ لها أسباب الشفاء المناسب من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وآثار السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى • وبذلك يجئ نصحه طبا للمريض ورحمة تذهب عناءه ونورا يهديه السبيل)(٢) • والاصل فى هذا قوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلى ادعوا إلى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى ﴾(٣) •

قال الرازى : (وهذا يدل على ان الدعاء الى اللهتعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو أن يكون على بصيرة مايقول وعلى هدى ويقين)(٤) •

وقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾(٥) •

---

(١) مجمع الامثال للميدانى ١/٤٢ •
(٢) مع الله للغزالى ص ١٨٥ •
(٣) يوسف آية ﴿١٠٨﴾ •
(٤) مفاتيح الغيب للرازى ١٨/٢٢٥ •
(٥) ابراهيم آية ﴿٤﴾ •

إن من رحمة الله بعباده ، أن أرسل إليهم رسلا من جنسهم يتكلمون بألسنتهم ويفهمون طبائعهم وأعرافهم وأذواقهم وأفكارهم ومشاربهم ، وذلك ليفهموا عنهم ما يريدون ويستوعبوا ما أرسلوا به ويكون فهمهم لأسرار تلك الشريعة بعد وقوفهم على حقائقها أسهل ، وعن الغلط والخطأ أبعد . قال الشوكانى فى شرحه للآية : (أى متلبسا بلسانهم ، متكلما بلغتهم . لأنه إذا كان كذلك فهم عنه المرسل إليهم ما يقوله لهم وسهل عليهم . ذلك بخلاف ما لو كان بلسان غيرهم فانهم لا يدرون ما يقول ، ولا يفهمون ما يخاطبهم به ، حتى يتعلموا ذلك اللسان دهرا طويلا ومع ذلك فلابد أن يصعب عليهم فهم ذلك بعض صعوبة) .(١)

قلت : وهناك فائدة أخرى ، وهى ان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان من نفس القوم المرسل اليهم فإنه يسهل عليه مخاطبتهم وإفهامهم فهو أعرف بحالهم وظروفهم من غيره .

ولذا فإننا نجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذ بن جبل رضى الله عنه إلى اليمن داعيا لهم إلى الإيمان بالله ورسوله عرفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طبيعة أهلها وزوده بعبارة تعينه على فهم بيئتهم وتوضح له أحوالهم وظروفهم الاجتماعية فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : " إنك ستأتى قوما أهل كتاب "(٢) ولاشك أن هؤلاء يحتاجون إلى أسلوب فى الدعوة غير الأسلوب الذى يكون مع غيرهم ممن لا يدينون بدين ولا يقرون بملة . فهؤلاء لهم أسلوب كما أن لأولئك أسلوباً ولكل ما يناسبه .

---

(١) فتح القدير للشوكانى ٩٤/٣ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب اخذ الصدقة من الأغنياء وترد الى الفقراء حيث كانوا ٣٥٧/٣ .

فينبغى للداعية أن يعطى هذا الأمر حقه من الاهتمام وأن يراعى فى الموضوعات التى يتحدث عنها ويعالجها ما تكون الحاجة اليه أمس فى البيئة نفسها . فاذا كان فى البيئة اهمال لشعيرة من شعائر الاسلام ، أو شيوع آفة من الآفات الاخلاقية ، أو الاجتماعية ، او الاقتصادية . كان الكلام فى هذه الأمور مقدما على غيره لوجود ما يدعو الى تقديمه على غيره . وينبغى له البعد عن اثارة أمور غير موجودة فى البيئة ، لأن هذا يعتبر من الحمق بمكان ، ومن البعد عن الحكمة بمنزلة . بل قد يفتح أذهانهم الى أشياء لم يكونوا يعرفونها من ذى قبل . وقد كان هذا هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم . فقد كانوا يختارون من المواضيع ما يرون أن اقوامهم فى أمس الحاجة اليه . دون التطرق الى مواضيع جانبية غير موجودة فيهم .

فجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام بلا استثناء ، ركزوا على جانب التوحيد والايمان والدعوة اليه والى نبذ الشرك به والاصنام والأوثان . ثم بعد هذا كان كل نبى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعالج أهم المشكلات والآفات الواقع فيها قومه فلوط عليه السلام كان قومه يأتون الرجال شهوة من دون النساء فاهتم لوط لهذا الأمر ووجه له اهتمامه وأعطاه جل تفكيره قال تعالى عن لوط : ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العلمين أتأتون الذكران من العلمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل انتم قوم عادون ﴾(١) . وشعيب عليه السلام كان قومه مشهورين

---

(١) الشعراء آية ﴿ ١٦٠ — ١٦٦ ﴾ .

بالتطفيف فى الكيل والميزان فأطار هذا الأمر كل تفكيره واهتم بعلاجه • قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام انه قال لقومه : ﴿ اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ (١) •

إن الداعية إذا ما فهم ظروف وأحوال وافكار المدعوين فإنه يستطيع أن يوجه كل واحد منهم التوجيه الشافى الكافى • لقد كان يعرض على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سؤال واحد فيجيب عليه عدة أجوبة وهذا كما علله العلماء أن ذلك راجع لاختلاف أحوال السائلين :ـ

١ ـ أ : عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله وآله وسلم: أى الاسلام خير ؟ قال :"تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " (٢)

ب : وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : قالوا : يارسول الله أى الاسلام أفضل ؟ قال : " من سلم المسلمون من لسانه ويده " • رواه البخارى (٣) ومسلم (٤) عن عبد الله بن عمرو وليس عن أبى موسى •

٢ ـ أ : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : " إيمان بالله ورسوله " قيل : ثم ماذا ؟ قال : " جهاد فى سبيل الله " • قيل : ثم ماذا ؟ قال : " حج مبرور " (٥)

---

(١) الشعراء آية ﴿ ١٨١ ـ ١٨٣ ﴾ •
(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الايمان باب إطعام الطعام من الإسلام ١/٥٥ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب أى الإسلام خير ١/٤٧ •
(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الإيمان باب أى الإسلام أفضل ١/٥٤ •
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون منه ١/٤٨ •
(٥) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الإيمان باب من قال إن الإيمان هو العمل ١/٧٧ •

ب : عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال : " الصلاة على ميقاتها " قلت : ثم أي ؟ قال : " ثم بر الوالدين " قلت : ثم أي ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني " (١) .

ج : وعن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال : يا رسول الله : أي الأعمال أفضل ؟ قال : " الإيمان بالله والجهاد في سبيله " . قال قلت : أي الرقاب أفضل ؟ قال : " أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا . قال قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : " تعين صانعا أو تصنع لأخرق (٢) قال : قلت يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : " تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك " (٣) .

٣ ـ أ : عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رجل : يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال : " أن تدعو لله ندا وهو خلقك " قال ثم أي ؟ قال : " أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك " قال : ثم أي ؟ قال : " أن تزاني حليلة جارك (٤) " . فأنزل الله تصديقها : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴾ (٥) (٦) .

---

(١) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الجهاد والبر باب فضل الجهاد والبر ٦ / ٣ .
، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة باب أفضل العمل الصلاة لوقتها ١ / ٦٣ .

(٢) أي جاهل بما يجب أن يعمله ولم يكن في يديه صنعة يكتسب بها . أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٢ / ٢٦ .

(٣) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الإيمان باب الإيمان بالله أفضل الأعمال ١ / ٦٤ .

(٤) أي زوجة جارك وامرأته . أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١ / ٤٣١ .

(٥) الفرقان آية ﴿ ٦٨ ﴾ .

(٦) سبق تخريجه انظر ص ٧٣ ـ ٧٤ .

ب : وعن عبد الله بن عمر قال جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر ؟ قال : " الإشراك بالله " قال ثم ماذا ؟ قال : عقوق الوالدين " . قال : ثم ماذا ؟ قال : " اليمين الغموس " . قلت وما اليمين الغموس ؟ قال : " الذى يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب " .(١)

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب إثم من أشرك بالله وعقوبته فى الدنيا والآخرة ٢٦٤/١١ .

٣ - مراعاة الوقت المناسب ومقداره :

أولا : مراعاة الوقت المناسب :

ينبغى للداعية الحكيم ان يتخير الوقت المناسب لإلقاء موعظته حتى يكون لموعظته الأثر الذى يصيب المحز ويؤدى المطلوب ويثمر النتيجة فإن اختيار الوقت المناسب وتحريه يكون أدعى للقبول والاستماع وأوفق للاستجابة والمبادرة • وإليك نماذج من تخير المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للوقت المناسب لالقاء توجيهه ونصحه •

١ : عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعطانى ثم سألته فأعطانى ثم سألته فأعطانى ثم قال : " يا حكيم إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى "•

وهنا يتبين أن رسول الله صلى عليه وآله وسلم قد اختار الوقت المناسب - بعد أن أعطى حكيما حتى رضى - لإلقاء توجيهه • فماذا كان أثر هذا الكلام الذى جاء فى الوقت المناسب على نفس حكيم • لنستمع إلى حكيم وهو يتحدث عن ذلك : (فقلت يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ[1] أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا • فكان أبو بكر يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا • ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال : يا معشر المسلمين • أشهدكم على حكيم أنى أعرض عليه حقه الذى قسمه الله له فى هذا الفىء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى توفى)[2] •

---

(١) أى لا آخذ ولا أطلب • أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٢١٨ •

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الزكاة باب الاستعفاف فى المسألة ٣/ ٣٣٥ •

قال ابن حجر : (وفيه أنه ينبغي للإمام أن لا يبين للطالب ما في مسألته من المفسدة إلا بعد قضاء حاجته فتقع موعظته له الموقع لئلا يتخيل أن ذلك سبب لمنعه من حاجته) (١) .

٢ : يوم بدر والجموع محتشدة والكل متأهب للقتال يحث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه على الجهاد ويقول لهم : " قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض " فكان لهذا الحث والتحريض أثره البالغ في نفوس أصحابه حتى إن عمير بن الحمام الانصاري قال : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض . قال : نعم . قال بخ بخ (٢) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما يحملك على قولك بخ بخ . قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها . قال : " فإنك من أهلها . فأخرج تمرات من قرنه (٣) فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة . فرمى بما كان معه ثم قاتلهم حتى قتل" . (٤)

٣ : عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ناقة تسمى العضباء لا تسبق فجاء أعرابي على قعود (٥) فسبقها فشق على المسلمين حتى عرفه (٦) . فقال : حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه " (٧) .

---

(١) فتح الباري ٣/٣٣٧ .

(٢) هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشئ وتكرر للمبالغة وهي مبنية على السكون فإن وصلت جررت ونونت فقلت بخ بخ وربما شددت . النهاية ١/١٠١ .

(٣) أي جعبته . انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٥٥ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الهجرة والمغازي باب في غزوة بدر ٦/٤٤ .

(٥) القعود من الدواب : ما يقتعده الرجل للركوب والحمل ولا يكون إلا ذكرا وقيل : القعود : ذكر . والأنثى قعودة . والقعود من الإبل : ما أمكن أن يركب وأدناه أن يكون له سنتان ثم هو قعود إلى أن يثنى فيدخل في السنة السادسة ثم هو جمل . انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٨٧ .

(٦) أي عرف أثر المشقة في وجوههم . فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٦/٧٤ .

(٧) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الجهاد باب ناقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٦/٧٣ .

٤ : عن عمرو بن عوف الأنصاري قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح الى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو صالح أهل البحرين وأمّر عليهم العلاء بن الحضرمي • فقدم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم ابى عبيدة • فوافقت صلاة الصبح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حين رآهم وقال : أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيده قد جاء بشيء ؟ • قالوا أجل يا رسول الله • قال : " فأبشروا وأملوا ما يسركم فو الله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم "(١)

٥ : عن ابى بكر عبد الله بن قيس عن أبيه قال : سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : " إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف • فقام رجل رث الهيئة فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول هذا • قال : نعم • قال : فرجع إلى أصحابه وقال أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن(٢) سيفه(٣) قال ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل " •

---

(١) صحيح البخاري بفتح البارى كتاب الجزيه والموادعة باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ٦/٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد ١٨/٩٥

(٢) الجفن : الغمد • انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ١/٢٨٠ •

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد باب ان ابواب الجنة تحت ظلال السيوف ٦/٤٥ •

ثانيا : مراعاة مقدار الوقت الذى يلقى فيه موعظته :

وينبغى للداعية أن لا يطيل المجلس الذى يتحدث فيه بل يجعله وسطا ويقتصد فيه لأن طول المجلس وكثرة الكلام تؤدى إلى سآمة السامع ومله وعدم قدرته على التحصيل والاستيعاب عن شقيق قال : خرج إلينا عبد الله - يعنى ابن مسعود - فقال : أما إنى أخبر بمكانكم فأتركم كراهية أن أملكم ، إن رسول الله صلى الله وآله وسلم كان يتخولنا بالموعظة بين الأيام مخافة السأم[1] علينا أو قال السآمة علينا ، متفق عليه[2]. وفى رواية لمسلم : عن شقيق قال : كان عبد الله بن مسعود يذكرنا كل خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، إنا نحب حديثك ونشتهيه ، ولوددنا أنك حدثنا كل يوم ، فقال : ما يمنعنى أن أحدثكم إلا كراهية أن أملكم ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السآمة علينا[3].

قال النووى : (فى هذا الحديث الاقتصاد فى الموعظة لئلا تملها القلوب فيفوت مقصودها)[4].

وقال العينى : (كان صلى عليه وآله وسلم يتعهدهم ، ويراعى الأوقات فى وعظهم ، ويتحرى منها ماكان مظنة القبول ولا يفعله كل يوم لئلا يسأم)[5]. وكان أبو هريرة يجعل يوم الخميس من كل أسبوع موعدا ثابتا له للتحدث إلى الناس[6].

---

(١) السآمة : الملل والضجر ، أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٣٢٨ .

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب العلم باب ماكان النبى يتخولهم بالموعظة والعلم كى لا ينفروا ١/١٦٢ ، وأخرجه أيضا فى باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة ١/١٦٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب الاقتصاد فى الموعظة ١٧/١٦٣ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب الاقتصاد فى الموعظة ١٧/١٦٤ .

(٤) شرح النووى على مسلم ١٧/١٦٤ .

(٥) عمدة القارى للعينى ٢/٤٤ .

(٦) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للبغدادى ٢/٥٧ .

ولم يتفرد ابن مسعود وأبو هريرة رضى الله عنهما دون الصحابة بهذا ، بل كان ذلك سمة بارزة فيهم رضوان الله عليهم اجمعين • فهذا عمر رضى الله عنه يقول على المنبر: (ايها الناس : لا تُبَغِّضُوا الله إلى عباده • فقيل : كيف ذاك أصلحك الله ؟ قال : يجلس أحدكم قاصا فيطول على الناس حتى يبغض اليهم ما هم فيه • ويقوم أحدكم إماما فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه) (١) •

وهذه عائشة رضى الله تعالى عنها تنصح عمير بن عبيد بن قتادة فتقول له: (ألم أُحَدَّث أنك تَجْلِس ويُجْلَس إليك • قال : بلى • قالت : فإياك وإملال الناس وتقنيطهم) (٢) • قلت : ومعلوم أن إملالهم إنما يكون بالإطالة عليهم فى الكلام والزمان ومعلوم أن قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ وحضور قلبه خير من كثير وافق من الأسماع إعراضا ومن القلوب ملالة •

وكان الزهرى يقول : (إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب) (٣) •

قلت : وذلك لان اطالة المجلس تدفع الناس إلى الملال والسآمة وكثرة الحركة والتثاؤب بل قد يؤدى إلى النسيان وهذا كله من الشيطان • قال ابن جماعة الكنانى : (وينبغى أن لا يطيل الدرس تطويلا يمل ولا يقصره تقصيرا يخل ويراعى فى ذلك مصلحة الحاضرين) (٤) • وقال السخاوى : (ولا تطل المجلس بل اجعله متوسطا واقتصد منه حذرا من سآمة السامع ومله وأن يؤدى ذلك إلى فتوره عن الطلب وكسله) (٥) • وقال المبرد : (من أطال الحديث وأكثر القول فقد عرض

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن مفلح المقدسى الحنبلى (ت :) ١٠٨/٢ • ط دار العلم للجميع ١٩٧٢م •
(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ١٢٨/٢ •
(٣) المرجع نفسه ١٢٨/٢ •
(٤) تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم لبدر الدين ابن الشيخ ابى اسحاق ابراهيم ابن أبى الفضل سعد الله ابن جماعة الكنانى (ت:٧٣٣) ص ٣٨ •
(٥) فتح المغيث للسخاوى ٣٣١/٢ •

للملال وسوء الاجتماع) (١) .

وقال الماوردى : (قال بعض العلماء : كل كلام كثر على الأسماع ولم يطاوعه الفهم ازداد به القلب عمى وإنما يقع السمع فى الآذان إذا قوى فهم القلب فى الأبدان) (٢) .

وينبغى للداعية أن يتفرس فى وجوه الحاضرين فإذا رأى اقبالا تكلم وإلا امسك. قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه : (حدث القوم ما أقبلت عليك قلوبهم فاذا انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم) . قيل له : وما علامة ذلك ؟ قال : إذا حدقوك بأبصارهم فإذا تثاءبوا واتكأ بعضهم على بعض فقد انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم) (٣) .

وعن عبد الله أيضا قال : (إن للقلوب شهوة وإقبالاً وان للقلوب فترة وإدباراً فاغتنموها عند شهوتها ودعوها عند فترتها وإدبارها) (٤) . وقال أبو العالية : (حدث القوم ماحملوا . فسئل ما ما حملوا قال : ما نشطوا) (٥) .

وينبغى للداعية كذلك أن يزيّن موعظته بطرف الحكمة والأشعار والحكايات اللطيفة ليحدث تغييرا وتجديدا ونشاطا لأن القلوب إذا كلت عميت وإذا عميت ضلت . قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : (روحوا القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة) (٦) .

وكان الزهرى يقول لأصحابه : (هاتوا من أشعاركم هاتوا من أحاديثكم) (٧) .

---

(١) فتح المغيث ٢/ ٣٣١ .

(٢) المرجع نفسه ٢/ ٣٣٢ .

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ١/ ٣٣٠ .

(٤) المرجع نفسه ١/ ٣٣١ .

(٥) المرجع نفسه ١/ ٣٣١ .

(٦) تدريب الراوى للسيوطى ٢/ ١٣٨ . وفتح المغيث للسخاوى ٢/ ٣٤٩ .
، والجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع للبغدادى ٢/ ١٢٩ .

(٧) تدريب الراوى للسيوطى ٢/ ١٣٨ وفتح المغيث للسخاوى ٢/ ٣٤٩ .

وقال عمر بن عبد العزيز: (تحدثوا بكتاب الله وتجالسوا وإذا مللتم فحديث من أحاديث الرجال حسن جميل)[1] •

فليحذر الدعاة من إطالة الوقت مهما كان منطقهم جميلا وأسلوبهم حسنا وليراعوا مصلحة المدعوين وليحاولوا تزيين موعظتهم بالحكم والأشعار والحكايات اللطيفة والنوادر المستحسنة لأن هذا أدعى إلى القبول وأوثق للاستجابة • وقد أنزل الله القرآن مفرقا ليفهمه الناس وليقرأه الرسول عليهم على مكث قال تعالى: ﴿ وقرءانا فرقنه لتقرأه على الناس على مكث ونزلنه تنزيلا ﴾[2] •

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن مفلح المقدسى الحنبلى ٢/١٠٩ •

(٢) الإسراء آية ﴿١٠٦﴾ •

اختيار طريقة العرض المناسبة :

ينبغى للداعية الحكيم أن يتخير طريقة العرض المناسبة لعرض دعوته على المدعويين لتلقى دعوته الأثر المحمود من القبول والاستجابة المباشرة السريعة . ولابد للداعية أيضا لكى يخاطب البشر خطابا ناجحا من مراعاة طبيعة البشر العامة أولا ، ثم مراعاة الأحوال الاجتماعية ثانيا ، ثم مراعاة الفروق الفردية فى النهاية . وان الداعية متى ما كان خبيرا بأدواء النفوس وعلل القلوب ، فانه سيسلك الأسلوب المناسب فى علاجها ، ويختار طريقة العرض المناسبة لقبولها ذلك أن من الناس (من يعجبه حسن اللفظ ، ومنهم من يعجبه الاشارة ، ومنهم من ينقاد ببيت من الشعر ، وأحوج الناس الى البلاغة الواعظ ليجمع مطاليهم لكنه ينبغى أن ينظر فى اللازم الواجب ، وأن يعطيهم من المباح فى اللفظ قدر الملح فى الطعام)(١) . وباذن الله يكون النجاح حليفه والتوفيق نصيبه .

وقد رسم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هذا المنهج فى معرض بيان دعوتهم لأقوامهم ولا أدل على هذا من منهج نوح عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم حيث شرح مسلكه فى عرض دعوته على قومه وكيف أنه استخدم معهم كل المسالك وشتى المنافذ لهدايتهم وارشادهم ودلالتهم لكنهم أصروا واستكبروا استكبارا قال تعالى : ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم . قال يقوم إنى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءى إلا فرارا وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إنى دعوتهم جهارا ثم إنى

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزى ص ١٠٠ ط. محمد الغزالى .

أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا ﴾ (١) .

فقد أبانت هذه الآيات أن نوحا عليه السلام قد اتبع وسلك كل ما أمكنه من أساليب في عرض دعوته على قومه وتفنن في ذلك فجهر بالدعوة تارة ثم زاوج بين الإعلان والإسرار تارة ودعاهم ليلا ونهارا وأطمعهم ورغبهم في خيري الدنيا والآخرة وأطمعهم في غفران الذنوب والرزق الوفير الميسور والجنات والبنين وذكرهم نعم الله عليهم ومع هذا أصروا واستكبروا استكبارا قال الشوكاني : (فالمقصود أنه دعاهم على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة فلم ينجح ذلك فيهم) (٢) .

فمن طرق العرض المناسبة :ـ

أولا : عرض الموضوع عرضا مباشرا يراعى فيه التقديم له ثم طرح أفكار الموضوع ثم خاتمة يلخص فيها النتائج والأهداف على أن يراعى حساب الوقت فلا يطول حتى لا يمل ويثقل على الأسماع .

ثانيا : أن يحدث بحديث فيه بعض الغموض من ناحية المعنى حتى يسأله المدعو فيفسره له وبذلك يعرف مدى مشاركة المدعو معه وفهمه وذكائه وفطنته .

---

(١) نوح آية (١ ـ ٢٠) .

(٢) فتح القدير للشوكاني ٥/٢٨٩ .

ومن الأمثلة على ذلك :ـ

١ : عن عبد الله بن مسعود قال : (لما نزلت هذه الآية : ﴿ الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ . شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ألا ترون الى قول لقمان : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ".)(١)

٢ : وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فقلت يا نبى الله اكراهية الموت فكلنا يكره الموت . قال : ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه ".(٢)

٣ : وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله . ما الكبائر؟ قال : " الإشراك بالله . قال : ثم ماذا؟ قال : عقوق الوالدين . قال : ثم ماذا؟ قال : اليمين الغموس . قلت : وما اليمين الغموس؟ قال : الذى يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب ".(٣)

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب التفسير باب سورة لقمان ٨/٥١٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الايمان ١/١١٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ١٧/٩ .

(٣) سبق تخريجه . أنظر ص ٢١٢ .

ثالثا : الاعراض عن كلام السائل كلية وإجابته إجابة تصحح نظرته وتتضمن طرح كل ما ذكره :

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :ـ

١ ـ عن أبي موسى الأشعري أن رجلا أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله • الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فأي ذلك في سبيل الله• فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " •(١)

٢ ـ عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال : أتيت رسول الله مبايعا مسلما فقال لي الرسول : " ابسط يمينك لأبايعك • فبسطت يميني ثم قبضتها فقال : "مالك يا عمرو؟ قلت : أردت أن اشترط قال• تشترط ماذا• قلت أن يغفرلي • فقال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله " •(٢)

رابعا : الثناء على أناس بأفعالهم ليقتدي بهم الآخرون :

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :ـ

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأشج أشج عبد القيس : إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة " •(٣)

٢ ـ عن عمرو بن تغلب قال : (أعطى رسول الله قوما ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال : " إني أعطي قوما أخاف ظلعهم(٤) وجزعهم وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب " فقال عمرو بن تغلب : ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمر النعم) •(٥)

---

(١) سبق تخريجه • انظر ص ٣٤ •

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج والهجرة ٢/١٣٧ ـ ١٣٨ •

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الايمان باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله ١/٣٥ ـ ٣٦•

(٤) هو بفتح اللام :أي ميلهم عن الحق وضعف إيمانهم وقيل ذنبهم •انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/١٥٩ •

(٥) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٦/٢٥٠ •

٣ ـ عن أبي موسى الأشعرى قال قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : " إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم "[1].

خامسا : طريق الأمر والنهى :ـ

والأمثلة على هذا من القرآن والسنة كثيرة جدا .

فمن الآيات القرآنية :

١ ـ قال تعالى : ﴿ يٰأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[2].

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ وأقيموا الصلوٰة وءاتوا الزكوٰة ﴾[3].

٣ ـ وقال تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمٰنٰت إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾[4].

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة .

ومن الأحاديث النبوية :ـ

١ ـ عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : " فكوا العانى[5] وأجيبوا الداعى "[6].

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الشركة باب الشركة فى الطعام والنهد والعروض ٥ / ١٢٨ـ ١٢٩ .

(٢) البقرة آية (٢١) . (٣) البقرة آية (١١٠) .

(٤) النساء آية (٥٨) .

(٥) أى الأسير وكل من ذل واستكان وخضع فقد عنا يعنو والمرأة عانية وجمعها عوان . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣ / ٣١٤ .

(٦) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأحكام باب إجابة الحاكم الدعوة ١٣ / ١٦٣ .

٢ ـ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : خرجت مع النبى صلى الله عليه واله وسلم يوم فطر أو أضحى فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وامرهن بالصدقة) (١) .

٣ ـ عن أنس رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : " انصر أخاك ظالما أو مظلوما" فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما . أرأيت إن كان ظالما : كيف أنصره ؟ قال : " تحجزه ـ أو تمنعه ـ من الظلم فإن ذلك نصره " (٢) .

سادسا : ذكر الحكم مقرونا بعلته :

والأمثلة على ذلك كثيرة :

فمن الآيات القرآنية :ـ

١ ـ قال تعالى : ﴿ وأقم الصلوٰة إن الصلوٰة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (٣) .

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (٤) .

٣ ـ قال تعالى : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلـٰم رجس من عمل الشيطـٰن فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطـٰن أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب العيدين باب خروج الصبيان إلى المصلى ٢/٤٦٤ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الإكراه باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه ١٢/٣٢٣ .

(٣) العنكبوت آية ﴿٤٥﴾ .

(٤) البقرة آية ﴿١٨٣﴾ .

ذكر الله وعن الصلــوة فهل أنتم منتهون ﴾ • (١)

ومن الأحاديث النبويــة :

١ ــ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن الصّعب بن جثامة انه أهدى لرســول الله صلى الله عليه وآله وسلم حماراً وحشيا وهو بالأبواء (٢) ــ أو بودان (٣) ــ فـرد عليه • فلما رأى ما فى وجهه • قال : " أما إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم " • (٤)

٢ ــ عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال : اطلع رجل من جحر فى حجــر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومع النبى صلى الله عليه وآله وسلم مدرى يحـــك به رأسه فقال : " لو أعلم أنك تنظر لطعنت به فى عينك إنما جعل الاستئذان من اجل البصر " • (٥)

سابعا : محاولة تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة باللين والرفق • (٦)

ثامنــا : طريق الأسئلة والحــوار لاثارة الانتباه • (٧)

تاسـعا : طريــق التحذيـر • (٨)

عاشـرا : طريــق التعريض دون التصريح • (٩)

حادى عشر : طريــق الترغيب والترهيب • (١٠)

---

(١) المائدة آية ﴿٩٠ ــ ٩١﴾ •

(٢) الأبواء : بالفتح ثم السكون وفتح الواو وألف ممدودة : قرية من أعمال الفُرْع من المدينة بينها وبين الجحفـــة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا وبالأبواء قبر آمنة ام النبى صلى الله عليه واله وسلم • مراصد الاطلاع ١/ ١٩ •

(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة قرية جامعة فى نواحى الفرع بينها وبين هرشى ستة أميال ه بينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال قريب من الجحفة لضمره وغفار وكنانـــة • مراصد الاطلاع للبغدادى ٣/ ١٤٢٩ •

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الهبة باب قبول الهدية ٥/ ٢٠٢

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الاستئذان باب الاستئذان من أجل البصر ١١/ ١٤ •

(٦) انظر ص ١٦٩ ــ ١٨٣ (٧) انظر ص ٣٠٧ (٨) انظــر ص ٣١٦ •

(٩) انظر ص ١٦١ ــ ١٦٨ (١٠) انظر ص ٢٤٩ ــ ٢٦٧ •

الثانى عشــــر: طريق ضرب الأمثـال (١) .

الثالث عشـــر: طريق القصـــــص (٢) .

وسيأتى بيان كل ذلك فيما بعد إن شاء الله . إلى غير هذا من طرق عرض الدعوة على الآخرين . والتى تكتسب بالخبرة والتجربة ، ومعرفة أحوال النـــاس وأعرافهم وظروفهـــم وبيئتهم .

---

(١) انظر ص ٢٦٨ ــ ٢٨١ .

(٢) انظر ص ٢٨٢ ــ ٣٠٦

****

عاشرا : البدء بالأهم فالمهم :

إن الطبيب الحاذق الماهر هو الذى يعالج الأعراض الأساسية لا الجانبية ، ويهتم بمعرفة أصل موطن الداء ليستأصله ، ثم ما تبقى بعد ذلك من أعراض جانبية فرعية تزول وتنتهى بالتدريج — إن شاء الله — لأن أصل علة الداء قد تلاشت . وما أحسن فائدة الداء يصح به الجسم ويقوى ، حين يأخذ المريض على دفعات حسب ما يأمر به الطبيب ويتحمله الجسم .

وكذا الداعية إلى الله ينبغى له أن يهتم بالأصول قبل الفروع ، وبالكليات قبل الجزئيات ، فيبدأ مع المدعو بدعوته أولا إلى العقيدة السلفية الصحيحة السليمة من كل شك أو زيغ أو انحرافاً و خرافة ، والإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والقضاء والقدر خيره وشره ثم العبادات ، والأخلاق ، والتشريعات والأحكام . ولقد أوضح صلى الله عليه وآله وسلم هذا المنهج لأصحابه ، حيث إنه قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه حين بعثه إلى اليمن : " إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم . فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منها وتوق كرائم أموال الناس "(١) فهو صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث يرشد معاذاً إلى أن يبدأ فى دعوته بالأهم فالأهم قال الخطابى : (فإذا أقاموها — أى الشهادتين — توجهت عليهم بعد ذلك الشرائع والعبادات ، لأنه قد أوجبها مرتبة وقدم فيها الشهادة ثم تلاها

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس فى الصدقة ٣/٣٢٢ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/١٩٩ — ٢٠٠ .

بالصلاة والزكاة)" [١] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شئ لا تشربوا الخمر . لقالوا : لا ندع الخمر ابدا . ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدا . لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانى لجارية ألعب : ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وامر ﴾ [٢] . وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده [٣] . قال ابن حجر : (أشارت إلى الحكمة الإلهية فى ترتيب النزول . وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد ، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة ، والكافر والعاصى بالنار . فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام) [٤] . ولذا كان من الحكم فى نزول القرآن مفرقا منجما هذه الحكمة الجليلة وهذه القاعدة العظيمة (البدء بالاهم فالأهم) . قال تعالى : ﴿ وقرءانا فرقنه لتقرأه على الناس على مكث ونزلنه تنزيلا ﴾ [٥] . إنه التدرج فى تربية هذه الأمة الناشئة علما وعملا . قال الألوسى : (فَذِكْرُ هذا بَعْدَ قوله : أى قوله ﴿ونزلنه تنزيلا ﴾ بعد قوله فرقنه﴾ إلخ مفيد ، وذلك لأن الأول دال على تدريج نزوله ليسهل حفظه وفهمه من غير نظر إلى مقتضى لذلك . وهذا أخص منه فإنه دال على تدريجه بحسب الاقتضاء) [٦] .

---

(١) معالم السنن للخطابى ٢/١٩٩ .

(٢) القمر آية ﴿٤٦﴾ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب تاليف القرآن ٩/ ٣٩ .

(٤) فتح البارى ٩/ ٤١ .

(٥) الإسراء آية ﴿١٠٦﴾ .

(٦) روح المعانى للألوسى ١٥/ ١٨٩ .

وقد كان لهذه السياسة الحكيمة ، والتربية القويمة ، وقاعدة تقديم الأهم على المهم التى انتهجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الأثر الكبير فى تخليص العرب من أرجاسهم وأدناسهم وتطهيرهم منها وهم لا يشعرون بأدنى عنت أو حرج • ولا أدل على هذا من تحريم الخمر الذى ما إن جاء المنادى ونادى : (" ألا إن الخمر حرمت " حتى استجاب المؤمنون له جميعا • عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : "ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذى تسمونه الفضيخ • فإنى لقائم أسقى أبا طلحة وفلانا وفلانا إذ جاء رجل فقال وهل بلغكم الخبر ؟ فقالوا : وماذاك ؟ قال : حرمت الخمر • قالوا : أهرق[1] هذه القلال[2] يا أنس • قال : فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل"[3] • وفى رواية : "فجرت — اى الخمر — فى سكك المدينة"[4] • وما كانت هذه الاستجابة الفورية والسريعة إلا لأن الإيمان قد رسخ فى القلوب ، والخوف من الله قد ثبت واطمأن فى الأفئدة ، مع أن أمريكا فى العصر الحديث حين حاولت تحريم الخمر فشلت ، لأنها لم تبدأ بالأهم ألا وهو ارساء العقيدة التى تدفع إلى الالتزام بالأوامر والاجتناب عن النواهى • قال الزرقانى : (وكان الإسلام فى انتهاج هذه الخطة المثلى ابعد نظرا ، واهدى سبيلا ، وأنجح تشريعا ، وانجع سياسة ، من تلكم الأمم المتمدنة المتحضرة ، التى أفلست فى تحريم الخمر على شعوبها افظع افلاس ، وفشلت امرّ فشل • وما عهد أمريكا فى مهزلة تحريمها الخمر ببعيد ! أليس ذلك اعجازا للإسلام فى سياسة الشعوب ، وتهذيب الجماعات ، وتربية الأمم ؟ بلى والتاريخ على ذلك من الشاهدين)[5] •

---

(١) أهرق بمعنى أراق الماء • النهاية فى غريب الحديث ٥/ ٢٦٠ •

(٢) أى الجرار • النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٤/ ١٠٤ •

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ٨/ ٢٧٦ •

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المظالم باب صب الخمر فى الطريق ٥/ ١١٢ •

(٥) مناهل العرفان للزرقانى ١/ ٥٠ ط٣ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه •

وقال عبد المنعم النمر : (والطفرة فى بناء مجتمع جديد مستحيلة ، وتكليف أتباع الدين الجديد بكل ما يريده الله منهم دفعة واحدة حين يدخلون فى الإسلام — لا سيما وهو فى دور النماء — أمر فوق الطاقة ، ولابد من أخذ هذا المجتمع بالتدريج ، ووضع الأساس أولا بالعقائد ثم يفرع عليها التشريعات شيئا فشيئا) [1] .

---

(١) علوم القرآن الكريم لعبد المنعم النمر ص ٨٥ ط١ ١٣٩٩هـ/ ٧٩م دار الكتاب المصرى.

نماذج على البدء بالأهم فالأهم :

أولا - من الكتاب :

قال تعالى : ﴿ يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتمى والمسكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ (١) .

فقد أبانت هذه الآية أن بعضا من الصحابة رضوان الله عليهم ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماينفقون ؟ فأجيبوا ببيان المصرف الذى يصرفون فيه نفقاتهم ، لأن هذا هو الأهم . فليس المهم مقدار ما ينفقون ، بقدر ما هم مهم أين يصنعون تلك النفقة . قال الزمخشرى : (بنى الكلام على ما هو أهم . وهو بيان المصرف ، لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها) (٢) . وقال الألوسى : (ظاهر الآية أنه سئل عن المنفق فأجاب ببيان المصرف صريحا ، لأنه أهم . فإن اعتداد النفقة باعتباره) (٣) . ثم قال : (إنما تعرض لذلك وليس فى السؤال ما يقتضيه ، لأن السؤال للتعلم لا الجدل . وحق المعلم فيه أن يكون كطبيب رفيق يتحرى ما فيه الشفاء طلبه المريض أم لم يطلبه) (٤) .

وقال القاسمى : (بنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة

---

(١) البقرة آية (٢١٥) .
(٢) الكشاف للزمخشرى ١/ ٣٥٦ .
(٣) روح المعانى للالوسى ١/ ١٠٥ .
(٤) المرجع نفسه ١/ ١٠٦ .

لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها • قال الشاعر :

إن الصنيعة لا تكون صنيعـة   حتى يصاب بها طريق المصنـع

فإذا صنعت صنيعة فاعمد بها   لله أو لذوى القرابـة أو دع (١)

٢ - قال تعالى :﴿ يسئلونك عن الأهلة • قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (٢) •

روى أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزلت فى معاذ ابن جبل وثعلبة بن غنم قالا : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو - أو يطلع - دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد فنزلت) (٣) •

قال القاسمى : (فهو قد تلقى السائل بغير ما يتطلب - بتنزيل سؤاله منزلة غيره ، بينها للسائل على أن ذلك الغير هو الأولى بحاله أو المهم له • فلما سألوا عن السبب الفاعلى للتشكيلات النورية فى الهلال ، أجيبوا بما ترى من السبب الغائى تنبيها على أن السؤال عن الغاية والفائدة هو أليق بحالهم) (٤) •

قال الشوكانى : (وقد جعل بعض علماء المعانى هذا الجواب أعنى قولـه

---

(١) محاسن تأويل القرآن للقاسمى (ت : ١٣٣٢هـ) ٣ / ٥٣١ • وأنظر الكشاف للزمخشرى ٣٥٦/١ ، تفسير أبى السعود لأبى السعود (ت : ٩٥١هـ) ٢١٦/١٠ ، فتح القدير للشوكانى ٢١٦/١٠ •

(٢) البقـرة آية ﴿١٨٩﴾ •

(٣) الدر المنثور للسيوطى ٢٠٣/١ ، الكشاف للزمخشرى ٣٤٠/١ ، تفسير أبى السعود لأبى السعود ٢٠٣/١ ، مفاتيح الغيب للرازى ٥ / ١ ، محاسن تأويل القرآن للقاسمى ٤٧٠/٢ •

(٤) محاسن تأويل القرآن للقاسمى ٤٧٠/٣ •

: ﴿ قل هي مواقيت ﴾ من الأسلوب الحكيم ، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب ، تنبيها على انه الأولى بالقصد . ووجه ذلك أنهم سألوا عن أجرام الأهلة باعتبار زيادتها ونقصانها ، فأجيبوا بالحكمة التي كانت تلك الزيادة والنقصان لأجلها ، لكون ذلك أولى بان يقصده السائل ، وأحق بان يتطلع لعلمه) .(١)

قلت : وهكذا ينبغي للداعية أن يقدم ما هو أهم ويتحرى ما هو انفع للمدعو فيبدأ به . وهذه قاعدة مهمة وفائدة جليلة وعبرة عظيمة ينبغي على الدعاة إلى الله أن ينتبهوا لها ويهتموا بها، قال ابن القيم الجوزية : (يجوز للمفتي أن يعدل عن جواب المستفتي عما سأله عنه إلى ما هو أنفع له منه ، ولا سيما إذا تضمن ذلك بيان ما سأل عنه ، وذلك من كمال علم المفتي وفقهه ونصحه) .(٢)

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١/ ١٨٩ .

(٢) أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ٤ / ١٥٨ .

ثانيا : من السـنة :ـ

١ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ قال : " وما أعددت لها ؟ قال : حب الله ورسوله • قال فإنك مع من أحببت • قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : فإنك مع من أحببت • قال أنس فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم (١) • وفى رواية للبخارى ومسلم : عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بينما أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خارجين من المسجد فلقينا رجلا عند سدة المسجد (٢) فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما أعددت لها ؟ قال : فكأن الرجل استكان ثم قال : يا رسول الله ما اعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله • قال : "فأنت مع من أحببت " (٣) •

قلت :"قوله ما اعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة" أى غير الفرائض معناه أنه غير مكثر من نوافل العبادات •

فأبان هذا النص الكريم كيف أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجه السائل إلى ما هو اهم من سؤاله عن قيام الساعة ، حيث نبهه إلى أن يهتم بالاستعداد لها •

---

(١) صحيح مسلم بشرح النورى كتاب البر والصلة والآداب باب المرء مع من احب ١٦/١٨٧

(٢) أى الظلال التى حول المسجد وقيل هى الباب نفسه وقيل هى الساحة بين يديه• النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ٢/٣٥٣ •

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الادب باب علامة الحب فى الله • ١٠/٥٥٧• ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب المرء مع من أحب ١٦/١٨٧•

قال الكرماني : (سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السائل أسلوب الحكيم ، وهو تلقى السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم)[١] . وقال العيني : (قال شيخ شيخى الطيبي فى قول الرسول : " ما أعددت لها " ؟ سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم ، لأنه سأل عن وقت الساعة وأجاب بقوله " ما أعددت لها " يعنى إنما يهمك أن تهتم بأهبتها وتعتنى بما ينفعك عند قيامها من الأعمال الصالحة)[٢] .

٢ — عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : يا رسول الله أى العمل أفضل ؟ قال الصلاة على ميقاتها . قلت : ثم أى ؟ قال : ثم بر الوالدين . قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله فسكتُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادنى"[٣] .

قال الطبرى : (إنما خص هذه الثلاثة بالذكر ، لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات . فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤونتها عليه ، وعظيم فضلها ، فهو لما سواها أضيع ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه ، كان لغيرهما أقل برا . ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين ، كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك . فظهر أن هذه الثلاثة تجتمع فى أن من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع)[٤] .

٣ — عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذنه فى الجهاد فقال : " أحىٌّ والداك ؟ قال نعم . قال ففيهما فجاهد "[٥] .

فقد أبان هذا الحديث أن على المكلف أن يستفصل عن الأفضل والأهم لنفسه

---

(١) فتح البارى ٥٦٠/١٠ .
(٢) عمدة القارى للعينى (ت : ٨٥٥) ١٩٦/٢٢ .
(٣) سبق تخريجه انظر ص ٢١١
(٤) فتح البارى ٤/٦ .
(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب الجهاد بإذن الأبوين ١٤/٦ .

من أعمال الطاعة ليعمل به ، ويقدمه على غيره فيبدأ بالأهم ثم المهم • فهذا الرجل جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد — والجهاد من أعظم الطاعات وأفضل القربات — فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو المربي الحكيم والموجه العظيم : " أحيّ والداك " قال : نعم • قال ففيهما فجاهد • " فدله الرسول صلى الله عليه وسلم على ما هو أفضل من الجهاد في حقه ، وهو أن يبر والديه ويعمل جاهدا على ارضائهما •

وهناك مجالات كثيرة أرشد الشارع الحكيم أفراده إلى الاهتمام بها وتطبيق قاعدة الأهم ثم المهم •

ففي مجال الدعوة إلى الله عز وجل :—

أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم — والأمة تبع له — أن يبدأ في دعوته بالأقربين فيخصهم بالانذار والتبليغ قبل غيرهم فقال تعالى وهو أحكم الحاكمين : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١) •

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : " لما نزلت هذه الآية : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (٢) • دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعمّ وخصّ • وقال : يا بني عبد شمس ، يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها

---

(١)/(٢) الشعراء آية ﴿ ٢١٤ ﴾ •

بيلالهـــا " (١).

قال البيضاوى : (وأنذر عشيرتك الأقربين الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمـــام بشأنهم أهم) (٢). وقال الشوكانى : (خص الأقربين لأن الاهتمام بشأنهم أولـــى، وهدايتهم إلى الحق أقدم) (٣). ثم بعد هذا أمره بالانذار العام لجميع البشر فقـــال تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (٤).

وفى مجال الانفاق أيضا أمره أن يبدأ بنفسه فإن فضل شئ فلأقربائه الأقرب منهـم فان فضل شئ فللآخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ابدأ بنفسك فتصـــدق عليها فإن فضل شئ فلأهلك فان فضل عن أهلك شئ فلذى قرابتك فان فضل عن ذى قرابتك شئ فهكذا وهكذا يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك " (٥). قال النووى : (فى هـــذا الحديث فوائد منها : الابتداء فى النفقة بالمذكور على هذا الترتيب، ومنها أن الحقـوق والفضائل إذا تزاحمت قدم الأوكد فالأوكـد) (٦).

وإننا لنقرأ أيضا فى الكتاب والسنة الاهتمام بالأقارب وتقديمهم فى النفقة على غيرهم.

---

(١) صحيح مسلم لمسلم (ت : ٢٦١هـ) كتاب الايمان باب فى قوله تعالى : ﴿ وأنـــذر عشيرتك الاقربين ﴾ ١/١٩٢. بتحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقى. ط دار احياء التراث العربى.

(٢) تفسير البيضاوى للبيضاوى ص ٤٩٨، تفسير أبى السعود لأبى السعود ٦/٢٦٧.

(٣) فتح القدير للشوكانى ٤/١١٩ ــ ١٢٠.

(٤) الحجـــــر آيـــة ﴿ ٩٤ ﴾.

(٥) صحيح مســلم بشــرح النــووى كتـــاب الزكـاة بـــاب الابتـــداء فى النفقـــة بالنفس ثم الأهل ثم الأقارب ٧/٨٣.

(٦) شرح النووى على مسلم ٧/٨٣.

فمن الكتاب نقرأ قوله تعالى : ﴿ يسـئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتـمى والمسـكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ فلا اقتحم العقبة وما أدر ىـك ما العقبة فك رقبة أو إطعـم فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقـربة أو مسـكينا ذا متربة ﴾ (٢).

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : " اليد العليا خير من اليد السفلى وابـدأ بمن تعول " (٣) . وقوله صلى الله عليه وسلم : " دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك . أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك " (٤) قال النووى : (فيه تقديم نفقة نفسه وعياله لأنها منحصرة فيه بخـلاف نفقة غيرهم . وفيه الابتداء بالأهم فالأهم فى الأمور الشرعية) (٥) . وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى ترويه زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن . قالت : فرجعت إلى عبد الله بن مسعود . فقلت له : إنك رجل خفيف ذات اليد ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة ، فأته . فأسأله . فإن كان ذلك يجزئ عنى وإلا صرفتها إلى غيركم . فقال عبد الله : بل ائتيه أنت . فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول اللـه صلى الله عليه وسلم حاجتى حاجتها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقيت عليـه

---

(١) البقرة آية ﴿ ٢١٥ ﴾ .

(٢) البلد آية ﴿ ١١ ـ ١٦ ﴾ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب بيان أن اليد العليا خير من اليـد السفلى ٧/١٢٥ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب فضل النفقة على العيال والمملوك ، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ٧/ ٨٢ .

(٥) شرح النووى على مسلم ٨/١٢٥ ـ ١٢٦ .

المهابة . فخرج علينا بلال . فقلنا له : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك تجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما ولا تخبره من نحن . فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من هما ؟ قال : امرأة من الأنصار وزينب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الزيانب هى ؟ قال : امرأة عبد الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لهما أجران ، أجر القرابة وأجر الصدقة " (١) .

ففى هذا الحديث شاهدان هما :ـ

أولا : أبان هذا الحديث كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حث على الصدقة على الأقارب وذكر أنه فيها أجرين هما أجر الصدقة العام الذى يشترك فيه كل متصدق وأجر القرابة والصلة وبهذا تكون الصدقة على الأقارب أعظم وأكثر أجرا .

ثانيا : وفى هذا الحديث قد يسأل سائل لماذا أخبر بلال رضى الله عنه رسول الله صلى عليه وسلم باسم المرأتين مع أنهما قد طلبتا منه عدم ذكر أسمائهما بقولهما " ولا تخبره من نحن " ؟! فهل فى هذا إخلاف للوعد وإفشاء للسر ؟! إن الجواب على هذا السؤال هو ما ذكره الامام النووى حيث قال : (قد يقال إنه إخلاف للوعد وإفشاء للسر . وجوابه : أنه عارض ذلك جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجوابه صلى الله عليه وسلم واجب محتم لا يجوز تأخيره ، ولا يقدم عليه غيره . وقد تقرر أنه إذا تعارضت المصالح بدئ بأهمها (٢) .

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب الزكاة على الزوج والأيتام فى الحجر ٣/٣٢٨ . صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد ٧/٨٦ ـ ٨٧ .

(٢) شرح النووى على مسلم ٧/ ٨٧ .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي ترويه أم المؤمنين ميمونه بنت الحارث أنها أعتقت وليده (١) ، ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه . قالت : أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي ؟ قال : أو فعلت ؟ قالت : نعم . قال : " أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك " (٢) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل . وكان أحب أمواله اليه بيرحاء (٣) . وكانت مستقبلة المسجد . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس فلما أنزلت هذه الآية :﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قام أبو طلحه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله . فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بخ (٤) ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت . وإني أرى أن تجعلها في الأقربين . فقال أبو طلحه : أفعل يا رسول الله . فقسمها أبو طلحه في أقاربه وبني عمه " (٥) .

فقد دلت هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية : على أن على المسلم أن يراعى

---

(١) أي جارية . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥/ ٢٢٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب فضل النفقة على الأقربين والزوج والاولاد ٧/ ٨٥ ـ ٨٦ .

(٣) بيرحا بوزن خيزتي . قال الزمخشري : ويقال بئرحاء مضاف اليه ممدود . وهو رواية المغاربة قاطبة . ويقال ليرحا بفتح أوله والراء والقصر ، وفيه اختلاف كثير : موضع بالمدينة قرب المسجد يعرف بقصر بني حديله . مراصد الاطلاع للبغدادي ١/ ٢٤٠ .

(٤) كلمة تقال عند المدح والرضى بالشئ ، وتكرر للمبالغة ، وهي مبنية على السكون ، فان وصلت جررت ونونت وربما شددت . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ١٠١ .

(٥) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الزكاة باب الزكاة على الأقارب ٣/ ٣٢٥ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد ٧/ ٨٤ ـ ٨٥ .

تقديم الأهم فالمهم في الصدقة . فيبدأ بنفسه أولا ، فإن فضل شئ فلأهله الأقرب فالأقرب ، فإن فضل شئ فليقسمه على اليتامى والمساكين وابن السبيل .

وهكذا في كل مجال من مجالات الحياة يقدم الأهم ، وإذا كثرت الحوائج وتعارضت المصالح فليبدأ بأهمها .

فليحرص الدعاة على هذه القاعدة وعلى تطبيقها .

هدى الله الأمة الاسلامية الى تطبيق هذه القاعدة وجنبهم أسباب الفرقة والخلاف ووحد كلمتهم على الحق إنه سميع مجيب وهو على كل شئ قدير .

البَابُ الثَّانِي

الفصل الأول

الموعظة وبيان المراد منها

تعريف الموعظة الحســـنة :ـ

اولا : فى اللغـــة :

ورد الوعظ فى اللغة لعدة معان :ـ

١ ـ التخويف والزجـــر .(١)

٢ ـ التذكير بالخير وما يرق له القلب ويلينه .(٢)

٣ ـ النصح والتذكير بالعواقـــب .(٣)

ومن امثالهم فى ذلك :ـ

(لاتعظينى وتمظمظى أى اتعظـى ولا تعظـــــى)(٤)

وقولهم :(السعيد من وعظ بغيره) .(٥)

وقولهم :(ما وعظ امرءاً كتجاربـــه) .(٦)

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٦/٦ .

(٢) تهذيب اللغة للأزهرى ١٤٩/٣ ، مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٦/٦ ، المحكم لابن سيدة (ت : ٤٥٨) ٢٤٠/٢ ط١ مصطفى البابى الحلبى ٧٧هـ ـ ٥٨ م ، القاموس المحيط للفيروزأبادى ٤١٥/٢ .

(٣) الصحاح للجوهرى ١١٨١/٣ ، مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى ص ٧٢٩ ط١ ١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٢م المطبعة الأميرية بالقاهرة ، لسان العرب لابن منظور ٤٦٦/٧ .

(٤) تهذيب اللغة للازهرى ١٤٩/٣ .

(٥) مجمع الامثال للميدانى ٣٤٣/١ .

(٦) المرجع نفســـــه ٣٢٧/٢ .

ثانيا : في استعمالات القرآن :

١ ـ التذكير :

نحو قوله تعالى : ﴿ فجعلنها نكلا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (٣) .

قاله ابن عباس (٤) والطبري (٥) .

٢ ـ التخويف والزجر :

نحو قوله تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحب النار هم فيها خلدون ﴾ (٦) .

وقوله تعالى : ﴿ والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ (٧) .

---

(١) البقرة آية ﴿٦٦﴾ .
(٢) آل عمران آية ﴿١٣٨﴾ .
(٣) يونس آية ﴿٥٧﴾ .
(٤) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ١/٣٣٦ .
(٥) المرجع نفسه ٤/١٠١ .
(٦) البقرة آية ﴿٢٧٥﴾ .
(٧) النساء آية ﴿٣٤﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ .(١)

وقوله تعالى : ﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ﴾ .(٢)

قاله الشافعى(٣) والطبرى(٤) والأصفهانى(٥) .

٣ — النصح :

نحو قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ .(٦)

وقوله تعالى : ﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ﴾ .(٧)

وقوله تعالى : ﴿ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ .(٨)

وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .(٩)

---

(١) هود آية ﴿ ١٢٠ ﴾ .

(٢) النور آية ﴿١٦-١٧﴾ .

(٣) حاشية الشيخ زاده على البيضاوى ٣٢/١ .

(٤) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ١٠٤/٣ .

(٥) المفردات فى غريب القرآن للاصفهانى ص ٥٢٧ .

(٦) النساء آية ﴿ ٥٨ ﴾ .

(٧) الاعراف آية ﴿ ١٦٤ ﴾.

(٨) الشعراء اية ﴿ ١٣٦ ﴾.

(٩) لقمان اية ﴿ ١٣ ﴾ .

قاله الطبرى (١) وابن حجر (٢) .

٤ ـ الأمر والوصية :

نحو قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاى ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ (٤) .

قاله ابن عباس (٥) وابن الجوزى (٦) .

٥ ـ النهى :

نحو قوله تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٧) .

وقوله تعالى : ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ﴾ (٨) .

قاله ابن الجوزى (٩) .

---

(١) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٥/١٤٦ ، ٢١/٦٨ .

(٢) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ١/١٦٢ .

(٣) النحل آية ﴿٩٠﴾ .

(٤) سبأ آية ﴿٤٦﴾ .

(٥) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ١٤/١٦٣ .

(٦) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٦/٤٦٤ .

(٧) البقرة آية ﴿٢٧٥﴾ .

(٨) النور آية ﴿١٧﴾ .

(٩) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٦/٢٢ .

٦ ـ مواعظ القـرآن :

نحو قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحـكمة والموعظة الحســنة وجـٰدلهم بالتى هى أحســن ﴾ (١) .

قاله ابن عباس (٢) .

٧ ـ العبر الجميلة التى جعلها الله حجة على المشركين فى كتابه وذكرهم بها فى تنزيله من آلائه ونعمائـه .

قاله الطبرى (٣) عند قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سـبيل ربك الحكمـة والموعظــة الحســنة وجـٰـدلهم بالتى هى أحســن ﴾ (٤) .

٨ ـ الأمر والنهى المقرون بالترغيب والترهيب :

نحو قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســنة وجـٰدلهم بالتى هى أحســن ﴾ (٥) .

قاله ابن القـيم (٦) .

٩ ـ القــرآن :

نحو قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســنة وجـٰـدلهم بالتى هى أحسن ﴾ (٧) .

---

(١) النحـل آيـة ﴿١٢٥﴾ .
(٢) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٥٠٦ .
(٣) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ١٤/١٩٤ .
(٤) النحــل آية ﴿١٢٥﴾ .
(٥) النحــل آية ﴿١٢٥﴾ .
(٦) التفسير القيم لابن القـــيم ص ٣٤٤ تحقيق محمد حامد الفقى ط لجنة التراث العربى بيروت .
(٧) النحــل آية ﴿١٢٥﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يـأيها الناس قـد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (١) .

قاله الماوردى (٢) وابن الجوزى (٣) والزمخشرى (٤) .

وبعد استعراض هذه الأقوال . أختار ان المراد بالموعظة الحسنة هو الكـلام الذى يرقق القلوب ويلينها ومن مناهجـهـا ما يلى :—

١ — الوعظ عن طريق الترغيب والترهيب .

٢ — الوعظ عن طريق ضرب الأمثـال .

٣ — الوعظ عن طريق ايراد القصـص .

٤ — الوعظ عن طريق طرح الأسـئلة .

٥ — الوعظ عن طريق التذكير بنعم الله .

٦ — الوعظ عن طريق التذكير بسيرة السلف الصالح .

٧ — الوعظ عن طريق الرسم والتمثيل وغيرهما من وسائل الايضاح .

٨ — الوعظ عن طريق استخدام الأجهزة العلمية الحديثة فى نشر الدعوة .

---

(١) يونـس آية ﴿ ٥٧ ﴾ .

(٢) النكت والعيون وتفسير الماوردى لأبى الحسن على بن حبيب الماوردى البصرى ٤١٧/٢ تحقيق خضر محمد خضر مراجعة الدكتور عبد الستار أبو غده .

(٣) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٠/٤ .

(٤) الكشاف للزمخشرى ٤٣٥/٢ .

الفصل الثاني

مناهج الموعظة الحسنة وهي :-

1. الوعظ عن طريق الترغيب والترهيب
2. الوعظ عن طريق ضرب الامثال
3. الوعظ عن طريق القصص
4. الوعظ عن طريق طرح الاسئلة
5. الوعظ عن طريق التذكير بنعم الله
6. الوعظ عن طريق التذكير بسيرة السلف الصالح
7. الوعظ عن طريق الرسم والتمثيل وغيرهما من وسائل الإيضاح
8. الوعظ عن طريق استخدام أجهزة الأعلام الحديثة

الترغيب والترهيب :ـ

إن النفس البشرية تتطلع دائما إلى ما يحقق لها السعادة والنجاح ، ويكفل لها الفوز والفلاح . إنها تتطلع إلى ما يعود عليها بالنفع والمصلحة وتخشى وتضيق دائما من الشقاء . ومن كل ما يعود عليها بالضرر والهم والغم والنكد .

ومن هنا كان للترغيب والترهيب أثره البالغ في هداية البشرية إلى طريق الحق والخير والسعادة والفضيلة وإبعادها عن طريق الباطل والشر والتعاسة والرذيلة فهناك نفوس لا تستجيب إلا إذا رغبت وبيّن لها جزاء عملها ، وهناك نفوس لا تستجيب إلا إذا رهبت وخوّفت . وانطلاقا من هذا المبدأ كانت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، ترغب العباد في الخير والمعروف ، وترهبهم من الشر والمنكر . وتحملهم على فعل الخيرات والصالحات وترك المنكرات وعمل الموبقات . فالداعية الموفق الحكيم ، والواعظ الحصيف الفطن ، هو من يسير على نهج الكتاب والسنة في الترغيب والترهيب ، يستخدم أيا منهما في المكان الذي يراه مناسبا ، مراعيا لنفسيات المخاطبين وظروفهم . فقد يستعمل الترغيب تارة ، والترهيب أخرى ، وطوراً يجمع بين الترغيب والترهيب كما سيأتي ذكر ذلك في النماذج . ويروى عن الامام ابن شهاب الزهري أنه ذكر ذات مرة حديث المسرف على نفسه الذي قال لأولاده إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني .....) (١) اتبعه بحديث (المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها) (٢) ثم قال عقبهما : (ذلك لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل) (٣) . قال النووي : (قال ابن شهاب لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التوبة باب سعة رحمة الله تعالى وأنها تغلب غضبه ١٧ / ٧٢ .

(٢) المرجع نفسه ١٧ / ٧٢ . (٣) المرجع نفسه ١٧ / ٧٢ .

معناه : أن ابن شهاب لما ذكر الحديث الأول ، خاف أن سامعه يتكل على ما فيه من سعة الرحمة وعظيم الرجاء ، فضم إليه حديث الهرة الذى فيه من التخويف ضد ذلك ليجتمع الخوف والرجاء ، وهذا معنى قوله لئلا يتكل ولا ييأس . وهكذا معظم آيات القرآن العزيز ، يجتمع فيها الخوف والرجاء . وكذا قال العلماء يستحب للواعظ أن يجمع فى موعظته بين الخوف والرجاء لئلا يقنط أحد ولا يتكل . قالوا وليكن التخويف أكثر ، لأن النفوس إليه أحوج ، لميلها إلى الرجاء والراحة والاتكال ، وإهمال بعض الأعمال (١)) .

إن فى الترغيب تشويقاً للعمل ، وحثاً على البذل ، وحضاً على الخير والفضيلة ، ودفعاً للنفس ، وحفزاً للهمة ، وشحذاً للعزيمة . وإن فى الترهيب تخويفاً وتحذيراً من طول الأمل ، وتزهيداً فى الدنيا ، ودفعاً إلى تطهير النفس من الأرجاس . وحقاً إن الترغيب والترهيب يصل القلوب بالله ، ويهذب الأرواح ويطهر النفوس ، ويطبعها بطابع الفضائل ، ويغرس فيها مكارم الأخلاق ، ويستل (٢) منها سخائم (٣) النفوس ، وأضغان الأفئدة . يدفعها إلى العمل الصالح ، ويبعدها عن العمل المهلك الفاسد ، يرتفع بها إلى معالى الأمور ، وينأى بها عن سفاسف الأمور . وإليك مثلا يوضح هذا . فى حادثة الافك الذى اتهمت فيه الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنهما . كان ممن رماها بذلك مسطح ابن أُثَاثَه (٤) ، وكان أبو بكر رضى الله عنه ينفق عليه فلما قال ما قال فى عائشة أم المؤمنين ، ونزلت براءتها من السماء . قال ابو بكر رضى الله عنه : (والله لا أنفق عليه شيئا أبدا إن شاء

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٧/ ٧٢ — ٧٣ .

(٢) أى ينتزع . القاموس المحيط للفيروز أبادى ٣٠٧/٣ .

(٣) أى الاحقاد . القاموس المحيط للفيروز أبادى ٤/ ١٢٩ .

(٤) مسطح بن أَثَاثَه بمكسورة وسكون سين وطاء مهملتين . المغنى فى ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم لمحمد طاهر الهندى ص ٢٣٠

الله تعالى بعد الذى قال فى عائشة ما قال فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ (١) فلما سمع أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذه الآية بكى ، وقال : (بلى إنى لأحب أن يغفر الله عز وجل لى) . ثم رجّع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه ، وقال : (لا أنزعها منه أبدا) . (٢)

وهكذا كان للترغيب بهذا الأسلوب الرائع : ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ (٣) أثره النفاذ ، وسرعته الخارقة فى مسارعة الصديق إلى إرجاع نفقته إلى مسطح مرة أخرى ، وقوله : (إنى لأحب أن يغفر الله عز وجل لى) .

إن الدعوة باستعمال أسلوب الترغيب والتشويق تسلك سبيلها إلى القلوب ، وتفعل فعلها فى النفوس ، وتهيمن على الشعور ، ويستجيب لها القاصى والدانى ، ويقبل عليها المعرض عنها حبا فى طاعة الله ، وطمعا فى الفوز برضوانه ونعيم جنانه . وإن الدعوة باستعمال أسلوب الترهيب والتخويف تقرع أبواب القلوب المغلقة ، وتفتح سدودها ، وتوقظ الضمائر الغافلة ، فتنتبه وترجع عن غيها ، وتثوب إلى رشدها ، وتستشعر الخوف من ربها ، والرهبة من بطشه الشديد فى يوم الحساب العسير . واستعمالهما معا يولد الوجل والخوف من الله ، ويزيد العبد قربا من مولاه ، فيقشعر جلده خشية من الله ، ثم يطمئن قلبه ، وترتاح نفسه ، ويلين قلبه وجلده إلى ذكر الله . قال تعالى : ﴿ الله نزّل أحسن الحديث

---

(١) النـــور آية ﴿ ٢٢ ﴾ .

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب المغازى باب حديث الإفك ٧/٤٣٤ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التوبة باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف ١٧/١١٣ .

(٣) النـــور آية ﴿ ٢٢ ﴾ .

كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ (١) .

وقال تعالى مخبرا أنه بعث رسله مبشرين ومنذرين : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً ﴾ (٣) . وقال الغزالى رحمه الله : [إن الرجاء والخوف جناحان يطير بهما المقربون إلى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤد . فلا يقود إلى قرب الرحمن ، وروح الجنان ، مع كونه بعيد الأرجاء ، ثقيل الأعباء ، محفوفا بمكاره القلوب ، ومشاق الجوارح والأعضاء ، إلا أزمة الرجاء . ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم ، مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات ، وعجائب اللذات ، إلا سياط التخويف ، وسطوات التعنيف] (٤) .

وللترغيب وسائل كثيرة وسبل متعددة ، وتتجلى هذه الوسائل فيما يلى :ـ

١ ـ الترغيب بمغفرة الله وعفوه .

٢ ـ الترغيب بمحو الله للخطايا وتكفيره للسيئات وتجاوزه عنها .

٣ ـ الترغيب ببيان سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه .

٤ ـ الترغيب ببيان الأجر العظيم الذى أعده الله لمن يعمل العمل الصالح حتى لو كان صغيرا .

٥ ـ الترغيب بفتح باب الأمل والرجاء وتوبة الله على عباده التائبين وفرحه بذلك .

---

(١) الزمر آية ﴿٢٣﴾ .
(٢) النساء آية ﴿١٦٥﴾ .
(٣) الأحزاب آية ﴿٤٥﴾ .
(٤) إحياء علوم الدين للغزالى .

٦ — الترغيب بأن الله مع عباده المؤمنين في كل الظروف والأحوال .

٧ — الترغيب بإقبال الله على عبده متى ما علم منه صدقا في توبته وعزيمة في إنابته وندما على ما مضى من ذنبه .

٨ — الترغيب بصلاح الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحصول الخيرات والبركات إذا استقاموا على طاعة الله واتقوه .

٩ — الترغيب بما أعد الله للمتقين من الأمن يوم الفزع وخفة الحساب ودخول الجنات التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى غير ذلك من طرق الترغيب .

وكما أن للترغيب وسائله فكذلك للترهيب وسائله وتتجلى هذه الوسائل فيما يلي :—

١ — الترهيب من عذاب الله وشديد غضبه وانتقامه من العصاه .

٢ — الترهيب ببيان سوء أحوال العصاه في الدنيا والآخرة .

٣ — الترهيب ببيان العقاب الأليم الذى أعده الله لمن يعمل العمل السوء حتى لو كان صغيرا .

٤ — الترهيب بما أعده الله للعصاة المجرمين والكفرة من الخوف يوم الفزع وشدة الحساب ودخول النار التي أهون أهلها عذابا من توضع تحت أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه .

٥ — الترهيب ببيان حال المكذبين من الأمم السابقة قبلهم وكيف أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر لما خالفوا أمره وعصوا رسله .

٦ — الترهيب بالقبر وأهواله والقيامة ومخاطرها .

نماذج على الترغيب والترهيب :ـ

اولا : من الكتـــاب :

أ ـ على الترغيب وحده :

١ : قال تعالى : ﴿ وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصـلحت أن لهم جنت تجرى من تحتهـا الأنهـر كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشـبها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خـلدون ﴾ (١)

٢ : وقال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضعف لمن يشـاء والله واسـع علـيم • الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّـا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢) •

٣ : وقال تعالى :﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خـشعون والذين هم عـن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فـعلون والذين هم لفروجهـم حـفظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمـنهم فإنهم غير ملومين فمـن ابتغى وراء ذلك فأولـئك هم العادون والذين هم لأمـنـتهم وعهدهم راعون • والذين هم على صلواتهم يحافظون أولـئك هم الوارثـون الذين يرثون الفردوس هم فيها خـلدون﴾ (٣) •

---

(١) البقرة آية ﴿٢٥﴾ •

(٢) البقرة آية ﴿ ٢٦١ ـ ٢٦٢ ﴾ •

(٣) المؤمنون آية ﴿ ١ ـ ١١ ﴾ •

٤ : وقال تعالى : ﴿ وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفسقون ﴾ (١) .

٥ : وقال تعالى : ﴿ إنما يؤمن بءايتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقنهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ (٢) .

٦ : وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين ءامنوا هل أدلكم على تجرة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنت تجرى من تحتها الأنهر ومسكن طيبة فى جنت عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾ (٣) .

ب — على الترهيب وحده :—

١ : قال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صلحا إنا موقنون . ولو شئنا لأتينا كل نفس هديها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين . فذوقوا

---

(١) النور آية ﴿ ٥٥ ﴾ .
(٢) السجدة آية ﴿ ١٥ — ١٧ ﴾ .
(٣) الصف آية ﴿ ١٠ — ١٣ ﴾ .

بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسينكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ (١)

٢ : وقال تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ • (٢)

٣ : قال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربوٰا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوٰا وأحل الله البيع وحرّم الربوٰا • فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولـٰئك أصحب النار هم فيها خـٰلدون • يمحق الله الربوٰا ويربى الصدقـٰت والله لا يحب كل كفار أثيم • إن الذين ءامنوا وعملوا الصـٰلحـٰت وأقاموا الصلوٰة وءاتوا الزكوٰة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يـٰأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوٰا إن كنتم مؤمنين • فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ • (٣)

٤ : وقال تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا

---

(١) السجدة آية ﴿ ١٢ ـ ١٤ ﴾ •

(٢) التوبة آية ﴿ ٣٤ ـ ٣٥ ﴾ •

(٣) البقرة آية ﴿ ٢٧٥ ـ ٢٨١ ﴾ •

غير الذين كنا نعمل أو لم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظـٰلمين من نصير ﴾ (١) .

هـ : وقال تعالى : ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآيتنا عنيداً سأرهقه صعوداً إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر وما أدرىك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر ﴾ (٢) .

جـ — على الترغيب والترهيب معا :—

١ : قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بـٔايـٰتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلنٰهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً والذين ءامنوا وعملوا الصـٰلحـٰت سندخلهم جنـٰت تجرى من تحتها الأنهـٰر خـٰلدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ﴾ (٣) .

٢ : وقال تعالى : ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقاً لا يستوون أما الذين ءامنوا وعملوا الصـٰلحـٰت فلهم جنـٰت المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأويٰهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم

---

(١) فاطر آية ﴿ ٣٦ — ٣٧ ﴾ .

(٢) المدثر آية ﴿ ١١ — ٣٠ ﴾ .

(٣) النساء آية ﴿ ٥٦ — ٥٧ ﴾ .

يرجعون ومن أظلم ممن ذكّر بٔايت ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمــون ﴾ (١) •

٣ : وقال تعالى : ﴿ هــذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثيــاب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقلمع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق إن الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصـلحلت جنلت تجرى من تحتها الأنهلر يحلون فيها من أســاور من ذهـب ولؤلؤاً ولباســـهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهـــدوا إلى صراط الحميــد ﴾ (٢) •

٤ : وقال تعالى : ﴿ فأما من أوتى كتبه بيمينه فيقول هــآؤم اقرؤا كتـبيه إنى ظننت أنى ملـلق حســابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانيـــة • كلوا واشربوا هنيــئا بما أســلفتم فى الأيــام الخالية وأما من أوتــى كتبــه بشماله فيقول يـلـيتنى لم أوت كتبيه ولم أدر ما حسابيه يـلـيتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه• هلك عنى سلطـلنيه • خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كــان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليـــوم هلهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخـلطئون ﴾ (٣) •

---

(١) السجدة آية ﴿ ١٨ ــ ٢٢ ﴾ •

(٢) الحــج آية ﴿ ١٩ ــ ٢٤ ﴾ •

(٣) الحاقــة آية ﴿ ١٩ ــ ٣٧ ﴾ •

• : وقال تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرءان كريم في كتب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العلمين • أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صدقين فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم وأما إن كان من أصحب اليمين فسلم لك من أصحب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ﴾ (١) •

---

(١) الواقعة آية ﴿ ٧٥ ـ ٩٦ ﴾ •

ثانيا : من السنة :

أ — على الترغيب وحده :—

١ : عن ابى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إن فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل لا يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن " (١) .

٢ : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة . فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب اى شىء افضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا " (٢) .

٣ : عن أبى هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا (٣) . ولو يعلمون ما فى التهجير (٤) لاستبقوا اليه . ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا " (٥) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها . باب فى صفة خيام الجنة ١٧/١٩٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها باب إحلال الرضوان على أهل الجنة ١٧/١٦٨ . (٣) أى يقترعوا : النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٤٢٩ .

(٤) التهجير : التبكير إلى كل شىء والمبادرة إليه . يقال : هجر يهجّر تهجيرا ، فهو مهجّر ، وهى لغة مجازية ، أراد المبادرة إلى أول وقت الصلاة . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٥/٢٤٦ .

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة ٢/١٣١ .

٤ : عن أبى هريره رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن كان له قيراطان ، قيل : وما القيراطان ؟ قال : مثل الجبلين العظيمين " .(١)

٥ : عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يقول الله عز وجل : " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة ، ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة " .(٢)

٦ : عن أبى هريره رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر ".(٣)

٧ : وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " .(٤)

٨ : وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس " .(٥)

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجنائز باب من انتظر الجنازة حتى تدفن ١٩٦/٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى وحسن الظن به ١٢/١٧ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب التهليل والتسبيح والدعاء ١٧/١٧ .

(٤) المرجع نفسه ١٩/١٧ .

(٥) المرجع نفسه ١٩/١٧ .

٩ : وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سره أن يبسط له فى رزقه أو ينسأ (١) له فى أثره فليصل رحمه " (٢) .

١٠ : عن سهل بن سعد رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد " (٣) .

١١ : وعن سمرة بن جندب قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " رأيت الليلة رجلين أتيانى فصعدا بى الشجرة وأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها . قال أما هذه الدار فدار الشهداء " (٤) .

١٢ : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " كان فى بنى اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال هل له من توبة قال لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره (٥) نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربى وأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له " (٦) .

---

(١) النسء : التأخير . يقال : نسأ الشىء نسأ وأنسأته انساء إذا أخرته . والنساء الاسم ، ويكون فى العمر والدين . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٥ / ٤٤ .

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب البيوع باب من أحب البسط فى الرزق ٤ / ٣٠١ صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ١٦ / ١١٤ .

(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الصوم باب الريان للصائمين ٤ / ١١١ .

(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الجهاد والسير باب درجات المجاهدين فى سبيل الله ٦ / ١١ .

(٥) أى نهض . ويحتمل أنه بمعنى نأى أى بعد . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٥ / ١٢٣ .

(٦) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الانبياء باب حديث بينما امرأة ترضع ابنها إذ مر بها

١٣ : وعن أبى هريره رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " غفر لامرأة مومسة (١) مرت بكلب على رأس ركى (٢) يلهث قال كاد يقتله العطش فنزعت خفهـا فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك (٣) " .

١٤ : وعن أبى هريره رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مرّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال والله لأنحين هذا عن المسلمين حتى لا يؤذيهم فأدخل الجنة (٤) " .

١٥ : وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد : " أرأيت إن قتلت فأين أنا ؟ قال فى الجنة فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قتل (٥) " .

ب : على الترهيب وحده :

١ : عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر (٦) أهله وماله (٧) " .

---

(١) أى فاجرة . النهاية فى غريب الحديث ٤/٣٧٣ .
(٢) أى بئر . النهاية فى غريب الحديث ٢/٢٦١ .
(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب بدء الخلق باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ٦/٣٥٩ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ١٦/١٧١
(٥) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب المغازى باب غزوة أحد ٧/٣٥٤ .
(٦) أى نقص : النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٥/١٤٨ .
(٧) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب مواقيت الصلاة باب إثم من فاتته صلاة العصر ٢/٣٠
وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصلاة باب التغليظ فى تفويت صلاة العصر ٥/١٢٥ .

٢ : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أما يخشى أحدكم — أو ألا يخشى أحدكم — إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار " (١) .

٣ : عن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم يقول : " من ظلم من الأرض شيئا طوقه من سبع أرضين " وفي رواية : " من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين " (٢) .

٤ : عن سليم بن عامر قال حدثني المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل . قال سليم بن عامر : فو الله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذي تكحل بها العين . قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق . فمنهم من يكون إلى كعبيه . ومنهم من يكون إلى ركبتيه . ومنهم من يكون إلى حَقْوَيْـه (٣) . ومنهم من يلجمه العرق الجاما . قال : واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فيه " (٤) .

٥ : عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر (٥) في بطنه نار جهنم " (٦) .

---

(١) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الأذان باب اثم من رفع رأسه قبل الامام ٢/١٨٢—١٨٣

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب المظالم باب اثم من ظلم شيئا من الأرض ٥/١٠٣

(٣) الحقو : معقد الازار ثم سمي به الازار للمجاورة . النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ١/٤١٧ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب في يوم القيامة اعاننا الله على أهواله ١٧/١٩٦ .

(٥) أي يحدر فيها نار جهنم . والجرجرة : صوت وقوع الماء في الجوف . النهاية فـي غريب الحديث لابن الاثير ١/٢٥٥ .

(٦) صحيح البخـاري بشـرحه فـتح البـاري كتـاب الأشـربة بـاب آنيـة الفضـة ١٠/٩٦ .

٦ : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " (١) .

٧ : عن ابى هريره رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ناركم هذه التى يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزء من حر جهنم . قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءً كلها مثل حرها " (٢) .

٨ : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو عليها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان . فأنزل الله : ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ (٣) " (٤) .

جـ : الترغيب والترهيب معا :

١ : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم : فيقول لبيك ربنا وسعديك فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار . قال : يارب وما بعث النار قال من كل ألف — أراه قال — تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب جهنم أعاذنا الله منها ١٧/١٧٩ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة ٦/٣٣٠ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنة وصفة نعيمها باب جهنم أعاذنا الله منها ١٧/١٧٩ .

(٣) آل عمران آية ﴿ ٧٧ ﴾ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المساقاة باب الخصومة فى البئر والقضاء فيها . ٥/٣٣ .

الحامل حملها ويشيب المولد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود . وإنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا . ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال : شطر أهل الجنة فكبرنا " .(١)

٢ : عن أبى هريره رضى الله عنه قال : قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فيها سحابه ؟ قالوا : لا . قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابه ؟ قالوا لا . قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما . قال فيلقى العبد فيقول أى فل . ألم أكرمك وأسوّدك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك تـرأس وتربع فيقول بلى . قال فيقول أفظننت أنك ملاقىّ فيقول لا . فيقول فإنى أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول : اى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى أى رب فيقول : أفظننت أنك ملاقىّ فيقول : لا فيقول فإنى أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير مااستطاع فيقول ها هنا إذاً قال ثم يقال له الآن نبعث شاهدنا عليك ويتنكر فى نفسه من ذا الذى يشهد علىّ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه " .(٢)

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب التفسير باب (وترى الناس سكارى) ٨/ ٤٤١ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد ١٨/ ١٠٣ ـ ١٠٤ .

٣ : وعن أبى هريره رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى . قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ؟ قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟ . يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى . قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ؟ أما إنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندى ؟ . " (١)

٤ : عن حارثة بن وهب رضى الله عنه أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ قالوا بلى . قال كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ثم قال : ألا أخبركم بأهل النار ؟ قالوا بلى . قال : كل عتل جواظ (٢) مستكبر (٣) " .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض ١٦/١٢٥-١٢٦

(٢) جواظ كشداد الضخم المختال الكثير الكلام والجلبة فى الشر . ترتيب القاموس ١/٥٥٨ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأيمان والنذر باب قول الله تعالى : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ ١١/٥٤١ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب جهنم أعاذنا الله منها ١٧/١٨٦ - ١٨٧ .

ومن أراد الاستزادة من الأمثلة فليرجع إلى كتب الحديث عموما وعلى رأسها الكتب الستة وإلى الكتب المؤلفة فى الترغيب والترهيب خاصة وعلى رأسها :-

١ - الترغيب والترهيب للامام زكى الدين عبد العظيم عبد القوى المنذرى (ت: ٦٥٦هـ) ط ٣ . ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م . مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٢ - الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلانى . ط١ دار إحياء المعارف . ١٣٨٠ هـ . ماليكاؤل .

٣ - الترغيب والترهيب لحسين مطر . ط٣ المطبعة الماجدية ١٣٣٨هـ مكة المكرمة .

٤ - أربعون حديثا فى اصطناع المعروف للمنذرى بتخريج أبو عبد الله السلمى . مطبعة الامام بمصر .

٥ - رياض الصالحين للامام النووى (ت : ٦٧٦هـ) . ط . مؤسسة الرسالة دار الشروق . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م .

وشرحه : دليل الفالحين لمحمد بن علان الصديقى (ت : ١٠٥٧هـ) . ط . مصطفى البابى الحلبى وأولاده .

وغيرها من كتب الحديث عموما .

الوعظ عن طريق ضرب الأمثال :

الأمثال وسيلة من الوسائل التى استخدمها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى بيان حقائقهما ومعانيهما الخفية التى قررا عا ليهتدى بها من هداه الله إلى فوزه ونجاته فى الدنيا والآخرة ، وتقوم الحجة على من ضل قال تعالى : ﴿إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين﴾ (١) .

وإن لضرب الأمثال فى القرآن والسنة فوائد كثيرة ومنافع جمّة منها :

١ : تقرير الحقائق تقريرا واضحا جليا .

٢ : تقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع .

٣ : تشويق السامع وترغيبه إلى الإيمان والخير والحق المعروف والفضيلة.

٤ : تنفير السامع وترهيبه من الكفر والشر والباطل والمنكر والرذيلة .

٥ : تذكير السامع ووعظه ليعتبر ويترجر .

٦ : تشبيه شئ بشئ فى حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر .

٧ : تأتى لإثارة الانفعالات المناسبة للمعنى المراد وظهور ذلك على وجه السامع ولهذا فقد اختير لها لفظ الضرب ، لأنه يأتى عند إرادة التأثير وهيجان الانفعال ، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا ينفذ تأثيره وأثره إلى قلبه وينتهى إلى أعماق نفسه.

---

(١) البقرة آية ﴿٢٦﴾ .

٧ : الأمثال تربى العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقى السليم .

وقد ذكر عبد القاهر الجرجانى فى كتابه أسرار البلاغة فوائد الأمثال فأجاد رحمه الله . وكان مما قال : (واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء فى أعقاب المعانى أوبرزت هى باختصار فى معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة وكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا وقسر الطباع على أن تعطيه محبة وشغفا فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل فى النفس وأعظم وأهز للعطف وأسرع للإلف وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح وأوجب شفاعة للمادح وأقضى له بغر المنائح والمواهب وأسير على الألسن وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر . وإن كان ذما كان مسه أوجع وميسمه ألذع ووقعه أشد وحده أحد . وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر وإن كان افتخارا كان شأوه أبعد وشرفه أجد ولسانه ألد وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب وللقلوب أخلب وللسخائم أسل ولعزب الغضب أفل وفى عقد العقود أنفث وعلى حسن الرجوع أبعث .

وإن كان وعظا كان أشفى للصدر وأوعى إلى الفكر وأبلغ فى التنبيه والزجر وأجدر بأن يجلى الغيابة ويبصر الغاية ويبرئ العليل ويشفى الغليل)(١) . ولذا فلا عجب ولا غرو أن كان ضرب الأمثال من أساليب هداية القرآن فى الدعوة والارشاد والوعظ والتذكير التى تؤثر فى القلوب والنفوس أثراً بليغاً فى قبول الدعوة.

---

(١) أسرار البلاغة للامام عبد القاهر الجرجانى ص ١٢٨ — ١٣٠ ط مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

مثل وأحرز المثل بين الأساليب التي يتحراها القرآن والسنة في هدايتهما منزلة سامية ومرتبة عالية رفيعة . وقد أشادت الآيات بفضله ونوهت بشأنه ورفعت من قدرة وبينت الحكمة من ضربه.

قال تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾(١) . قال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾(٢) . ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾(٤) . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " وكان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر ، حلال وحرام ، محكم ومتشابه ، وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله وأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا " . أخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي على تصحيحه(٥) .

---

(١) إبراهيم آية ﴿٢٥﴾ .

(٢) العنكبوت آية ﴿٤٣﴾ .

(٣) الحشر آية ﴿٢١﴾ .

(٤) النور آية ﴿٣٥﴾ .

(٥) المستدرك للحاكم كتاب فضائل القرآن باب أخبار في فضائل القرآن جمله ٥٥٣/١ . قلت والحديث اسناده صحيح لان رجاله ثقات وسنده متصل .

نماذج للوعظ عن طريق ضرب الأمثال :ـ

أولاً : من الكتاب :

١ ـ مثل المنافقين :ـ

قال تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين • يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شئ قدير ﴾ (١) •

قال ابن كثير : (وتقرير هذا المثل : أن الله سبحانه شبههم فى اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى بمن استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها ، وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها ، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره وصار فى ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدى ، وهو مع هذا أصم لا يسمع ، أبكم لا ينطق ، أعمى لو كان ضياءً لما أبصر فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك ، فكذلك هؤلاء المنافقون فى استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى واستحبابهم الغىّ على الرشد) (٢) • ففى الآية ترهيب وتخويف وتحذير من النفاق •

---

(١) البقرة آية (١٧ ـ ٢٠) •

(٢) تفسير ابن كثير لابن كثير ١/ ٥٣ •

٢ — مثل الإنفاق رئاء الناس :

قال تعالى : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقـٰتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكـٰفرين ﴾ (١) .

فهذا مثل ضربه الله للذى يرائى بانفاقه فشبهه بالصفوان — وهو الصخر الأملس — كان عليه تراب ، فجاء مطر شديد فذهب التراب ولم يبق إلا الصخر الأملس . فكما أن التراب قد ذهب فكذلك أعمال هؤلاء المرائين وإنفاقهم يذهب ويضمحل فهو مثل مسوق للتحذير والتشنيع من الرياء فى الأعمال ، والحث والتشجيع على إخلاص العمل لله وحده لا شريك له ، ولذا فقد جاءت الآية التى بعد هذه الآية ببيان هذا الذى ذكرنا من الاخلاص فى العمل : ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فئاتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ﴾ (٢) . ففى الآية ترهيب من الرياء فى الأعمال وترغيب فى الإخلاص .

٣ — مثل إنفاق الكافرين :

قال تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون فى هذه الحيـٰوة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ (٣) .

---

(١) البقرة آية ﴿ ٢٦٤ ﴾ .

(٢) البقرة آية ﴿ ٢٦٥ ﴾ .

(٣) آل عمران آية ﴿ ١١٧ ﴾ .

فهذا مثل سيق للتحذير من الكفروظلم النفس بالمعاصى والذنوب • فقد ضربت الآية مثلا لما ينفقه الكفار فى هذه الدنيا بقوم عندهم زرع وحرث ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى والذنوب فسلط الله عليهم ريحا فيها برد شديد أهلكت زرعهم وحرثهم ، فكذلك يمحق الله ثواب أعمال الكافرين فى الدنيا والآخرة • ففى الآية ترهيب من الكفر •

٤ — مثل الكافرين واعمالهم :—

قال تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ (١) •

وقال تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ (٢) •

وقال تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ (٣) • ففى الآيات ترهيب من أعمال الكافرين وبيان أنه لا تنفعهم وقت حاجتهم إليها •

٥ — مثل من علم ولم يعمل :—

قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذى ءاتينه ءايتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطن فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعنه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع

---

(١) البقرة آية ﴿ ١٧١ ﴾ •

(٢) ابراهيم آية ﴿ ١٨ ﴾ •

(٣) النور آية ﴿ ٣٩ — ٤٠ ﴾ •

هوىـه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بـٔايـٰتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون سـاء مثلا القوم الذين كذبوا بـٔايـٰتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولٰئك هم الخٰسرون ﴾ (١)

ففى الآية ترهيب من عدم العمل بالعلم والانسلاخ عنه وتحذير الناس أن يكونوا مثل هذا .

٦ — مثل الحياة الدنيا :—

قال تعالى : ﴿ إنما مثل الحيـٰوة الدنيا كماء أنزلنـٰه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعـٰم حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قـٰدرون عليها أتـٰها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلنـٰها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الأيـٰت لقوم يتفكرون والله يدعو إلى دار السـلـٰم ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (٢) .

ففى الآية تزهيد وبيان لحقيقة الدنيا وأنه لا ينبغى للناس أن يغتربها فهى دار فانية زائلة .

٧ — مثل الحق والباطل :—

قال تعالى : ﴿ قل من رب السمـٰوات والأرض قل الله قل افاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمـٰت والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشـٰبه الخلق عليهم قل الله خـٰلق كل شىء وهو الواحد القهـٰر أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متـٰع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والبـٰطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك

---

(١) الأعراف آية ﴿ ١٧٥ — ١٧٨ ﴾ .

(٢) يونس آية ﴿ ٢٤ — ٢٥ ﴾ .

يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأوىهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألبـب﴾ • (١)

ففى الآية ترغيب إلى التمسك بالحق وبيان ثباته وبقائه وترهيب من السير فى الباطل والمضى فيه وبيان اضمحلاله وفنائه •

٨ — مثل الكلمة الطيبة والخبيثة :—

قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ﴾ • (٢) ففى الآية ترغيب إلى الكلم الطيب وعلى رأسه كلمة التوحيد وترهيب من الكلم الخبيث وعلى رأسه كلمة الكفر •

٩ — مثل القرية الآمنة المطمئنة التى كفرت بأنعم الله :—

قال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت ءامنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ • (٣)

ففى الآية ترغيب إلى شكر نعم الله وتحذير من جحود النعمة وكفرانها •

١٠ — مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء :—

قال تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شىء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثـل نضربها للناس وما يعقلها إلا العـلمون ﴾ • (٤) ففى الآية ترهيب ووعيد من عبادة غير الله •

---

(١) الرعد آية ﴿ ١٦ — ١٩ ﴾ •
(٢) إبراهيم آية ﴿ ٢٤ — ٢٦ ﴾ •
(٣) النحل آية ﴿ ١١٢ ﴾ •
(٤) العنكبوت آية ﴿ ٤١ — ٤٣ ﴾ •

١١ — مثل الذين حملوا التوراه :—

قال تعالى : ﴿ مثل الذين حمّلوا التوريٰه ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيٰت الله والله لا يهدى القوم الظٰلمين ﴾ (١) .

ففى الآية ذم لليهود الذين أعطوا التوراه وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها وتحذير للناس أن يكونوا مثلهم .

---

(١) الجمعة آية ﴿ ٥ ﴾ .

ثانيا من السـنة :

١ ـ مثل الصلوات الخمس :

عن ابى هريره رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أرأيتم لو ان نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟ (١)

قالوا : لا يبقى من درنه شيء • قال : " فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطـايا " (٢) • ففى الحديث ترغيب وحث على الصلوات الخمس •

٢ ـ مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه :ـ

عن ابى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت " (٣) رواه البخارى • ولمسلم " مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت " (٤) •
ففى الحديث ترغيب وحث على ذكر الله وترهيب من عدم ذكر الله •

٣ ـ مثل صاحب القرآن :ـ

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " انمـا مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة (٥) إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت " (٦) •
ففى الحديث ترهيب من نسيان القرآن والحث على تعاهده ومراجعة حفظه •

---

(١) الدرن : الوسخ • النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٢/ ١١٥ •
(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة ٢/ ١١ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل الصلاة المكتوبة فى الجماعة ٥/ ١٧٠ •
(٣) سبق تخريجه أنظر ص ١٢٠ •
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب صلاة النافلـة فى البيت ٦/ ٨٦ •
(٥) أى المشدودة بالعقال ، والتشديد فيه للتكثير • النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٢٨١ •
(٦) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب استذكار القرآن وتعاهده ٩/ ٧٩ • ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضائـل القرآن والأمر بتعهده ٦/ ٧٥ •

٤ — مثل الناس في قراءة القرآن :—

عن ابي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجه ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانه ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر "(١) . ففى الحديث ترغيب فى قراءة القرآن وتحذير من الرياء فيه أو التأكل به أو الفجور فيه .

٥ — مثل المنفق والبخيل :

عن ابى هريره رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما(٢) فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت — أو وفرت — على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع "(٣) . ففى الحديث حث على الانفاق والصدقة فى سبيل الله وتحذير وترهيب من البخل وعدم الانفاق .

٦ — مثل الساعى على الأرملة والمسكين :—

عن ابى هريره رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الساعى

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب اثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به ١٠٠/٩ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضيلة حافظ القرآن ٨٣/٦ — ٨٤ .

(٢) التراقى : جمع ترقوه ، وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق ، وهما ترقوتان من الجانبين ، ووزنها فعلوه بالفتح . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ١٨٧/١

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب مثل المتصدق والبخيل ٣٠٥/٣ . ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب مثل المتصدق والبخيل ١٠٧/٧ — ١٠٨ .

على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل " .(١)

ففي الحديث ترغيب على مساعدة الأرملة والمسكين والقيام بشؤونهما ومراعاة حقوقهما .

٧ — مثل العائد في هبته :—

عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مثل العائد في صدقته كمثل الكلب يعود في قيئه " (٢) ففي الحديث تنفير من الرجوع في الهبة والصدقة .

٨ — عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى " . (٣) ففي الحديث ترغيب وحث على الجهاد في سبيل الله وبيان أجره وفضله .

٩ — مثل المتشبع بما لم يعط :—

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور " . (٤)

ففي الحديث ترهيب ونهى من أن يتكثر الانسان بما ليس عنده بأن يظهر أنه عنده يتكثر به بذلك عند الناس ويتزين بالباطل .

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب الساعى على الارملة ١٠/٤٣٧ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب هل يشترى صدقته ٣/٣٥٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الهبات باب كراهية شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق عليه ١١/٦٣ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب افضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ٦/٦ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد والسير باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ١٣/٢٥ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب اللباس والزينه باب النهى عن التزوير في اللباس وغيره والتشبع بما لم يعط ١٤/١١٠ .

١٠ — مثل المؤمنين :—

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (١) .

١١ — عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (٢) . ففى الحديث حث على تعظيم حقوق المسلمين وحث على التراحم والملاطفة والمعاضدة فيما بينهم وأن يكونوا كالجسد الواحد .

١٢ — مثل الجليس الصالح وجليس السوء :—

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة " (٣) . ففى الحديث ترغيب فى مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق ومجانبة قرناء السوء وأهل البدع ومن يغتاب الناس .

١٣ — مثل النبى صلى الله عليه وسلم ومثل ما بعث به :

عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قومه فقال : ياقوم إنى رأيت الجيش بعينىّ وإنى أنا النذير العريان فالنجاء . فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا (٤) فانطلقوا على مهلتهم ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق " (٥) . ففى الحديث حث وترغيب على طاعته وتحذير من مخالفة أمره .

---

(١) (٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ١٦/١٣٩ ، ١٦/١٤٠ . (٣) سبق تخريجه أنظر ص ١١٩ .

(٤) أى ساروا الليل ، يقال : أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل ، وادّلج بالتشديد إذا سار من آخره ، والاسم منهما الدّلجة والدلجة بالضم والفتح . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/١٢٩ .

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن الرسول ١٣/٢٥٠ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم ١٥/٤٨ — ٤٩ .

١٤ — مثل قيمة الدنيا من الآخرة :—

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والله ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل (١) أحدكم أصبعه هذه — واشاره يحيى بالسبابه — فى اليم فلينظر بما يرجع" ففى الحديث تحذير من الدنيا وبيان فنائها وقصر مدتها وأن متاع الحياة الدنيا فى الآخرة قليل.

١٥ — مثل الذى يأخذ المال عن طريق المسألة :

عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا حكيم إن هذا المال خضره حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، اليد العليا خير من اليد السفلى " (٢) .
ففى الحديث حث على التعفف عن المسألة والتنزه عنها .

١٦ — مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها :

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا (٣) على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا " (٤) . ففى الحديث ترغيب إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى تحصل النجاة وترهيب من تركهما لأن استحقاق العقوبة مترتب على تركهما .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ١٧/١٩٢ .

(٢) سبق تخريجه انظر ص ٢١٣ .

(٣) أى اقترعوا . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٤٢٩ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الشركة باب هل يقرع فى القسمة ؟ والاستهام فيه ٥/١٣٢ .

* ومن أراد الزيادة فعليه بالرجوع إلى المصادر التالية :—

١ — الامثال لأبى عبيد القاسم بن سلام . ط مركز البحث العلمى وإحياء التراث الاسلامى مكة ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .
٢ — أمثال القرآن لابن قيم الجوزية دار مكة للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م .
٣ — أمثال الحديث للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى ط . ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م .
٤ — الأمثال القرآنية لعبد الرحمن الميدانى ط . دار القلم دمشق / بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
٥ — أمثال الحديث لعبد المجيد محمود القاهرة . مكتبة دار التراث ١٩٧٥م . وغيرها .

الوعظ عن طريق القصص :

إن القصة طريقة من طرق البشارة والانذاره والهداية والارشاد ، والترغيب والترهيب . وهى إحدى الوسائل الناجحة المؤثرة لعرض تعاليم الدعوة سهلة واضحة ، فهى تجذب النفوس ، وتؤثر فى القلوب .

إن فى قصص القرآن والسنة دعوة إلى الحق ، وهداية إلى مواقع الخير ، وإقامة للانسانية على مسالك الحق والفضيلة ، والميل بها عن مسارب الضلال والبوار . إن النفوس إذا خوطبت تلقائيا بكلام نظرى مجرد يتبع آخره أوله ، فان جهدها التفكيرى يضعف ، واستعدادها النفسى يخور ، فلا تعود تفهم أو تعى شيئا مما يقال لها . أمّا القصة فهى غير ذلك . إنها تجسد الأحداث على شكل أشخاص يتحرك معها القلب ، ويدور معها الفؤاد ، وتنشط لها الآذان والعقول ، فهى بذلك تثير الانتباه والحواس لمتابعة أحداث القصة . ماذا سيجرى ؟ وما الذى سيحدث ؟ وما هى مجريات القصة ؟ ما هى نهاية القصة ؟ فإن كانت مفرحة تجد القلب قد ارتاح واطمأن ، وإن كانت محزنة تجد القلب قد أخذ العبرة والعظة . وحقا : ان القصة موجّه غير مباشر نحو الخلق النبيل ، والمعاملة الحسنة ، والتفكير الصحيح .

إن القصة تعتبر من أنجح الأساليب للتقويم والنصح والارشاد . فأسلوبها له تأثيراته النفسية ، وانطباعاته الذهنية ، وحججه المنطقية والعقلية فى نفوس المدعوين ، فهى تستولى على قلوبهم استيلاءً أشبه بالقهر وما هو بالقهر ، وأفعل من السحر وما هو بالسحر لما لها من سرعة نفاذ ، وقوة تأثير ، واستمرار أثر . وليس المقصود من القصص هو مجرد سرد الحوادث التاريخية والتسلى بمضمونها ، إنما المقصود الأعظم ، والمطلب الأرفع ، والغرض الأكبر ،

، هـــــــــــــــى أخذ العبرة والعظة . قال تعالى : ﴿ لقد كان فى قصصهـــم عبرة لأولى الألبٰب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شــىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (١) .

ولذا فإننا نجد التعقيب بعد كل قصة من القصص هو التوجيه لأخذ العبرة والعظة كما فى قوله تعالى : ﴿ إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصٰر ﴾ . بعد قوله : ﴿ قــد كان لكم ءاية فى فئتين التقتا ﴾ الآية (٢) . وكقوله تعالى : ﴿ فاعتبروا يـٰأولى الأبصٰر ﴾ (٣) .

والملاحظ فى قصص القرآن تكرار القصة فى أكثر من موضع ، فمثلا قصة موسى مع فرعون تكررت فى سورة البقرة والاعراف وطه والشعراء والنمل والقصص والنازعات . وقد كانت الآيات فى كل موضع تجلى وتبرز عن عبر قيمه ، وعظات نافعة ، وتوجيهات مؤثرة فما السر فى تكـــرار هذه القصص ؟ .

قال الرازى : (إن فى القصص تخويف من الآخرة ، وذلك ملاحظ من قصص الأنبياء ، وعاقبة المكذبين والمؤمنين . فإذا تكررت هذه الأقاصيص على السمع ، فلابد أن يلـــين القلب وتخضع النفس ، وتزول العداوة ، ويحصل فى القلوب خوف ، يحمل على النظـــر والاستدلال) (٤) . وقال محمد شديد : (وإن هذه الدراسة المنهجية (٥) ، هى التى تبين عن حكمة تكرار القصة الواحدة فى عدة سور . ففى ضوء هذا المنهج ، يتضح أن لكل قصة موضوعها الخاص هو موضوع سورتها . فالقصة القرآنية ليست فى فراغ ، إنما هى جزء متمم لبناء السورة ، ووسيلة فنية مع وسائلها الأخرى . فإذا ذكرت قصة فى سورة فلعــــــلاج

---

(١) يوســـــف آية ﴿ ١١١ ﴾ .

(٢) آل عمــران آية ﴿ ١٣ ﴾ .

(٣) الحشـــر آية ﴿ ٢ ﴾ . (٤) مفاتيح الغيب للرازى ١٧/٥٦ .

(٥) ويعنى بها دراسة السورة على اساس أنها وحدة متكاملة ، لها موضوع رئيسى معين ، والسورة كلها بما فيها القصة تسعى الى تحقيق ذلك الموضوع بعينه .

موضوعها ، فإذا ذكرت نفس القصة فى سورة أخرى فهى قصة جديدة لعلاج موضوع جديد)[1]

ولقد تميز القصص القرآنى والنبوى بسمو غاياته ، وشرف مقاصده ، وعلو مراميه فلقد اشتمل على أصول فى العقائد السامية ، وفصول فى الأخلاق الفاضلة والآداب الجميلة ، التى تهذب النفوس ، وتصلح القلوب ، وتجمل الطباع . ومناهج فى التربية والتهذيب والاصلاح شتى ، تساق أحيانا مساق الحوار ، وأخرى مسلك الحكمة والاعتبار ، وطورا مذهب التخويف والانذار ، بأسلوب حكيم ، وقول بيّن ، ولفظ رائع ، وافتنان عجيب . يرشد الناس إلى الخالق الكريم ، والمبدع الحكيم ، ويدعوهم إلى الايمان الصحيح ؛ ويدلهم إلى العلم النافع . : ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾[2] . بأحسن بيان ، وأفضل كلام . وأقوم طريق . ويحمل لهم قدوات فى كل مجال من مجالات الحياة ، فى الجهاد والكفاح ، فى البذل والتضحية والفداء ، فى حب الهدى والخير ، وكره الباطل والضلال . إلى غير ذلك ..

---

(١) منهج القصة فى القرآن لمحمد شديد ص ٦٤ .
(٢) الإسراء آية ﴿ ٩ ﴾ .

نماذج للوعظ عن طريق القصص :ـ

أولا : من الكتاب :ـ

١ : قصة آدم مع ابليس :ـ

قال تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى ءادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما وإذ قلنا
للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى • فقلنا يـٰأدم
إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك
ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فوسوس
إليه الشيطان قال يـٰأدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك
لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة وعصى ءادم ربه فغوى ثم اجتبله ربه فتاب عليه وهدى
قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى
فمن اتّبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له
معيشة ضنكا ونحشره يوم القيٰمة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد
بصيرا قال كذلك أتتك ءايتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ • (١)

ففى الآيات تحذير من اتباع خطوات الشيطان وأنه عدو مبين للانسان • والحث على التمسك بهدى الله واتباعه والحذر من الاعراض عنه •

٢ ـ قصة ابنى آدم (هابيل وقابيل) :ـ

قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى ءادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما
ولم يتقبل من الأخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن

---

(١) طه آية ﴿ ١١٥ ـ ١٢٦ ﴾ •

وانظر أيضا قصته فى سورة البقرة وسورة الاعراف وسورة الحجر وسورة الاسراء وسورة الكهف وسورة ص •

بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العٰلمين إنى أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحب النار وذلك جزاؤا الظٰلمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخٰسرين فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يٰويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النٰدمين من أجل ذلك كتبنا على بنى إسراءيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينٰت ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون ﴾[1] • ففى الآيات التحذير من القتل بغير الحق وأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده •

٣ — قصة موسى مع فرعون :—

قال تعالى : ﴿ولقد أرسلنا موسى بٔايٰتنا إلى فرعون وملإيه فقال إنى رسول رب العٰلمين فلما جاءهم بٔايٰتنا إذا هم منها يضحكون وما نريهم من ءاية إلا هى أكبر من أختها وأخذنٰهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يٰأيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ونادى فرعون فى قومه قال يٰقوم أليس لى ملك مصر وهٰذه الأنهٰر تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملٰئكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فٰسقين فلما ءاسفونا

---

(١) المائدة آية ﴿ ٢٧ — ٣٢ ﴾ •

انتقمنا منهم فأغرقنـٰهم أجمعين فجعلنـٰهم سلفا ومثلا للأخرين ﴾ (١) .

ففى الآيات التحذير من طاعة الأمراء والحكام الظالمين إذا أمروا بمعصية الله

٤ — قصة ابراهيم مع أبيه :—

قال تعالى : ﴿ واذكر فى الكتب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يـٰأبت لـم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يـٰأبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراط سويا يـٰأبت لا تعبد الشيطـٰن إن الشيطـٰن كان للرحمـٰن عصيا يـٰأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمـٰن فتكون للشيطـٰن وليا قال أراغب أنت عن ءالهتى يـٰإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا قال سلـٰم عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا ﴾ (٢) . ففى الآيات ترغيب إلى استعمال اللين فى الدعوة إلى الله وتحذير من موالاة أعداء الله .

٥ — قصة طالوت :

قال تعالى : ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفـٰه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم إن ءاية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ءال موسى وءال هـٰرون تحمله الملـٰئكة إن فى ذلك

---

(١) الزخرف آية ٤٦ — ٥٦ . وانظر أيضا القصة فى سورة البقرة وسورة الأعراف وسورة يونس وسورة ابراهيم وسورة الاسراء وسورة طه وسورة الشعراء وسورة النمل وسورة القصص وسورة غافر وسورة الدخان وسورة الذاريات وسورة النازعات .

(٢) مريم آية ٤١ — ٤٨ .

لآية لكم إن كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر

فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا

منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين ءامنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم

بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملـٰقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة

كثيرة بإذن الله والله مع الصـٰبرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ

علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكـٰفرين فهزموهم بإذن الله وقتل

داود جالوت وءاتيٰه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس

بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العـٰلمين تلك ءايٰت

الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين (١)) .

ففى الآيات الترغيب فى طاعة ولى الأمر وعدم مخالفة أمره وعصيانه والترغيب

فى الثقة بالله ووعده ونصره .

٦ — قصة الثلاثة الذين خلفوا :—

قال تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبى والمهـٰجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة

العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم

وعلى الثلـٰثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت

عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله

هو التواب الرحيم يـٰأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصـٰدقين (٢)﴾ .

---

(١) البقرة آية ﴿٢٤٧ — ٢٥٢﴾ .

(٢) التوبة آية ﴿١١٧ — ١١٩﴾ .

ففى الآيات ترغيب فى التوبة والمبادرة إليها وأن الله يتوب على من تــاب •

٧ ــ اصحاب الجنة وأصحاب النار :ــ

قال تعالى : ﴿ ونادى أصحٰب الجنة أصحٰب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهــل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله علــى الظٰلمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالأخرة كٰفرون وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيمٰهم ونادوا اصحٰب الجنة أن سلٰم عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت أبصٰرهم تلقــاء أصحٰب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظٰلمين ونادى أصحٰب الأعــراف رجالا يعرفونهم بسيمٰهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهٰؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحٰب النار أصحٰب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممــا رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكٰفرين الذين اتخذوا دينهم لهــوا ولعبا وغرتهم الحيٰوة الدنيا فاليوم ننسٰهم كما نسوا لقاء يومهم هــذا وما كانوا بـٔايٰتنا يجحدون ولقد جئنٰهم بكتٰب فصلنٰه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (١) • ففى الآيات الترغيب إلى الجنة وسلوك الطريق المؤدى إليها والتحذير من النار وعدم سلوك الطريق المؤدى إليها •

٨ ــ اصحاب السبت :

قال تعالى : ﴿ وسـٔلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبــت

---

(١) الأعراف آية ٤٤ ــ ٥٢ •

إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ (١) • ففى الآيات التحذير من معصية الله ولو كانت تلك المعصية حيلة وعقوبة من يفعل ذلك •

٩ — قصة الهجرة :—

قال تعالى : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ﴾ (٢) • ففى الايات الترغيب إلى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرة سنته ودينه والذب عنه وحماية عقيدته •

١٠ — قصة يوم حنين :—

قال تعالى : ﴿ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ﴾ (٣) • ففى الآيات الترهيب من الاغترار بالكثرة فى العدد والعدة والترهيب من عدم الاعتماد على الله والثقة فيه •

١١ — قصة قارون :

قال تعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه

---

(١) الاعراف آية ﴿ ١٦٣ — ١٦٦ ﴾ •

(٢) التوبة آية ﴿ ٤٠ ﴾ •

(٣) التوبة آية ﴿ ٢٥ — ٢٧ ﴾

لتنوأ بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لايحب الفرحين وابتغ فيما اتنك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد اهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يليت لنا مثل ما أوتى قرون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صلحا ولا يلقيها إلا الصبرون فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكفرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴾ (١) . ففى الآيات الترهيب من أشر النعمة وبطرها والغرور والتكبر على الله عز وجل .

---

(١) القصص آية ﴿٧٦ ـ ٨٤﴾ .

ثانيا : من السنة :

١ — قصة الرجل من بنى إسرائيل الذى استلف ألف دينار :—

عن ابى هريره رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سال بعض بنى إسرائيل أن يسلفه الف دينار فقال : ائتنى بالشهداء أشهدهم . فقال : كفى بالله شهيدا . قال : فائتنى بالكفيل . قال: كفى بالله كفيلا. قال : صدقت . فدفعها إليه على أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج[1] موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال : اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بذلك وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر . وإنى أستودعكها فرمى بها فى البحر حتى ولجت[2] فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده . فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا الخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذى كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال : والله ما زلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إلىّ بشىء ؟ قال : أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه . قال : فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت به فى الخشبة فانصرف بالألف دينار راشدا "[3] . ففى الحديث ترغيب فى التوكل والاعتماد على الله وأن من صح توكله تكفل الله بنصره وعونه.

---

(١) أى سوّى موضع النّقر وأصلحه. النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٢٩٦ .

(٢) أى دخلت . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٥/ ٢٢٤ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الكفالة باب الكفالة فى القرض والديون بالأبدان وغيرها ٤/ ٤٦٩ .

٢ — قصة أصحاب الغار الثلاثة :—

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " بينما ثلاثة نفر يمشون أخذ هم المطر فأووا إلى غار فى جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال أحدهم : اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران وامرأتى ولى صبية صغار أرعى عليهم فاذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدىّ فسقيتهما قبل بنىّ وأنه نأى بى ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقى الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمىّ فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجه نرى منها السماء ففرج الله منها فرجه فرأوا منها السماء • وقال الآخر اللهم إنه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بهما فلما وقعت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم وقال الآخر اللهم إنى كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز • فلما قضى عمله قال أعطنى حقى فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها فجاءنى فقال اتق الله ولا تظلمنى حقى قلت اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها فقال اتق الله ولا تستهزئ بى فقلت إنى لا استهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغء وجهك فافرج لنا ما بقى ففرج الله ما بقى "(١) • ففى الحديث الترغيب فى الاخلاص فى الأعمال وفعلها ابتغاء وجه الله •

---

(١) سبق تخريجه انظر ص ٤ / ٤٠٨ — ٤٠٩ • ١٧ / ٥٥ — ٥٧ •

٣ ـ قصة الرجل الذى قتل مائة نفس :ـ

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة • فقال : لا ، فقتله فكمّل به مائة ثم سال عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء • فانطلق حتى إذا انتصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط• فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوه• فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة • قال قتاده : فقال الحسن : ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره " • (١) ففى الحديث ترغيب لحث على الاسراع إلى التوبة من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها حتى من قتل النفس وبيان سعة رحمة الله •

٤ ـ قصة جريج :

عن أبى هريره رضى الله عنه قال : " كان جريج يتعبد فى صومعة فجاءت أمه• قال حميد فوصف لنا أبو رافع صفة أبى هريره لصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه حين دعته كيف جعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه فقالت : يا جريج أنا أمك كلمنى فصادفته يصلى فقال اللهم أمى وصلاتى فاختار صلاته فرجعت ثم عادت

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب أحاديث الأنبياء ٦ / ٥١٢ •
صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ١٧ / ٨٣ـ٨٤•

فى الثانية فقالت : يا جريج أنا أمك فكلمنى فقال : اللهم أمى وصلاتى فاختار صلاته . فقالت : اللهم إن هذا جريج وهو ابنى وإنى كلمته فأبى أن يكلمنى اللهم فلا تمتـــه حتى تريه المومسات . قال : ولو دعت عليه أن يفتن لفتن . قال : وكان راعى ضـــأن يأوى إلى ديره . قال : فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعى فحملت ، فولـــدت غلاما . فقيل لها : ما هذا ؟ قالت : من صاحب هذا الدير . قال فجاؤوا بفؤوسهـــم ومساحيهم فنادوه فصادفوه يصلى فلم يكلمهم قال : فأخذوا يهدمون ديره ، فلمـــا رأى ذلك نزل إليهم فقالوا له : سل هذه قال فتبسم ثم مسح رأس الصبى فقال من أبـــوك قال أبى راعى الضأن . فلما سمعوا ذلك منه قالوا نبنى ما هدمنا من ديرك بالذهـــب والفضة . قال : لا ولكن أعيدوه ترابا كما كان ثم علاه " (١) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فقالت : يا جريج فقال يا رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت : يا جريج فقال : يا رب أمى وصلاتى ، فأقبـــل على صلاته ، فانصرفت . فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت : يا جريج . فقـــال : أى رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى ، يتمثل بحسنها فقالت : إن شـئتم لأفتننه لكم قال : فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيا كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب العمل فى الصلاة باب إذا دعت الأم ولدها فـى الصلاة ٣ / ٧٨ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب تقديـــم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ١٦ / ١٠٥ ــ ١٠٦ .

من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت : هو من جريج . فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه . فقال ما شأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال : أين الصبى فجاءوا به فقال دعونى حتى أصلى فصلى فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه وقال يا غلام من أبوك ؟ قال فلان الراعى قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبنى لك صومعتك من ذهب . قال : لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا . وبينا صبى يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابه فارهة وشارة حسنه فقالت امه : اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى وأقبل إليه فنظر إليه فقال : اللهم لا تجعلنى مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يرتضع قال : فكأنى أنظر إلى رسول الله وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فمه فجعل يمصها قال : ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال : اللهم اجعلنى مثلها . فهناك تراجعا الحديث فقالت حلقى (١) مر رجل حسن الهيئة فقلت : اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ،ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها قال : إن ذاك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ، وان هذه يقولون زنيت ولم تزن ، سرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها " . (٢)

ففى الحديث ترغيب وحث على عظم بر الوالدين وتأكيد حق الام خاصة وتقديم الوالدين على التطوع فى الصلاة وغيرها .

... هريرة والشيطان :

عن أبى هريره رضى الله عنه قال : وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : إنى محتاج وعلىّ عيال ولى حاجة شديدة . قال فخليت

---

(١) أى أصابك وجع فى حلقك . النهايه فى غريب الحديث لابن الاثير ١ / ٤٢٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب تقديم الوالدين على التطوع فى الصلاة وغيرها ١٦ / ١٠٦ ـ ١٠٨ .

عنه ، فأصبحت فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " يا أبا هريره ما فعل اسيرك البارحة ؟ قال : قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال : أما إنه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعود فرصدته فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعنى فإنى محتاج وعلىّ عيال لا أعود . فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابا هريره ما فعل أسيرك؟ قلت : يارسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال : أما إنه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة . فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود . قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت : ما هن؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى : ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله فأصبحت ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله . قال : ما هى ؟ قلت : قال لى إذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية : ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ وقال لى : لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شىء على الخير . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريره ؟ قال : لا . قال : ذاك شيطان " (١) . ففى الحديث بيان فضل آية الكرسى وانها تحفظ الانسان وماله ومتاعه من الشيطان .

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز ٤/٤٨٧ .

٦ — **قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام :—**

عن صهيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إنى قد كبرت فابعث إلىّ غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه فكان فى طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل ام الراهب أفضل . فأخذ حجرا ، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب ، أى بنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علىّ ، وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة . فقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى . فقال : إنى لا أشفى أحدا إنما يشفى الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال ربى قال : ولك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام . فجىء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل ما تفعل ؟ فقال : إنى لا أشفى أحدا ، إنما يشفى الله . فأخذه فلم يزل به يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا

بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع إلى دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل . فقال : اللهم اكفنيهم بم شئت . فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور (١) فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بم شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله . فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه (٢) فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر ، قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدّت (٣) واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست (٤) أن تقع فيها فقال لها

---

(١) القرقور : السفينة العظيمة ، وجمعها قراقير . النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٤ / ٤٨ .
(٢) الصدغ : عو ما بين العين الى شحمة الأذن . النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٣ / ١٧ .
(٣) أي فشقت . النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٢ / ١٣ .
(٤) أي تأخرت . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤ / ٨٧ .

الغلام يا أمه اصبرى فإنك على الحق " (١) . ففى الحديث ترغيب وحث على الثبات على الحق والاستمرار عليه والتضحية فى سبيله بكل ما يملكه الإنسان .

٧ ـ قصة أبرص وأعمى وأقرع فى بنى اسرائيل :ـ

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " إن ثلاثة فى بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله ان يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال : أى شىء أحب اليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس قال فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا قال فأى المال أحب اليك ؟ قال الإبل ـ أو قال البقر ـ شك اسحاق إلا أن الابرص أو الأقرع قال أحدهما الابل وقال الآخر البقر ـ قال فأعطى ناقة عشراء . فقال بارك الله لك فيها . قال فأتى الأقرع فقال أى شىء أحب إليك قال : شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قد قذرنى الناس قال فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا قال فأى المال أحب اليك قال البقر. فأعطى بقرة حاملا فقال بارك الله لك فيها .

قال فأتى الأعمى فقال أى شىء أحب اليك قال أن يرد الله إلىّ بصرى فأبصر به الناس قال : فمسحه فرد الله إليه بصره قال فأى المال أحب إليك قال الغنم فأعطى شاة والدا . فأنتج هذان وولد هذا قال فكان لهذا وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم .

قال ثم أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك اسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه فى سفرى. فقال الحقوق كثيرة . فقال له كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله ؟ فقال إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر فقال إن كنت كاذبا فصيّرك الله إلى ما كنت .

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ١٨ / ١٣٠ ـ ١٣٣

قال وأتى الأقرع فى صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت ٠

قال وأتى الأعمى فى صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلىّ بصرى فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئا اخذته لله ٠ فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم لقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك" (١) ٠

ففى الحديث التحذير من كفران النعم والترغيب فى شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء واكرامهم وفيه الزجر عن البخل لأنه يحمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى ٠

٨ — استحباب الوضع من الدين والتجاوز فى الاقتضاء :—

أ : عن عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما ، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه فى شىء وهو يقول والله لا أفعل ٠ فخرج عليهما رسول الله فقال : أين المتألى على الله لا يفعل المعروف ، قال : أنا يا رسول الله فله أى ذلك أحب" (٢) ٠ ففى الحديث ترهيب من الحلف بالله على ترك الخير وعدم فعله ٠

ب : قصة الرجل الذى كان ينظر المعسر ويتجوز عن الموسر :—

عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا : أعملت من الخير شيئا ؟ قال : لا قالوا تذكر ٠ قال : كنت أداين الناس فآمر فتيانى أن ينظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر ٠ قال : قال الله عز وجل : (تجوزوا عنه) (٣) ٠ وفى رواية : " أنه كان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا ، فلقى الله فتجاوز عنه " (٤) ٠ ففى الأحاديث الترغيب فى انظار المعسر والوضع عنه إما كل الدين وإما بعضه وفضل المسامحة فى الاقتضاء وفى الأستيفاء ٠

---

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث أبرص وأعمى وأقرع فى بنى اسرائيل ٦/٥٠٠ — ٥٠١ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد ١٨/٩٧ — ١٠٠ ٠

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساقاة والمزارعة باب استحباب الوضع من الدين ١٠/٢١٩ — ٢٢٠ ٠

(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب البيوع باب من أنظر معسرا ٤/٣٠٩ ٠ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساقاه والمزارعة باب فضل انظار المعسر والتجاوز فى الاقتضاء ١٠/٢٢٤ ٠

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب أحاديث الانبياء ٥/٥١٤ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساقاه والمزارعة باب فضل انظار المعسر والتجاوز فى القتضاء ١٠/٢٢٦ ٠

٩ — قصة العرنيين :—

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن ناسا من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاجتووها (١) فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن شئتم أن تخرجوا إلى ابل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها ، ففعلوا فصحّوا ، ثم مالوا على الرّعاء فقتلوهم وارتدوا عن الاسلام وساقوا ذود (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث فى آثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل (٣) أعينهم وتركهم فى الحرّة حتى ماتوا " (٤) . ففى الحديث ترهيب وتحذير من قطع الطريق وايذاء المسلمين .

١٠ — قصة فقراء المهاجرين :—

عن ابى هريره رضى الله تعالى عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذهب أهل الدثور (٥) بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال : وماذاك؟ قالوا : يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون

---

(١) أى أصابهم الجوى : وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول ، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها . ويقال : أجتويت البلد : إذا كرهت المقام فيه وإن كنت فى نعمة . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٣١٨ .

(٢) الذود من الابل : ما بين الثنتين إلى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث إلى العشر ، واللفظة مؤنثة ، ولا واحد لها من لفظها كالنّعم . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٢/ ١٧١ .

(٣) أى فقأها بحديدة محماة أو غيرها ، وقيل هى فقؤها بالشوك ، وهو بمعنى السّمر ، والسمر : أى أحمى لهم مسامير الحديد ثم كحلهم بها . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٢/ ٣٩٩ ، ٤٠٣ .

(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الزكاة باب استعمال إبل الصدقة وألبانها لأبناء السبيل ٣/ ٣٦٦ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب القسامه باب حكم المحاربين والمرتدين ١١/ ١٥٤ — ١٥٥ .

(٥) الدّثور : جمع دثر ، وهو المال الكثير ، ويقع على الواحد والاثنين والجميع . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٢/ ١٠٠ .

به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم. قالوا : بلى يا رسول الله . قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة — قال أبو صالح — فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وا: سمع اخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " .(١) ففي الحديث ترغيب واستحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته والتنافس في الخيرات .

١١ — **قصة الأنصاري :—**

عن ابي هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهنّ مثل ذلك : لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء . فقال : من يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا إلا قوت صبياني . قال : فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فاطفىء السراج وأريه أنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومى إلى السراج حتى تطفئيه ، قال : فقعدوا وأكل الضيف ، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة" .(٢)
ففي الحديث ترغيب على إكرام الضيف وإيثاره بالطعام والحث على ذلك .

١٢ — **قصة المرأة المخزومية التي سرقت :—**

عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا : من—

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ٩٢/٥ — ٩٣ .

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب مناقب الأنصار باب قول الله عز وجل :﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ ١١٩/٧ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأشربة باب اكرام الضيف وفضل ايثاره ١١/١٤ — ١٣ .

يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكلمه أسامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب فقال : " أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " .(١)

١٣ — الطاعة في المعروف :—

عن علي رضي الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية وأمّر عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى . قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها ، فجمعوا حطبا فأوقدوا النار . فلما هموا بالدخول قاموا ينظر إلى بعض فقال بعضهم : إنما اتبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فراراً من النار أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا ، إنما الطاعة في المعروف " .(٢)

١٤ — ثم لتسألن يومئذ عن النعيم :—

عن أبي هريره رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا : الجوع يا رسول الله . قال : وأنا والذي نفسي بيده ، لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت : مرحبا وأهلا ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أين فلان ؟ قالت ذهب يستعذب لنا من

---

(١) سبق تخريجه أنظر ص ١٥١ — ١٥٢

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية ١٣ / ١٢٢ .

الماء ، إذ جاء الأنصارى فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال :
الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق (١) فيه بسر وتمر ورطب
فقال : كلوا من هذه وأخذ المدية (٢) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إيـاك
والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا . فلما أن شبعوا ورووا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر : " والذى نفسى بيده لتسألن عـن
هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم" (٣) .

ففى الحديث استحباب حمد الله تعالى عند حصول نعمة ظاهرة واستحباب إظهار
البشر والفرح بالضيف فى وجهه وفيه حث على شكر الله عز وجل بأداء حق النعمة .

١٥ ـ العـفو :ـ

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم
غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وادٍ كثير العضاه فنزل رسـول
صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلّق سيفه بغصن من أغصانها قال وتفرق الناس فـى
الوادى يستظلون بالشجر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن رجلا أتانـى
وأنا نائم فأخـذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسـى فلم أشـعر إلا والسيف صلتـا
فى يده فقال لى : من يمنعك منى ؟ قال : قلت الله . ثم قال فى الثانية من يمنعـك
منى ؟ قال : قلت الله . قال فشام (٤) السيف فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول اللـه
صلى الله عليه وسلم " (٥) .

---

(١) العذق بالفتح : النخلة ، وبالكسر : العرجون بما فيه من الشماريخ ، ويجمع على عذاق . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣/١٩٩ .
(٢) أى السّكين والشّفرة . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤/٣١٠ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الأشربة باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضـاه ١٣/٢١٠ ـ ٢١٤ .
(٤) أى أغمد وسقط . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٥٢١ .
(٥) سبق تخريجه أنظر ص ١٤٩ ، ١٦١
ومن أراد الزيادة فعليه بالرجوع إلى المصادر التاليـة :ـ

ففى الحديث ترغيب وحث على العفو عند المقدرة لأن العفو عند المقدرة من شيم الكرام ٠

= ١ : قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس لأحمد بن محمد الثعلبى (ت : ٤٢٧هـ) . ط٤ القاهرة مصطفى البابى الحلبى ١٣٧٤هـ — ١٩٥٤م ٠

٢ : قصص الأنبياء لابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد دار المكتبة الحديثة القاهرة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨م ٠

٣ : قصص الأنبياء لعبد الوهاب نجار ط٢ القاهرة مؤسسة الحلبى ٨٦ هـ — ٦٦م ٠

٤ : قصص القرآن محمد احمد جاد المولى ط ٨ القاهرة المكتبة التجارية الكبرى ٠

٥ : القصص فى الحديث النبوى لمحمد بن حسن الزير ط٠ الرياض دار اللواء للنشر والتوزيع ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠م ٠ رسالة ماجستير جامعة القاهرة ٠

٦ : القصص النبوى للسيد شحاته القاهرة — دار النهضة العربية ٠

الوعظ عن طريق طرح الأسـئلة :ـ

إن الداعية هو العنصر الفعّال فى عملية التربية ، فعلى قدر ما يحمل فى عقله من علم وفكر ، وما يحمل فى قلبه من إيمان برسالته ، ومحبة لدعوته ، ورغبة فى إيصال الخير ، وما أوتى من موهبة وخبرة فى حسن طريقة التعليم والتربية ، يكون نجاحه وحسن تأثيره فى قلوب الآخرين . وإن الوعظ عن طريق الحوار والاستجواب فيه تدريب للمدعو على التفكير ، وتشجيعه على المناقشة وتعويده على العطاء والمشاركة ، وإبداء الرأى . وإن أى تربية بدون استخدام هذه الوسيلة ، قد تعتبر فاشلة ، لأنها تكوّن شخصا ضعيف الشخصية عديم التأثير .

إن فى الحوار والمناقشة إثارة نفسية لتقوية الانتباه لتلقى المعلومات ، وإذهابا للسآمة ، وإزالة لما يصيب النفس من ملل نتيجة الالقاء الطويل ، وتشويقا للذهن ، وتنشيطا للعقل لمواصلة السعى ومعاناة البحث للوصول الى الحقيقة مهما تكن مشقة الطريق اليها ، وتحريكا للذكاء واسقاءً للمواعظ فى قالب الاقناع والمحاجة ، وإيقاظا للهمم ، ودعوة للتفكير وتقليب النظر والعقل للبحث فيما يعرض من كلام ، لجعل المدعو يقطف الثمار والنتائج بنفسه ، ليعمل بها وهو موقن . قال محمد سعيد رمضان البوطى : (وتلك هى فائدة الاسلوب الحوارى القائم على السؤال والنقاش فالغرض منه سوق التلميذ فى الطريق العلمى المطلوب بنفس السرعة التى يسير بها المربى أو المعلم . إذ أنّ من أخطر آفات السرد والالقاء المجرد ، أن يسير المعلم فى القائه وسرده أشواطا إلى النتيجة العلمية المطلوبة ، بينما لا يزال السامع واقفا حيث هو ، أو يسير متخلفا عنه فى متاهات متعثرة ، لا تفيد علما ولا تكسب فهما) (١) .

---

(١) منهج تربوى فريد فى القرآن لمحمد سعيد رمضان البوطى ص ٣٩ .

إن فى الوعظ عن طريق الحوار والمناقشة اطلاقا لبعض الألسنة الجامدة لتنطق وتبدى عما يدور بداخلها ، فالحوار يبرز المكنون ، ويظهر المستور، ويكشف ما فى الصدور ، وما خفى فى القلوب . وهو يفتح العقول ، ويطلقها من اسارها ، ويوسع مدارك الفهم فيها .

وحقا إن الوعظ عن طريق الحوار والمناقشة يتيح للداعية آفاقا كبيرة ، ومنافذ كثيرة ، وأبواب واسعة ، فى مجال التربية والتعليم . وقد اتخذ الوعظ عن طريق الحوار والمناقشة جوانب عديدة :- الجانب الأول : تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لدى المدعويين .

١ — عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال : " ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين ؟ (١) قالت : الحمى لا بارك الله فيها . فقال صلى الله عليه وسلم : " لا تسبى الحمى ، فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد " (٢) .

٢ — وعن أبى هريره رضى الله عنه ، أنه لقى النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق من طرق المدينة وهو جنب فانسل (٣) . فذهب فاغتسل فتفقده النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أين كنت يا أبا هريره ؟ قال : يارسول الله لقيتنى وأنا جنب . فكرهت أن أجالسك حتى اغتسل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "سبحان الله إن المؤمن لا ينجس " (٤) .

---

(١) أى ترتعد من البرد . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٣٠٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ١٦/١٣١

(٣) أى مضى وخرج بتأن وتدريج . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٣٩٢ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الحيض باب الدليل على أن المسلم لا ينجس ٤/٦٦ — ٦٧ .

٣ — عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما تعدون الرقوب فيكم ؟ قال : قلنا : الذى لا يولد له . قال : ليس ذاك بالرقوب (١) ولكنه الرجل الذى لم يقدم من ولده شيئا . قال فما تعدون الصرعه (٢) فيكم ؟ قال : قلنا الذى لا يصرعه الرجال . قال ليس بذلك ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب (٣) " .

٤ — وعن أبى هريره رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فقال : " يا عائشة ناولينى الثوب . فقالت : إنى حائض . فقال إن حيضك ليس فى يدك فناولته (٤) " .

<u>الجانب الثانى التركيز على بعض الحقائق لترسخ فى النفوس وتثبت فى القلوب :—</u>

١ — عن أبى بكره رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب شهر مضر الذى بين جمادى وشعبان ثم قال :

---

(١) الرّقوب فى اللغة : الرجل والمرأة إذا لم يعش لهما ولد ، لأنه يرقب موته ويرصده خوفا عليه . فنقله النبى صلى الله عليه وسلم إلى الذى لم يقدم من الولد شيئا أى يموت قبله . تعريفا أن الأجر والثواب لمن قدّم شيئا من الولد وأن الاعتداد به أكثر وأنفع فيه أعظم . وأن فقدهم وإن كان فى الدنيا عظيما فان فقد الأجر والثواب على الصبر والتسليم للقضاء فى الآخرة أعظم . وأن المسلم ولده فى الحقيقة من قدّمه واحتسبه ومن لم يرزق ذلك فهو كالذى لا ولد له . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ٢٤٩ .

(٢) الصرعه : بضم الصاد وفتح الراء : المبالغ فى الصّراع الذى لا يغلب فنقله إلى الذى يغلب نفسه عند الغضب ويقهرها . النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الاثير ٢ / ٢٣—٢٤ .

(٣) مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب فى الذى يملك نفسه عند الغضب ١٦ / ١٦١ .

(٤) مسلم بشرح النووى كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله ٣ / ٢١٠ .

أى شهر هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم • قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه • قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى • قال : فأى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم • قال : فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال : أليس البلدة ؟ قلنا : بلى • قال : فأى يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم • قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه • قال : أليس يوم النحر • قلنا بلى يا رسول الله • قال : فإن دماءكم وأموالكم قال محمد واحسبه قال : وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعنّ بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى من بعض من سمعه ثم قال : ألا هل بلغت ". (١)

قال القرطبي : (سؤاله صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهومهم وليقبلوا عليه بكليتهم وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه) (٢) •

فقد أبان الحديث كيف أنه صلى الله عليه وسلم لم يسرد خطبته سردا ولم يلق بيانه الهام أمام تلك الجموع الكثيرة المحتشدة إلقاءً سردا يثير الملل ويبعث على النوم وإنما حرّك العقول وأثار الانتباه بأسئلته وسكوته • فاشرأبت إليه أعناقهم ورنت إليه أبصارهم وأنصتت له آذانهم ومن ثم ألقى عليهم بيانه العظيم : "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا " •

قال ابن حجر : (وإنما قدّم السؤال عنها تذكارا لحرمتها وتقريرا لما ثبت فى نفوسهم

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الحج باب الخطبة أيام منى ٣/٥٧٣ ، وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب القسامه باب تغليظ تحريم الدماء والاعراض والاموال ١١/١٦٩ ـ ١٧٠

(٢) فتح البارى ١/١٥٩ •

ليبنى عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد) .(١)

٢ — وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليس بينى وبينه إلا مؤخرة الرحل . فقال : " يا معاذ ! قلت لبيك يا رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ ! قلت لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ ! قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : هل تدرى ما حق الله على العباد ؟ . قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : " فإن حق الله على العباد أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا . ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ ! قلت لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : " هل تدرى ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ؟ قلت الله ورسوله أعلم . أن لا يعذبهم " .(٢)

٣ — وعن أبى هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته " .(٣)

الجانب الثالث إيضاح بعض المفاهيم والمعانى الغامضة :

١ — قال تعالى : ﴿ الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمـٰنهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ .(٤)

عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية : ﴿ الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمـٰنهم بظلم .. ﴾(٥)

---

(١) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٣/٥٧٦ .
(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار ٦/٥٨ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب حق الله على العباد ١/٢٣٠ — ٢٣٢ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب النهى عن الغيبة ١٦/١٤٢ .
(٤) الأنعام آية ﴿ ٨٢ ﴾ .
(٥) الأنعام آية ﴿ ٨٢ ﴾ .

شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ألا ترون إلى قول لقمان : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (١) " (٢).

٢ - عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ (٣). قال له عدى بن حاتم : يا رسول الله إنى أجعل تحت وسادتى عقالين عقالا أبيض وعقالا أسود أعرف الليل من النهار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل وبياض النهار " (٤).

٣ - عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. فقلت : يا نبى الله : أكراهية الموت ؟ فكلنا يكره الموت قال : ليس كذلك . ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وان الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه " (٥).

٤ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة قالوا : كيف يا رسول

---

(١) لقمان آية ﴿ ١٣ ﴾ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير سورة لقمان ٨/٥١٣
وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب صدق الإيمان وإخلاصه ٢/١٤٣ .

(٣) البقرة آية ﴿ ١٨٧ ﴾ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصيام باب صفة الفجر الذى تتعلق به أحكام الصوم ٧/٢٠٠ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ١٧/٩ .

الله ؟ قال : " يقتل هذا فيلج الجنة ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد " (١) .

٥ ــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ؟ قيل يا رسول الله : وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه " (٢) .

٦ ــ عن مصعب بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال حدثني أبي قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟ فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة " (٣) .

٧ ــ عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ليس أحد يحاسب إلا هلك . قلت يا رسول الله أليس الله يقول حسابا يسيرا ؟ قال : ذاك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك " (٤) .

الجانب الرابع : توجيه السائل إلى ما هو أهم بالنسبة له :

١ ــ قال تعالى : ﴿ يسئلونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأمارة باب في رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ٣٦/١٣ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الأدب باب لا يسب الرجل والديه ٤٠٣/١٠

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٢٠/١٧ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب إثبات الحساب ٢٠٨/١٧ .

واليتمى والمسكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ (١) .

ففى هذه الآية وجّه الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما هو أهم وبين لهم أنه ليس المهم مقدار ما ينفقون بقدر ما هو مهم أين يضعون تلك النفقات . قال الألوسى : (ظاهر الآية أنه سئل عن المنفق فأجاب ببيان المصرف صريحا لأنه أهم فإن اعتداد النفقة باعتباره) (٢) .

٢ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ قال ما أعددت لها ؟ قال ما أعددت كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله قال فأنت مع من أحببت " (٣) .

٣ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينما النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مجلس يحدث القوم جاءه أعرابى فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدث فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال . وقال بعضهم : بل لم يسمع . حتى إذا قضى حديثه قال : " أين السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا يارسول الله . قال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . قال : كيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسّد الأمر إلى غير أهله (٤) فانتظر الساعة " (٥) .

---

(١) البقرة آية ﴿ ٢١٥ ﴾ .

(٢) روح المعانى للألوسى ١/١٠٥ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب علامة الحب فى الله ١٠/٥٥٧ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب ١٦/١٨٧ .

(٤) أى أسند وجعل فى غير أهله يعنى إذا سوّد وشرّف غير المستحق للسّيادة والشرف. النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٥/١٨٣ .

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب رفع الأمانة ١١/٣٣٣ .

الجانب الخامس تربية المدعو على الأخلاق الفاضلة والمعاني النبيلة والآداب السامية :

١ _ عن أبي هريره رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بسكران . فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه . فلما انصرف . قال رجل : ماله أخزاه الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم " (١) .

٢ _ حديث المرأة الجهنيه وفيه أن خالد بن الوليد رضى الله عنه أقبل بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال : " مهلا يا خالد فوالذى نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس (٢) لغفر له " (٣) .

٣ _ وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ياأبا سعيد من رضى الله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة . فعجب لها أبو سعيد . فقال أعدها على يا رسول الله ففعل ثم قال : وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال وما هي يا رسول الله ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . الجهاد في سبيل الله " (٤) .

٤ _ وعن أبي هريره رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم اليوم صائما ؟ قال أبو بكر : أنا . قال فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا . قال

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة ١٢/٧٥ .

(٢) المكس : الضريبة التى يأخذها الماكس وهو العشّار . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٣٤٩ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الحدود باب حد الزنا ١١/٢٠٣ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الامارة باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات ١٣/٢٨ .

فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر أنا . قال فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ قال أبو بكر أنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة " .(١)

٥ ـ وعن أبى هريره رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى ؟ قالوا يارسول الله : ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى " .(٢)

الجانب السادس : تحذير المدعوين من الأمور التى تضر بهم وبمجتمعهم :

١ ـ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إياكم والجلوس فى الطرقات ؟ قالوا : يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فاذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " .(٣)

٢ ـ وعن أبى هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اجتنبوا السبع الموبقات ؟ قيل : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات " .(٤)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب فضل من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع الخير ٧/١١٧ ـ ١١٨ .

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ١٣/٢٤٩ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المظالم باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات ٥/١١٢ ، وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب السلام باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام ١٤/١٤٢ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الوصايا باب قول الله تعالى : ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ...﴾ الاية ٥/٣٩٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب الكبائر وأكبرها ٢/٨٣ .

٣ ــ وعن أبى بكره رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلنا لا يسكت " (١) .

٤ ــ وعن أبى هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا قال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله . قال : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا " (٢) .

الجانب السابع : إعطاء بعض الكلمات المعنى الشرعى لها :

١ ــ عن أبى هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون ما المفلس؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار " (٣) .

٢ ــ وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " أنصر أخاك ظالما

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر ٤٠٥/١٠ .
صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب الكبائر وأكبرها ٨١/٢ ــ ٨٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب قول النبى صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ١٠٩/٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ١٣٥/١٦ ــ ١٣٦ .

أو مظلوما . فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما . أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال تحجزه — أو تمنعه — من الظلم فإن ذلك نصره "(١) .

٣ — وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما تعدون الرقوب فيكم ؟ قال : قلنا الذى لا يولد له . قال : ليس ذاك بالرقوب ولكنه الرجل الذى لم يقدم من ولده شيئا . قال فما تعدون الصرعة فيكم ؟ قال : قلنا : الذى لا يصرعه الرجال . قال : ليس بذلك ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب "(٢) .

وهكذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يستخدم هذا المنهج إيقاظاً لانتباه صحابته ، وتحريكاً لعقولهم ، حتى يستقبلوا هديه وتعاليمه بنفوس عطاش ، وقلوب ظماء ، فيستقر فيها أثبت استقرار ، ويعلق بها علوق الروح بالأجسام . فعلى الداعية أن يتحرى هذا المنهج فى طريق دعوته ، ليقطف ثمار نتائجه على أحسن حال ، وخير مرام .

---

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الإكراه باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه ١٢/٣٢٣ .

(٢) سبق تخريجه انظر ص ٣٠٩ .